

سلسلة و الموتى يتحدثون أيضاً

العدد الأول

د. محمد الشيخ

طبيب شرعي

واللجثة رأي آخر

شعراة للتدريس و التوزيع

وودو:
كتيب

والموتى يتحدثون أيضًا

للجثث رأي آخر

سلسلة: والموتى يتحدثون أيضاً (للجثث رأي آخر)

المؤلف: د. محمد الشيخ

الطبعة: الرابعة

سنة الإصدار: ٢٠٢٠

تصميم الغلاف: محمد محسن

المراجعة اللغوية: معاذ خالد رجب

التنسيق الداخلي: هند محمود

رقم الإيداع: ٢٠١٩/٢٨١٧٢

الترقيم الدولي: ٤-١٠-٦٧٦٣-٩٧٧-٩٧٨

شهرزاد للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية

القاهرة

هاتف: ١٠٩١٧٤٤٥١١

shahrazadpub@gmail.com



جميع الحقوق محفوظة للناس

وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية،

يُعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

إهداء

إلى أبي، ذاك الراحل النبيل الذي كان يهدئ روع الياسمين في الدار، فيغار القرنفل، ويتسارع الفل إلى مصرعه عند قدميه..

ذاك الذي كان في بياض القطن موسم الزهر، لا همّ له سوى سعادتي..
ذاك الذي كان في شموخ النيل موسم الفيض، أعظم هزائمه أن يترقق ماء عذباً فرائاً.

هذه سلسلة كتبي الأولى حبيبي، أهديها كلها لك لتقرّ عينك.

سميتها «والموتى يتحدثون أيضاً»، ترى هل تُعجبك؟

فوحدي أعلم أن للموتى آذاناً أيضاً، والمقابر لا تنام.

فقط أريدك أن تعلم يا حبيبي أنّ وجودك كان جنتي الخالدة، وأن رحيلك كان فجيعتي المؤكدة، وأتني هنا لك وحدك أحكي، وأنه لك أساساً خلقت الحكايات.

محمد

مقدمة

عندنا في «مشرحة زينهم»، حيث الموت ليس فجائيًا كالأمطار؛ هو يطل عليك من منصات التشريح، من الملابس المتناثرة، من النوافذ الباكية، من العظام المحطمة، من الطرقات المختنقة بالدم، من الحوائط النابضة بالقهر، من النسوة المنتحبات المتشحات بالسواد...

الموت هنا ليس فجائيًا أبدًا، بل الحياة هنا هي التي تأتي فجأة!

ويعلم الجميع هنا أن الموت حق والحياة باطلة، وأن الإنسان مهما عاش لا يعيش إلا ليموت، ومهما تحدث وصرخ فمصيره إلى سكوت، ومهما ملأ الحياة فرحًا فلا بد أن يأتي يوم وتشهق المأساة في كل البيوت، ونعلم أن الموت صديق طيب مترفع، على الأقل هو يرفع عنك ضرر الحياة، وأنت ونصيبك في الآخرة.

في حياة الناس تتكاثر الحكايات، وفي حياتنا تتناسل الجثث، الموت مقيم داخلنا، على أسنة مشارطنا، في برودة أيدينا، مفاجأتنا، تهكمنا المر، فوضويتنا الدائمة، نعمل ونحن نعلم أن كلًا منا ميت سيلقى حتفه حتمًا بين جثتين.

عشنا أعمارنا على وجع، عابري موتى، مسافرين دائمًا، وفي انتظار راحة السفر الأخير.

كلنا استثناء...

يستحيل أن تجد آخر يشبهنا، فنحن أيضًا كالموت، لا ناتي -أبدًا- مرتين.

حسنًا، مساء الفرح على الأموات جميعهم.

مساء غير المساءات.

مساء الحكايات الأثمة التي لا تكتب إلا ليلاً، ولا تُقرأ إلا ليلاً.

على مدار عشر سنوات من استنطاق الجثث، هناك جثث تحب البوح
وكشف أسرارها، وهناك جثث تفضل الصمت مؤمنة أن دورها انتهى في
هذه الحياة، وأن أي طبق شهى للبوح لا يخلو من توابل الرياء، وأن
الصمت عند الموت هو أكثر حديثنا صدقًا.

حسنًا، لهم ما أرادوا.

ومساء الورد عليهم جميعًا.

ومساء الورد عليكم أنتم أيها القراء.

مساء الورد يا رسالات حب بيضاء قادمة من السماء.

مساء الغموض عليكم، مساء الجنون.

كم وددت وأنا أتذكر هذا الكم الكبير من الجثث الآن أن أرسل إليكم أحد
الأرواح لتوشوش في آذانكم أنني أحبكم، دون أن تنهروها تمامًا.

هنا مشرحة زينهم.

ومساء الجنون عليكم، مساء الرعب، مساء ظلتكم الرائعة وأنا أضع

كتابي الأول بين أيديكم فوجدتكم على مقعد الذهول المقابل

لحكاياتي، مساء الحب الأول يوم تعتر قدري بكم وبالكتابة، فقررت أن

أقيم!

الحكاية الأولى

دي قصة افتتاح الكتاب، وحييت أفتتحه بحاجة حصلت بعيد عن المشرحة.

القصة دي الحمد لله إنه نجاني منها، ويمكن القصة دي ليها كل الفضل إني أعرف أي دجال أو مشعوذ بمنتهى السهولة، وكمان ليها الفضل إني أكون أنا، محمد الي مسح عن قاموسه أي معنى للخوف.

أحمد كان صديقي أيام الجامعة وما زال، كلية طب طنطا.

كنت في الوقت ده مشهور جدًا في الجامعة برئيس أسرة المستقبل وأدمين منتدى ماجيك دكتورز والرحلات والهلس والمسخرة، وكمان زادت شعبيتي لما رفضت إني أكون أمين إتحاد الطلاب لأنه منصب ميس وغير محايد ولا صاحب رأي.

في الوقت ده ناس حاولت تقرب مني بدافع الحب أو الإعجاب أو الاستطلاع، ويمكن الكره.

الي بيكرهك هو كمان هيقرب منك، مش شرط كل الي يقرب منك يكون بيحبك، فيه ناس بتقرب منك ببحث عشان تسرق ضوءك ونجاحك، وناس بتقرب منك بحقد لأن ضوءك كشف عيوبه، وناس بتقرب منك عشان تعيش عمرها كله بهدف إثبات عدم شرعية نجاحك، في وسط كل الناس الي اتعرفت عليهم في الوقت ده كان أحمد، وأحمد شخص لذيذ جدًا وطيب، ومقبول على المستوى العام، فيه بعض العيوب لكن كلنا فينا عيوب، اتصاحب عليا جدًا جدًا، بقي يجي بيتي وأروح بيته، وأنا بحب أصحابي جدًا.

فجأة اتغير حاله تمامًا، كنا في آخر سنة امتياز، حاله اتقلب، بعد تمامًا عن كل الناس، تحت عينيه بقي أسود بشكل مرعب والولد بقي شكله أقرب للشبح. مبيعيش الكلية أساسًا، ولو روحته ميرضاش يقابلني.

رحلت ثاني وثالث وخامس من غير ما أقابله، في يوم وأصريت إنى أقابله بأي شكل ومرضيتش أمشي، وانفعلت جدًا على أهله وقولتلهم: شوفوا اينكو ماله وكان عندهم برود. لكن أنا كنت أعرف من حكايات أحمد إنهم عيلة مفككة وكل واحد في حاله، لكن كنت متعجب جدًا جدًا ازاي يسيبوا ابنهم يوصل للمرحلة دي، وإيه وصله لكده، لكن زعيقى تقريبًا لم الناس في الشارع، ووقتها كنت مندفع جدًا، فتقريبًا بقت شبه فضيحة عندهم وبقي كل الشارع ييسأل هو فيه إيه؟

ثاني يوم أحمد اتصل بيا وزعق معايا جدًا، وهددني لو رحلت عندهم ثاني، فرديت بعنف وقولتله: أنا عشان العيش والملح مش هسيبك تضيق نفسك لحد ما أعرف فيه إيه، قالي بغربة شديدة وبلهجة كلها غل: وأنا هعرفك أنا هعمل فيك إيه! وخذ عندك بقا.

أول يوم أوضتى بدون سبب ولعت وكل هدومي اتحرقت ولحقنا البيت بالعافية، بعدها بدأ حالي يتغير تمامًا، كسل رهيب، مش بتحرك تقريبًا، عدم رغبة إطلاقًا في الأكل أو الشرب، ضعف عام وصداق. كل ده كان تفسيره بالنسبة لي عادي دور تعب وإرهاق، اللي مكانش ليه تفسير بالنسبة لي حاجة ثانية تمامًا، وغريبة جدًا.

أنا كان دايمًا ليا أوضة لوحدي فوق خالص في آخر دور في عمارتنا منفصلة تمامًا عن الكل عشان أعيش براحتي. عمار عارف كده. والسباعي ده أنتميم عمار وجاري، العمارة في العمارة كل ما أطلع أوضتى ألقاه قاعد على الكمبيوتر بتاعني!

فكان بيحصل معايا التالي:

أجيب مثلاً قنوات مسيحية زي قناة أجاي مثلاً وأسرح قدامها من (١٠) الصبح أبص في الساعة ألقاها ستة المغرب! ازاي أنا معرفش!

(٨) ساعات فاتوا بلمح البصر وأنا صاحي ومش عارف أنا بشوف إيه أساسًا!

في أعياد الأخوة المسيحيين أجيب القداس وأسرح تمامًا لكاهن ساعة لحد ميخلص معرفش عدوا ازاي ولا فاهم بيقلولو إيه!

أنزل ألف بالعربية في الشوارع وفجأة أفوق وأنا قاعد جوه كنيسة من الكنائس في طنطا، أنا بطبيعتي عندي يعنى شبه انتماء ديني كده، أو بمعنى تالي أحب الصالحين ولست منهم، يمكن بسبب حفظي القرآن كاملا في سن صغيرة أوى.

قلقت جدًا، مقلقتش من التعب، لكن قلقت من موضوع المسيحية والكنائس ده. وكنت وقتها، آه قلبي جامد شوية ومبخافش، لكن كنت بقلق زى أي حد لما يحصل حاجة مش فاهمها ولا مستوعبها.

رحت لشيخ عندنا فضيلة الشيخ (عبد العزيز رسلان) قالي: معمول ليك سحر، إداني آيات وأدعية قالي: تقولها قبل النوم على وضوء وتنام هتعرف الحقيقة.

قلتها فعلاً ونمت، أنا بطبيعتي مبخلمش إطلاقاً، وكانت من المرات النادرة اللي حلمت فيها، وكان أبشع حلم شوفته في حياتي.

أرض قذرة أشبه بالخرابات كل شيء فيها مرعب ومقزز، كل أشكال القاذورات في كل مكان، ورائحة عفن قاتلة في كل مكان، موق يتم تعذيبهم، معلقين من أعناقهم بغطاطيف حديدية ويتم تقطيع لحمهم بسيوف، ناس عايشة في زيت مغلي صرختها تقفل ودنك، ناس بينداس على راسها من كائنات ضخمة فتنحطم الجمجمة تمامًا وتساوى بالأرض، وينتشر الدم وأجزاء المخ في كل مكان، أشكال رهيبة من العذاب لكل الموجودين، آلاف الأشكال، وأنا في مكان فوق بتفرج وفي حالة رعب مهولة، وكل شوية حراس يجيبو واحد عندي في المكان العالي ويرموه في الأرض ياخذ دوره من العذاب.

وفجأة لقيتهم جايين أحمد، وعاوزين يرموه من عندي، وكان نفس الشكل اللي شوفته فيه آخر مرة، نفس الشكل تمامًا مع إضافة بسيطة، إن ريعته كريمة بشكل لا يوصف، وقفت أتحايل عليهم ميرمهوش، قالولي: ازاي وهو اللي أذاك! بصيت لأحمد قولتله: أذيتني ازاي؟ سكت، ردوا قالولي: عملك سحر بجن مسيحي ونقشه على صليب. كنت مذهول بس مش فاهم حاجة، قلت لأحمد إنت عملت كده؟ سكت، قولتلم: طيب لو أنا سامحته هتسيبوه، قالوا: هنسيبه هنا، لكن لو فضل في طريقه مش هنسيبه هناك، إنت تقدر تلحقه وتلحق غيره.

صحبت فجأة من النوم مدهول على موبايلي بيرن باستماتة، وصوت أذان الفجر (الله أكبر) وأنا أؤمن بالقدريات جدًا، لقيت أحمد بيتصل، ودي المرة الـ ١٤ التي يتصل فيها باستماتة مكوّنش قادر أرد من حالة عدم الاستيعاب التي أنا فيها، حالة ذهول، من التي شفته والي صحبت عليه، ثم ألكت أعصابي رديت.

- ألو.

- بكاء بنحيب رهيب على الطرف الآخر مع كلام متقطع كل التي فهمته منه شكرًا إنك سامحتني أنا محتاجك جنبي أوى.

- أنا جاي لك حالا.

أحمد كان ساكن في بلد تابعة لطنطا تبعد عنى (١٥) كيلو، نزلت بهدوم البيت، كنت ماشي بالعربية على سرعة (١٥٠) في طريق داخلي كله مطبات، وكأني رايح أنقذ حد ييموت

وصلت عند البيت لقيته واقف على الباب ببكاء، خلى هدومه كأنه واقف في مطر شديد بقاله ساعتين وعينه كأنها دم مش عين.

أخدتته في العربية وبعدت. لا أنا بتكلم ولا هو بيبطل بكاء، قطعت الصمت وقولتله: تعالى نصلي الفجر، ازداد بكأؤه، وقال: مش هينفع!

فضلت ماشي على طريق أستاذ طنطا لحد ما وصلت لأراضي شاسعة مزروعة، ركنت. كان النور بدأ يطلع.

نزلت قعدت قدام العربية، على الأرض وناديتله، جه قعد وكان بدأ يتماسك من الدموع، قولتله: احكي لي يا أحمد، مد إيدته في جيبه وطلع كيس أصفر إدامولي وقال: إديه للشيخ عبد العزيز يقرأ عليه ويحرقه.

رديت باستغراب وذهول، إنت تعرف الشيخ عبد العزيز منين؟ قال: أنا كنت بعرف كل حاجة بتعملها في لحظتها، فتحت الكيس لقيت جواه صليب خشب عليه رموز وأرقام، فهمت، مرضيتش أجرح فيه أكثر، واضح إنه كان منتهي، قولتله: إيه اللي وصلك لكده يا أحمد؟

أخذ نفس عميق وبدأ يحكي:

اللي جاي ده لازم تفهموه كويس جدًا لازم تعرفوا اللي بيقلوا: عليهم روحانيين، ومعاهم جن مسلم، وبتوع ربنا بيعملوا إيه عشان يوصلوا إنهم يبقى عندهم خدمة من الجن، لازم تعرفوا إن أي حد يقول: على نفسه روحاني، ده دجال وكافر.

أحمد كان مع ناس أصحابه من بلده، الناس دول قالوله: ده فيه شيخ روحاني اسمه (الشيخ جابر) بيعرف كل حاجة في الدنيا وممكن يقولك: إيه اللي هيحصلك قدام! وعاوزين نروحله، فضل يضحك ويتريق وقرروا يروحوا من باب القصور والهازار.

جابر ده ساكن في بيت عبارة عن غرفة واحدة ومكان للقعدة كبير، من دور واحد، سقفه خشب ميني في أرض زراعية تبعد عن العمران حوالي (١٢ كيلو) يعني منطقة مقطوعة تمامًا، أخذوا عربية واحد زميلهم وراحوا، كانوا أربعة، ثلاثة مؤمنين تمامًا إن ده رجل روحاني، ويعرف الغيب والرابع اللي هو أحمد شايف إن كل ده كذب وتهرج. غبطوا على الباب ودخلوا.

نادى جابر على كل واحد منهم باسمه واسم أمه، وقعدهم قدامه، أحمد بقا في حالة ذهول. بدأ يخاف، وجابر بدأ يتكلم مع واحد واحد، ويقول: على مشاكل في حياته منتهى الدقة، لحد ما جه دور أحمد، لقاه بيقوله: إنت بقى مش مصدق إنى أعرف كل شيء، وبدأ يحكى لأحمد أدق أسرار الشخصية، أدق أدق أسرار، أحمد بدأ يعرق ويخاف وعاوز يمشي، جابر جابله عصير برتقان وقاله: اشرب بس واقعد، شرب ويا ريته ما شرب.

من لحظة ما شرب العصير وجابر أصبح ليه سلطة مطلقة عليه، مشيوا من عنده وأحمد شبه متخدر، مش واعى للي حواليه ومش شايف قدامه غير عيون جابر المرعبة والسواد اللي تحتها. بعدها بدأت سيطرة جابر عليه، بقى يستدعيه من غير أي وسيلة اتصال، أحمد يقوم فجأة من مكانه كان حد بيعركه يمشي (١٢ كيلو) على رجله لحد ما يوصل لجابر، فيزعقله إنه اتأخر! بدأ جابر يتكلم معاه، إداله كتاب تعاويذ نسخة أصلية، وبدأ يعلمه طقوس معينة، أجبره مروحش الكلية ويبعد عن أي شيء يخص الدين.

أحمد زي المتخدر بقى يعمل كل اللي ينطلب منه وينفذ تعليمات جابر ويقول: تعاويذ الكتاب، ولكن مكانش فيه أي حاجة بتحصل ولا التعاويذ بتعمل شيء.

راح لجابر كالعادة لما استدعاه وسأل جابر ليه التعاويذ مبتعملش أي حاجة، جابر قاله: مش هتعمل إلا لما أديك الإذن وتدخل الخلوة، قاله: يعني إيه؟ رد جابر قاله: لازم تسلم نفسك ليا تمامًا، لازم تعاهدني عهد إنك خاضع تمامًا ليا وتنفيذ أمري بدون مناقشة. وأي مخالفة مصيرها الموت، بعد تردد ولأنه مسلوب الإرادة، أحمد قاله: أعاهدك، رد جابر بكل ثقة، اسجد لي.

أحمد أخذ عشر ثواني واقف، بعدين سجد تحت رجل جابر، وجابر حط رجله على راس أحمد وضغط عليها، أحمد ييقسم إنه لما رفع راسه كان وش جابر وش شيطان أسود وعنيه بالارزة تمامًا للخارج ورقبته وصدره من فوق أحمر دم، يقول: كان منظره مرعب، مرعب، لدرجة إن أحمد بقي يخاف ويرعب منه، وينفذ أوامره دون لحظة تفكير، وبعضها أوامر جنسية قذرة لا داعي لذكرها، بعد فترة قال: لأحمد، قول: لأهلك إنك رايح مكان لمدة (١٠-١٥) يوم وتجيلى يوم (١٤) في الشهر العربي، فسأله يجيب ليس معاه، قاله لأ، متجيبش أي شيء.

يوم (١٤) أحمد راح ليه، قاله إنت هتدخل الخلوة النهارده بالليل، هتدخل الأوضة دي مقفولة عليك وضلمة تمامًا، مش هتخرج من بابها إلا بعد (١١) يوم بالعدد. أنا هاجى أفتحلك، هتاخذ بس معاك تمر. هديهولك، (٩٩) تمرة، كل يوم (٩) تمرات فقط لا غير، وإزارتين ميه، كل يوم كوياية فقط لا غير، قاله والحمام؟ قاله تعمله في أي ركن في الأوضة وممنوع تغتسل بأي مية بعد الحمام طول مدة الـ (١١) يوم، وكل يوم تعمل استمنا في هدومك، وإداله آية قصيرة جدًا في القرآن، وقاله: طول الوقت وإنت صاحي تقرأ الآية دي، لكن بالمقلوب، طلب منه يعكس كلماتها، وعلمه يقولها إزاي، وقاله في آخر ليلة هيظهرلك الخدمة، اوعى تخاف، هيحاولو يخوفوك، اوعى تخاف لحد ما يظهرلك الروحاني الملاك، هيعلمك كل شيء، وأي حاجة يطلبها تقول: موافق، وأنا هاجى أفتحلك بالليل، أخذ جابر من أحمد موبايله قفله، وإداله التمر والميه ودخله الأوضة اللي كانت ضلمة كحل من غير أي شبك، وقفل عليه بمفتاح وقفل وساب جابر البيت ومشى.

نكمل...

والكلام لأحمد:

قالي: بدأت أعمل اللي قالهولي بالضبط حرفيا. وأقول: الآية بالمقلوب، وأكل التمرات، وأشرب كوباية ومفيش أي غسل بعد الحمام وأقوم وأنا ما ريحتي وريحة الأوضة أصبحت لا تطاق وكنت برجع التمر اللي باكله فازداد الموضوع سوءا وقذارة، ومستتي آخر ليلة بفارغ الصبر، ومعرفش أصلا فات أد إيه! وأنا في اليوم الكام؟ لحد ما وصلت لها. بيقولي: أنا أكثر حاجة بخاف منها التعابين، يتربع منها.

وبيقول: قاعد في ركن الأوضة كاره نفسي وفجأة الأوضة كلها نورت نور عالي جدًا. ولقيت تعبان بحجم مهوول بيزحف ناحيتي وبيعمل صوت فحيح، كنت هاصرخ، افكرت كلام جابر اوعى تخاف. فضلت قاعد مكاني بتنفض وبيحاول مركزش معاه، لحد ما وصل عندي وحرك راسه على رجلي. وأنا قلبي هيقف، لكن فضلت متماسك، وفجأة اختفى، والأوضة نورت أكثر من الأول بكثير جدًا، وظهر في آخرها راجل جميل جدًا، بلامح ملائكية، وجه بريء، ودقن بيضاء رائعة، ووجه كالقمر، وقالي: السلام عليكم، رديت عليه السلام، قالي: أنا أخوك الملاك الروحاني طهطائيل، وأنت نلت خدمتنا ببركة سيدك جابر، وقد حددت لك خمس أفراد للخدمة، وستفوق على إشارة بيتنا عندما تحتاج أحدهم أرسله لك، بيقولي: بيتكلم بالعربية الفصحى بصوت هادي ومؤثر جدًا. خلاق فعلاً اتأثرت بيه، وإدي لاهم خاتم قاله: البسه وعندما تحتاج أحد لف الخاتم في إصبعك سيأتي إليك وينفذ أوامرك ولن يراه غيرك، ولكن بشرط أن نأخذ منك العهد أولاً.

أحمد قاله: عهد إيه؟ قاله: من اليوم إنت لست أحمدًا، أنت اسمك (الشيخ صابر) ومطلوب منك أشياء تنفذها، أسقطنا عنك فريضة الصلاة، فلا تصلي أبدًا، وإن اضطررت للصلاة أمام أحد فصلي بدون وضوء، وأسقطنا عنك فريضة الصوم فلا تصوم أبدًا، وأحللنا لك جميع النساء حتى محارمك فيجوز لك التمتع بأي منهن، ومطلوب منك إفساد أي علاقة زوجية ما استطعت لأنها ليست شرعية ومبنية على قوانين باطلة، فهل وافقت، افتر أحمد كلام جابر وقاله: وافقت، قاله: هناك طلب أخير تنفذه الآن فإن نفذته بدأنا خدمتك وأخذت العهد، أحمد قاله: إيه هو؟

أحمد سأل إيه الطلب؟ إداله مصحف وطلب منه يقطع ورقه ويدوس عليه بالشبشب، وعمل كده.

قاله: الآن نحن معك، اطلب ثجاب، هل تود زيارة أي مكان، اختار أي مكان في العالم، أحمد قاله: المغرب، قاله: قم تحرك ثلاث خطوات، قام اتحرك لقي نفسه في المغرب في قلب الدار البيضاء، وشايف كل شيء فيها والناس مش شايفاه، وطلب منه يرجع ثلاث خطوات رجعه فرجع للأوضة تاني، قاله: الآن أنت من أصحاب الخطوة وهذا أقل شيء، انظر إلى أعلى، بص أحمد لقي السما كلها مضيئة ومكتوب عليها حروف كثير لكن مش واضحة. سأل به ده؟ قاله: اللوح المحفوظ، وبعد فترة سأعلمك قراءة الغيب من عليه، الخاتم معك لو احتجتني، سأذهب الآن، ومشى.

أحمد يقول: قعدت ليلتها في شعور غريب، على أد ما أنا كاره نفسي، على أد ما أنا كنت موهوم وحاسس إني ملكت الدنيا كلها وبقي معايا خدم يخدموني في أي شيء، عرفتوا بياخدوا الخدمة ازاي اللي بتقولوا: عليهم شيوخ روحانيين؟ دول كفرة اشترى دنيتهم بأخرتهم.

اقرأوا الآية دي بكل جوارحك، بكل قلوبكم، وأنتوا تعرفو مين الملاك الروحاني اللي ظهر ليه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنَ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

[البقرة: ١٠٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عرفتوا مين؟

عرفتوا مصيرهم؟

ولبنس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون.

الصبح جابر فتح الباب، أحمد كان خارج ريحته وريحة ملايسه لا تطاق، جابر غلاه اغتسل وإداله لبس من عنده، وقعد معاه فضل يعلمه يؤذي الناس ازاي.

من يومها وأحمد بقا يتفنن في أذى الناس اللي ضايقوه في حياته، كلها باستخدام كتاب السحر والخاتم وتعليمات جابر، يحرق لده بيته، يدمر لده حياته، يجتن لده مراته، كم أذى هو نفسه مش فاكرك عدده، لحد ما رحت عند البيت وزعقت فقرر يا ذينى أنا كمان.

أحمد رغم كل ده كان حاسس إنه ضعيف وإنسان قدر وحقير واكتشف إنه لا ملك الدنيا ولا شيء وبدأ يكره القصة كلها ويكره جابر.

واجه جابر وقاله: أنا عاوز أبطل القصة دي، وأرجع لحياتي وخد الخاتم، جابر هدده وقاله: إنت عارف مين اللي معايا، لو طلعت من القصة دي أو قلتها لحد مقتلك هتكون نهايتك عندي، وده العهد.

كل الأحداث دي دارت لحد يوم الحلم بتاعي اللي احنا فيه، سألته طيب إنت حكيتلي دلوقتي ومعملش ليك أي شيء ليه؟

قالي: عشان جابر مات من كام ساعة.

مات ازاي؟ رد أحمد مات ومرمى هناك زي الكلب، قولتله: إنت شفته؟ قال: لأ لكن الجن عرفنى وأنا لقيتها فرصتى أخلص من كل شيء لأنه مش هيقدر يا ذينى.

في اللحظة دي بقيت حاسس إني مش واعي أو بحلم، أو هو إيه اللي بتقوله ده، وخاصة إني كنت طول الحكاية بقول: ده مريض نفسي وبيهزى، قولتله: تعالى تروح نشوفه، وأنا متوقع إنه هيرفض لأن مفيش حاجة كده، إلا إنه قالي: بكل هدوء يلا بس أنا مش همدخل، قولتله: مش هتدخل ليه؟ قالي: عشان هو هتلاقي شكله زي الشيطان، وأنا بخاف من الشكل ده، بقى عندي يقين إنه مريض نفسي.

ركبت العربية واتحرك معايا بوصفلي الطريق، ولقيت في الأرض بيت نسخة طبق الأصل من اللي أحمد وصفه، أول ما قربت منه رائحة لا تطاق، لا تطاق، ووقتها مكونتش اتعودت أبدًا على الروائح دي.

دخلت، تماسكت، وصورت بموبايلي، شفت المنظر الي قدامكو ده، بالضبط.

بعد الموقف ده خرجت ورجعت البيت، أخذت أحمد معايا، رحيت للشيخ عبد العزيز قرأ عليا وعليه، روحنا وشاف كل واحد مننا رؤيا.

أحمد شاف إنه نجا من العذاب وشاف جابر بيتعذب.

أنا شفت إني مطلوب منى أرجع حقوق المظلومين.

صحبت من النوم على اتصال واحدة صديقتي اسمها علياء بتقولي: إنها هتقدم في الطب الشرعي لأنهم طالبين عدد ٤ أطباء شرعيين وعاوزاني أقدم معاها.

اشرطت إنها تجمعالي ورق التقديم، روحنا بعدها بأسبوع عملنا اختبارات متتالية، كنا حوالي (١٦٠٠٠) طبيب، ومطلوب منهم عدد محدود جدًا فقط لا غير،

الجميع كان معاها واسطة قاتلة حتى علياء. وأنا كان معايا الرؤيا الي شفتها لا غير، ورفضت أي واسطة.

وكنت الاسم الأول بين الناجحين!

من يومها، لا يوجد في قاموسي كلمة رعب، وما يخافه الناس بجنون، هو بالنسبة لمحمد، كوسيدا، كل الكوسيدا.

الحكاية الثانية

القصة دي عارف إن معظم الناس مش هتصدق، أنا نفسي لو كانت القصة دي اتحكّت لي ما كنتش أصدقها بسهولة، ولو كانت حصلت ليا وحدي كان ممكن أعتبر نفسي في حلم، أو بتخيل أشياء من التوتر والضغط النفسي، أو ممكن أكون وَاخِد حبايه الفيل الأزرق، لكن بما إن كان فيه غيري شخصين حضروا القصة بكل تفاصيلها فكان لازم أصدق، ولحد النهارده كل ما نتجمع إحنا الثلاثة بتفتكر أحداثها بنفس الدهول، نبدأ...

المكان: مشرحة زينهم.

الزمان: سبتمبر ٢٠١٦.

التوقيت: العاشرة والنصف ليلاً.

في الأول لازم تعرفو سيستيم الشغل عندنا بيكون ازاي، بيكون فيه بلاغ بحالة جنائية، بتتحرك الشرطة فوراً تعالين، بعدين تستدعي النيابة تعالين، بعدين بيعتولنا الجثة المشرحة ومعها قرار تشريع، وأحياناً بتيجي الجثة من غير قرار وتفضل في التلاجة لحد القرار ما ييجي، والقرار ده بيوصل مع موظف نيابة، أو أمين شرطة، وأحياناً مع الأهالي، والجثة بتيجي في سيارة إسعاف وفي حالات نادرة جداً بتيجي في سيارة الأهالي، الجثة لما بتوصل بيعتقلها فني التشريح الموجود في أوضة ملحقه بمبنى المشرحة من الخارج، يدخلها ويسجل بياناتها، ولو معها قرار تشريع بيعتدعي الطبيب النوبي عشان يشتغلها، وفني التشريح في اليوم ده كان اسمه (شعبان) وده الدير هريان منه تماماً.

في الوقت ده أنا كنت مسافر أمريكا بعد أيام، في مهمة رسمية فالريس قال: لازم أخلص القضايا اللي معايا قبل ما أسافر عشان متأخرش القضايا عندنا (الريس بتاعنا إحنا اللي قال، الريس الثاني مبيقولش بيعمل على طول). فقررت إني مش هشتغل أي قضايا تاني عشان أخلص اللي معايا، ووقتها الريس كان مُصر إني أبات في المكتب بتاعه؛ لأن كان فيه اجتماعات ومؤتمرات كل يوم الصبح خاصة بالعلاقات العامة، والإعلام للطب الشرعي مع جهات أجنبية وأنا بالمناسبة مدير العلاقات العامة والإعلام، وكان مُصر على كده خاصة إنه عارف كويس إن أنا لو روحت غبت في البيت يوم السبت؛ على وعد إني حاجي الصبح بدري فبتصل بيه التلات بالليل أقوله: (صبح الخير)

وبالتالي أنا الشخص الوحيد (الحي) اللي متواجد في مبنى مشرحة زينهم الست أدار مع حوالي (٢٠٠) جثة و (٥٠٠٠) هيئة أعضاء من جثث.

الساعة تسعة بالليل قاعد في المكتب بكتب القضايا وزهقان، اتصلت بشعبولا قولته: لو جت حالة اتصل بيا أنا هنزل أشتغلها عشان زهقان.

الساعة عشرة ونص بالليل تقريبًا اتصل بيا شعبان: أيوه يا ريس (ودي كلمة بتقال عندنا للي فوقك عشان محدش يفهمني غلط)، فيه حالة جت.

- سألته ظروفها إيه يا شعبان؟

- قالي: بنت سورية أختها بتقول إنها منتحرة بس أختها حلوة أوى يا ريس.

الديب هريان منه.

- طيب يا شعبان، جهزها وأنا نازل.

هنا بقي لازم تفهمو المشرحة مبنية ازاي عشان تفهمو اللي هقوله.

المشرحة ليها مدخل واحد بس من داخل المبنى، بيدخل منه العاملين فيها، أما الجثث بتدخل عن طريق باب خلفي. الباب ده حديد مصفح، وفيه فتحة تسمح بدخول الجثة بس، وممنوع مخلوق يدخل جوه، وفيه شباك حديد بنتكلم منه مع أي حد موجود لو حينا نتكلم، فيه جوه قاعتين تشريح كبار كل قاعة فيها ترايبزين تشريح، جنبهم التلاجات اللي متقسمة على هيئة أدراج محاول أنزلكم صورة ليها. كل درج من دول

بیتفتح ویتحط فيه الجنة، آخر المشرحة فيه غرفة صغيرة فيها واحد اسمه الشيخ (سعيد وزوجته) وده هو اللي بيقوم بعملية الغسل والتكفين بعد التشريح، الغرفة دي ليها باب صغير جدًا. ومعزولة بباب حديد عن المشرحة عشان لو حد من الأهالي حب يحضر الغسل، بعدين يتسلم الجنة للأهل من نفس الفتحة اللي دخلت منها، عاوزكوا تتخيلوا الشكل كويس.

هاتلي يا شعبان أختها، شعبان نده عليها، جت وقفت عند الشباك الحديد، قالها الدكتور عاوز يتكلم معاك، مردتش.

بدأت كلامي كالمعتاد، البقاء لك هو إيه اللي حصل؟

- قالت بكل برود: انتحرت.

البت كانت جميلة جدًا. الجمال اللي يبهرك، وأنا راجل بمقدر الجمال الصراحة، وفي نفس الوقت باردة جدًا، مقيش أي إيموشنز في تعابير وشها، لكن جمالها خلاني أركز معاها الصراحة.

كانت لابسة شيميز مقلم أبيض في أسود، طرحة على الاستايل السوري لونها تريكواز، وجينز أزرق.

وهنا عاوزكو تعرفو إن الطبيب الشرعي حياته كلها الملاحظة والتفاصيل، لدرجة بتشغل كل حياته، فيلاحظ أي حاجة مهما كانت صغيرة أو ملهاش لازمة، ودايما مؤمنين إن الشيطان يكمن في التفاصيل.

المهم، قولتلها انتحرت ازاي؟

- دبحت نفسها.

- بسهولة كده؟

- آه.

- غريبة، وانتى كنتى فين؟

- مكونتش موجودة.

- وإيه عرفك إنها دبحت نفسها؟ ما يمكن حد دبحها؟

- لا أنا عارفة إنها دبحت نفسها، هي قالتلي: إنها متعمل كده.

(البنيت بتتكلم ببرود رهيب غير طبيعي، مقيش أي تعابير ظاهرة على وجهها إطلاقاً حاجة غريبة جداً، لا ابتسام، ولا دموع، لا حزن، ولا فرح، حاجة كده كأنه ميت بر بيتحرك وبيتكلم).

- فبن السكينة اللي دبحت بيها نفسها؟

- الشرطة أخذوها.

لسه أنا في حالة حيرة بين جمال البنيت، وبرودها، وقولتها: انتي جيبتيتها هنا ليه وإزاي؟ قالت: أنا جيبتها عشان تغسلوها وتكفنها وشيلتها حطيتها في عربيتي وجيبتها هنا.

- بس انتي هدومك عليهاش دم؟

- لما نزلتها طلعت غيرت هدومي.

- بدأت أشك وقولتها: فين عربيتك؟

- وديتها مغسلة.

ردود باردة ومستفزة لأقصى درجة ممكنة.

قولتها: طيب بصي يا ماما، دي لازم تتشرح، وعشان تتشرح لازم قرار من النيابة، والنيابة تعابن، قالتلي: ما النيابة عاينت وأنا اديت للأستاذ قرار النيابة، شعبان ادهولي، قرينه بسرعة صحيح ومختوم، قولتها: والشرطة مجابتهاش هي ليه ما دام النيابة عاينت وكل شيء؟ قالتلي: هما مشيو عشان يبعثو إسعاف فأنا جيبتها وجيت.

قولتها ماشي، هنشرح ونشوف

ردت بنفس البرود، وكأنها بتديني أمر، أنا مش عاوزاها تتشرح.

قولتها: ده مش بمزاجك، مرديتش، اتفضلي اقعدى وأنا هنا ديلك لو احتجتك.

شعبان اذالها بأسبور البنت بعد ما أخذ البيانات، وطلب منها تصويره في أي مكتبة وتجيبه.

- البنت دي مش مريحاني يا شعبان.

- بس حق الله فرس يا ريس.

الديب هربان منه تمام.

- قولتله: طيب بلا نشتغل.

ليسنا الجوانتيات، جاب البنت، حطها ع الترابيزة، بسم الله.

بشيل الغطا من عليها.

أعاليها، دي هي البنت اللي بره؟؟؟

شعبان: آه صحيح شبه الفرس يا ريس.

نسخة طبق الأصل من البنت اللي بره بس اللبس مختلف، مش قصة إخوات، لا، ده توأم مطابق حاجة كده زي حسام وإبراهيم.

(بدأت الريكوردنج)

«الجثة لأثنى في بدايات العقد الثالث من العمر، متوسطة القامة والبنية، ترتدى تي شيرت أبيض اللون، وبتطال جينز أسود اللون، وحمالة صدر بيضاء اللون، وسليب داخلي حرمي أسود اللون، وطرحه سوداء، حافية القدمين، والملابس جميعها عليها آثار دماء، وغالية من القطوع والتمزقات المشتبهة، والجثة في حالة بداية التيبس الرمي، وعلامات التحلل لم تظهر بعد، وقد تبيناً (نمل) يخرج من الأنف والأذن (النمل ده بنشوفه في حالة جثة اترمت في شارع، أو مكان فيه نمل كثير أوى لمدة يوم ولا اتنين خاصة لو طفل لقيط، لكن البنت دي ميتة من ساعات، وهدموها معليهاش تراب عليها دم بس ومفيش أي شيء يدل على كده) نكمل:

وقد تبيناً بها من الإصابات الحيوية الحديثة ما يلي:

- جرح ذبحي مستوي متباعد الحواف، يشمل مقدم العنق على شكل حرف S بطول كلي قرابة (٢٠ سم).

- جرح مستوي متباعد الحواف بطول (٤ سم) بباطن أعلى اليد اليمنى، أسفل أصابع البنصر والوسطى، مستعرض الشكل على غرار الجروح الدفاعية.
صورت صورتين.

شعبان، الجثة دي مش انتحار والبت اللي بره دي مش مريحاني، ناديهالي ثاني كده.
طلع شعبان دور على البنت ملقهاش إطلاقاً. وأنا قاعد ألف حوالين الجثة ومش مرتاح جرح الـ (S) ده غريب، وشوفته مرتين، المرة الأولى في صور كانت بتوثق حادثة سفاح بني عزار اللي حصلت في بداية القرن ده، والتانية شفتها في حالة في مشرحة واشطن دي سي. وكانت لجثة واحد من عبدة الشيطان، وكانت حاجة غريبة عليها جدًا، ويومها لما سألت الطبيب الشرعي هناك، قال: إن حرف الـ (S) ده بيرمزو بيه لـ (Satan) أو الشيطان وده معيودهم.
أنا مش مرتاح يا شعبولا.

يقولك إيه: دخل الجثة دي التلاجة، واستنى لما تيجي مذكرة النيابة نشتغلها، ومحدث يشتغلها غيري، وخلي الفايل ده معاك اللي فيه قرار التشريح على ما تيجي المذكرة وعرفنى.

شال الجثة حطها في أحد الأدراج ساعدته عشان كان لوحده، قلعت الجوانتى، وطلعت المكتب.

فمت الساعة واحدة.

الساعة اتنين ونص بالليل عشر اتصالات على موبايلي من شعبان، طبعاً الموب سايلت ومبردش.

باب المكتب بيخبط بغباء.

صعيت، بيع في الساعة شفت الميسدات وقلت فيه كارثة تحت.

فتحت لقيت شعبان.

فيه إيه؟ بالراحة يا لطخ.

لقيت شعبان وشه أحمر على غير طبيعته، شعبان أساساً وشه ملهوش لون، ولا طعم ولا ريحة، حاجة كده شبه الكائنات الفضائية، وبنته في المشرحة واحد من أقرب السلالات للجنس البشري وفقاً لنظرية التطور.

قالي: أنا مش لاقى الجثة بتاعة البنت السورية!! قولتله: تلاقيها مستخبية هنا ولا هنا، وبدأ صوتي يعلا، خاصة إن كله عارف إن أنا تقتلني ممكن أسامحك، لكن تصحيني من النوم لأ.

- أنت بتستظرف يا شعبان؟؟

- شعبان بصوت مهزوز والله ما لاقياها.

أممممم، هيا ليلة باينة من أولها، قدامي

نزلت معاه طول الطريق بيعكيلي إنه بعد ما حطها في الدرج قفل باب المشرحة، وطلع قعد في الأوضة بتاعته مع الشيخ سعيد ومفتاح الباب في جيبيه، ومن شوية جه أمين شرطة من مباحث العبور بجثة تانية خالص، فسألته فين مذكرة الجثة اللي جت من عندكو من شوية، قالي: أنا الموجود من الساعة (٨ المغرب) ومفيش أي جثة عندنا، راح شعبان بسخرية يفتح الدرج عشان يصور الجثة وورقة البيانات اللي بنحطها على أيديها ملقاش الجثة، دور في أدراج المشرحة درج درج ملقيهاش، اتصل بيا وبعدين طلعتي.

سألته، فين الشيخ سعيد؟

- قالي: نايم في الأوضة، قولتله: يا حمار هتلاقيه فكرنا خلصنا ونقلها أوضة الغسل، رد ببلاهة الشيخ سعيد نايم جنبني من زمان.

دخلت المشرحة قولتله: ناديلي الشيخ سعيد.

الشيخ سعيد جاى بيتاوب، داخل بيقول: لا يا ريس أنا نايم من الساعة عشرة أساساً، مشوفتش جثث أصلاً!!

مين زور جوازين سفر بتوع البنت وأختها بمنتهى الدقة اللي لا تثير أي شكوك؟

مين يقدر يدخل المشرحة اللي ملهاش غير باب واحد مقفول بإحكام، ومجرد فتحه
بيعمل صوت صرير يجيب من على بعد كيلو، وكان مؤكد شعبان سمعه وهو في الأوضة
اللي جنبه مباشرة وبابها مفتوح!

هل اللي دخل كان عنده الوقت إنه ياخذ الجثة، يغسلها بمنتهى الهدوء في أوضة الشيخ
سعيد ويخرج من فتحة الجثث بمنتهى السهولة!!

مين أخذ قرار التشريح؟

الأخت كانت اختفت فين؟

مين البنت دي أساساً؟

فين أهلها؟ أو أي حد يعرفها؟

جه منين النمل؟

مين عمل جرح الـ؟

مبلاقيش أي إجابات وبيسيطر عليها شكل البنت البارد بدون انفعالات، وهي بتقولي
بصوت معدني مش عاوزاها تتشرح!!



الصفحات التالية تحتوي على صور
قد لا تناسب الصغار وضعيفي القلوب.
لذا وجب التنويه!



الحكاية الثالثة

رَجَا على مدار عملي كله، كنت أترك القضايا ومشاكلها دائماً عند باب المشرحة، لم يحدث يوماً أن يشغلني التفكير في قضية خارج أسوار مشرحة زينهم الزرقاء. التفكير يكون إما في المكتب أو قاعة التشريح، وحدها التقارير تُكتب في البيت بعد أن أكون قد حسمت أمر القضية تماماً.

فادر جداً جداً ويعدد أقل من أصابع اليد الواحدة أن يرافقتك طيف جثة في بيتك، أن يظهر وجهها في نومك، أن تُحيط روحها بك أينما ذهبت.

أما هذه القضية فهي استثناء، استثناء ليس لأنها فقط راغقتني أرواح جثتها يوماً ومحاول روحاً وطيفاً، على مدار أيام؛ بل لأن الأمر تعدي مجرد الأحلام والإلهام والطيف إلى روح تلامسك عياناً بياناً؛ بل وتحاول الاعتداء عليك.

هل سمعت قبل ذلك عن جثة تجبر محقق على أن لا يبوح بسرّها؟ كانت مأساة، مأساة، مورس فيها كل أنواع السحر السقلي والدجل والتلبيس والشعوذة وسحر السيمياء، ولكن حتّى مَنْ كان الله معه، فمن عليه!

المكان: مشرحة زينهم.

الزمان: يناير ٢٠١٧.

التوقيت: الثانية عشرة والنصف ليلاً.

انتو كمان اقروا القصة ليلا عشان يوصل معناها، اطفو النور، اقلو الستائر، واستمتعوا.

الحادية عشرة ليلا دارت هذه المكالمة.

- الوووو، ازيك يا شعيولا، مراتك ولدت ولا لسه؟

- ازيك يا معالي الرئيس. لا لسه بتولد والله.

- طيب يا شعبولا رينا يقومهالك بالسلامة، مش عاوز حاجة طيب، مش عاوزني أجملك،

- أنا في المشرقة يا ريس-

عزائک و جداها یا مجنون مشرحة، منزلتش حد مکانک لیه یابنی، أنت سایب؟

- يا ريس امي معاها وأنا مبحبش المرقعة وتقعّد تصوتلي وهي بنت كلب كهينة فكنت هطلقها وأجي خاليني هنا أحسن. وبعدين ما تولد ولا تتنيل أنا مببشغلنيش الكلام ده.

- طيب إيه اللى عندك ومين شغال؟

- دكتور عمرو واتصلت بيه كذا مرة مردش. وعندي حالة أم وابنتها وبنتها.

- طيب استنى هو معايا على الويتنج أهه، خليك معايا.

- إيه يا مورو ازيك؟

- ازیک یا حبی بقولك إيه.

- فيه حالة بولادها وعاوزني أروح أشتغلها بذلك.

• أنا نفسي أفهم هو ليه الـ*** اللي هناك دول مبيخبوش عنك أى حاجة؟

• والله أنا اللي متصل، عنيا يا عمور هلبس وأنزل.

حبيب بن سلام

4

- إيه يا شعبول أنا جاي أنا هشتغلهم.

- تمام يا ريس في انتظارك.

ويجي قافل على طول شعبان مبيستناش، مبيحبش المرقعة بتاعة سلام سلا سلا سلام
اتفضل اتفضل اتفض سلام.

لبست ونزلت. الجو برد جدًا ومطر، اضطررت أمشي بالراحة، الطريق من التجمع
للمشرحة تقريبًا أخذ ساعة إلا ربع، على ما وصلت تقريبًا كانت (١٢:٣٠).

دخلت، شعبولا بيسمع على الموبايل مطربة اسمها شفيقة ومندمج.

دخلت، قولتله: فين الزباين؟ قالي: ست كبيرة وتلت زعازيع صغيرين.

قولتله إنت يابتي مش قايل واد وبنت؟

قالي: مش عارف والله أنا دخلت أطلعهم لقيتهم تلت عيال، قولتله إنت عارف يا شعبان
أنا لو مش بحبك؛ كان زمانك دلوقتي في حلايب وشلاتين أقسم بالله. وبدأت أزعق يعني
إيه مدخل جثث بورق مش عارف عدددهم، سكت وبدأ يتمسكن. والله يا ريس أصل
أنا مراقي بتولد ودماعي مش فيا، ومشغول جامد مش مركز، أهأا مش دي اللي مبيحبش
المرقعة وتولد ولا تتنيل ميشغللكش، قال: آه أصلها بنت كلب كهينة.

تنتهي كل محادثة بيتنا كالعادة بإتي مقدرش أمسك نفسي من الضحك، مأساة شعبان
إنك مستحيل تبقى عارف هو بيهزر ولا بيتكلم جد، فرحان ولا زعلان، مستحيل، لأن
وشه مش بالمقاييس البشرية بتاعتنا اللي بيبان عليها، وشه جلدة كاوتش محفور فيها
أماكن أعضاء الحس لجوه مش لبره، وصوته معدني ثابت طول الوقت.

بصيت على الحالات، الست شكلها غريب، مزرقة بشكل أوفر، عليها حنت أسمنت،
ملاح وشها أسفكسيا خنق، الملاية اللي اتخنقت بيها ملفوفة حوالين رقبته، إحساسي
بيقولي إنها هتحتاج شغل، مش حالة منتهية، لأ، واحنا بنوصل بعد فترة لدرجة من
الإحساس بالجثث بتخليك من لحظة ما تشوقها تعرف منهيّة ولا لأ، هتتعبك ولا لأ
فيها التكة ولا لأ. ودي فيها، وفيها كثير.

طيب، هطلع أغير هدومي وأشرب قهوة على ما تجهز كل جثة على ترابيزة ورن عليا.
طلعت المكتب في الدور التالي، عملت قهوة أمريكيان، شربتها وأنا بتابع قنوات الأخبار،
غيرت لبسي، واستنيت شعبان يرن.

الياب يخطب شعبان، ثم يقول: يا بني رن عليا، أصل أمي اتصلت بيا يا ريس وقالتلي: إن القوية تحبنة والضعيف مش راضي يتلف وشكلها هتموت واتصلت بهشام يبجي مكاني لقيته في اليوم، طيب طلعت الجنة. قالي: أه الأربعة على الترابيزات، من المرات النادرة اللي أشوق شعبان هه مضيق بسنة كده، طب خد مفتاح العربية أهه واطلع على مراتك ولو فيه حاجة كمنني يا ريس وأنت هتفضل لوحده هنا أزاى؟ ومين هيدخل جثث؟ ومين هيكتب ورق؟ قولته ملكش دعوة، امسك المفتاح، يا ريس أنا هشوف تاكسي طيب، امسك وفيه خلوس في الدرج اللي فوق القفيس على طول خد منه اللي أنت عاوزه.

مني وهو بيوطم، عملت قهوة ثاني، خاصة بعد ما عرفت إن السهرة صباحي، نزلت، ماني في كوريدور المشرحة، إحساس إنك معاهم لوحده برضه إحساس ثاني، حوالي (٢٠٠ جثة) حواليك في كل مكان. خدي التفكير، يا ترى الـ (٣٠٠) دول مين فيهم كان كويس ومين وحش؟ مين دلوقتي في الجنة ومين في النار؟ مين مبسوط وسعيد ونفسه القيامة تقوم؟ ومين مرعوب وخايف ونفسه متقومش؟ وهل ممكن يبقى فيه كويسين وتكون نهايتهم تشريح؟ طب ما أنا شفت ناس كثير على ترابيزة التشريح كأنهم البدر ليلة النعام، وشفت جثث متحللتش في الأرض بعد دفنها بسنين، إذا مش مقياس التشريح من عدمه، بالعكس، ده ممكن له مقابل عند ربنا، ده ممكن يغفر بيه ذنوب كثير جدًا زي مثلا البنت اللي كان عندها (٨ سنين) في براءة وردة واغتصبت واتقطعت حتت وهي صاحبة، هل نهايتها بعد كل العذاب اللي شافته ده، تشريح؟ يبقى أكيد ربنا عنده مقابل لده، مؤكد، آلاف الأمثلة اللي ما تجيش أبدًا غير وأنت وحدك وفي مكان فيه رهبة زي ده، رهبة الموت، الحقيقة الوحيدة على الأرض دي. الحاجة الوحيدة اللي بيتشابه فيها كل الجنسيات والأشكال والألوان، مصر واحد.

دخلت القاعة الأولى فيها جثة ولد وبنيت، دخلت القاعة الثانية، فيها جثة الست وطفل رضيع معاه.

طيب هبدأ بالست، إيديها طالعة خارج الترابيزة بشكل غريب، لبست جوانتي، دخلت إيديها جنب جسمها، لفيت بس عشان أجيب المشرط والأدوات، حسيت حركة ورايا، ببص لقيت إيديها الثانية هي اللي خارج الترابيزة، دايما بتعامل هنا مع أي شيء بالمنطق إلى أن يثبت العكس، واضح إن لما رجعت إيديها اللي كانت متخشبة جنب جسمها،

الأبد الثانية انزقت فنزلت من الناحية الثانية خاصة إن الجثة مليانة شوية، بهدوء رحت دخلت الإيد الثانية، ورجعت أجيب الأدوات، جيبتها وبلف، أحبيبه!!

رجلها الشمال خارج الترابيزة تمامًا، وده بقى لا علم ولا منطق ولا أي شيء، أولاً: لأن الرجل متخشبة وثابتة تمامًا على الترابيزة، ثانياً: لأن الترابيزة ليها جوانب عشان الدم ميخرجش بره والجوانب دي متقدرش الرجل تتزحلق من عليها بسهولة، فيه جثث إحنا بنبقى عارفين إن فيه شيء ما وراي رافض التشرريح. بشكل أو بآخر، البعض بيقول قرين، والبعض بيقول روح، والبعض بينسبها للجن، ولكن المحصلة إن فيه رفض للتشرريح موجود، وبالتالي بيحاول إنه يبعدك بعدة طرق بالتدريج، والطرق دي تقريباً كلها معروفة لبنا، الأول هيخوفك بحركات خايبة، بعدين هيبدأ يزعجك بأصوات وأشياء ممكن تبوظ، ولو أنت ضعيف ممكن توصل لدرجة إنه ياذيك، وكده رسالتها الأولى وصلت ولازم يكون ردك قوي عشان تحسم الأمر، جبت الأدوات حطيتها كلها على الترابيزة، جبت قطعة قماش أبيض طويلة دخلت رجلها وربطت الرجلين في بعض، بعنف، كده أنت رديت على الرسالة الأولى ووصلتها إنك مبتخافش، هتبدأ القصة الثانية، المشارط هتتقطم كل ما تلمس جثتها، منشار كهريائي هيبيوط، جيقت هيستني، أي شيء من ده، وده اللي حصل، وبيكون ردك في الوقت ده هو البرود المتناهي والإصرار على إنك تكمل، يتكسر مشروط تجيب الثاني، يتكسر الثاني، تروح تجيب الثالث، يتكسر الثالث فبكل هدوء كده وبرود تروح تجيب علبة المشارط كلها تحطها لها في حجرها. وتطلع واحد ورا واحد، كده بتوصل الرسالة الثانية إن متحاوليش، بتبدأ بقى شيء من الإزعاج الشبيه بالمس ودي حاجة روحية خالصة. طول ما ربنا معاك بيقين مستحيل شيء ينتصر عليك، إبليس نفسه، أعتى الجن وأكثرهم إجراماً قال لربنا، بكل ثقة، **{لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}** وبعدين افتكرو حدوده، فكمل بسرعة، **{إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْخَالِصِينَ}** ده أقواهم وأكثرهم إجراماً، فرد ربنا عليه: **{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (*) وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ}**، ورد في إيه ثانية، **{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (*)}** إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون صدق الله العظيم، ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثاً، لكل الديانات السماوية بوجه كلامي. لو ربنا معاك مين عليك، اوعى تلجأ لساحر أو دجال لا في كنيسة ولا في مسجد، الجأ لخالق الساحر والدجال والجن اللي معاهم.

المهم، فشلت كل محاولاتها فبتستسلم تمامًا لكن الي حصل مبيعد بش كده، ده بيديك انطباع إن الست دي كان ليها نشاط في الاتجاه ده، وإن القصة مش هتنتهي بانتهاء التشريح، كلنا عارفين إن ما دام حظك وقعك في جنة من دول يبقى هتعا في كام يوم لحد ما تنصر، لأنهم رغم ضعفهم بيحاولوا كثير، ومبيستسلموش بسهولة أبدًا.

قرئت مذكرة النيابة بسرعة، التفاصيل باختصار بتقول إن (هدي) دي واحدة مطلقة، ومعها ولد شاب وبت، وإن ليها أخ راح يزورها لقائها لسه والدة طفل صغير رضيع رغم إنها منفصلة عن جوزها من سنين، فانتقم منها بخنقها بداعي الشرف، طيب والولاد باقي المذكرة بتقول التالي: «إن ابنتها الكبير راح للمباحث وكان في حالة هستيريا ولم يكن مترن وقال: إن خاله قتل أمه، وحط عليها أسمنت ومياه في حفرة عملها في البيت وما الابن وصل البيت هرب، وإنه لما لقي أمه انتقلت خاف على أخته والطفل الرضيع فقرر يقتلهم وينتحر، وإنه فعلاً أخذ حبوب اسمها حبوب الغلة. وبعدها بشوية مات في القسم» المباحث راجعت كاميرا محل في المنطقة لقيت أخوها اللي اسمه (صلاح) خارج من البيت في زمن الجريمة وإن ليها أخ ثاني اسمه (زكريا) عايش في بلد ثانية ولم يتواجد إطلاقًا، وإن الابن كان جوه البيت أساسًا قبل الجريمة بتلت ساعات ومخرجش راحوا يقبضوا على الخال بعد (٥ ساعات تقريبًا) من الجريمة. لقيوه ميت بالمنظر اللي هتشوفوه تحت. وإن هما بيحاولو نقله للمشرحة، يعني إيه بيحاولو نقله مش فاهم، وإيه ألعك ده كله؟

يعني خال قتل أخته وحاول يحطها في حفرة، والابن قتل أخته والطفل الرضيع وبعدين انتحر!! طب راج القسم ليه يعني؟ خايف على العدالة أوى، والعلم كمان مات، وإيه بيحاولو ينقلوه مش فاهم، طيب خيلنا ناخذها واحدة واحدة.

بدأت الريكوردينج.

«الجنة لأننى في العقد الخامس من العمر، متوسطة القامة، ضخمة البنية، يغلب على جلدها اللون الأزرق، عليها بعض القطع الإسمنتية، ترتدي قميص نوم حريري وردي اللون دون ملابس داخلية، ويظهر عليها عدم اهتمام تمامًا بالنظافة الشخصية، مع وجود آثار وضع منذ يومان تقريبًا، الجنة في حالة تيسر رمي، والرسوب الدموي بلون قاتم في الظهر وخلفية الساقين، وعلى وجهها تبدو ملامح أسفكسيا شديدة، مع وجود ملاءة

مرور ملتفة حول عنقها ومربوطة بإحكام. بإجراء الصفة التشريحية تبيننا الأعضاء الداخلية في بدايات نعفن!!! (والكلمة دي هتبقى مشكلة بعدين) ورائحة مقبته، بالرقبة تبيننا آثار الانسكابات الدموية التي تؤكد وفاتها بسبب الخنق برفع الملاءة حول العنق، تبيننا آثار حز عميق جدًا موضعها وصل إلى العضلات الداخلية للعنق؛ حتى ضغطت بعنف على المجري العلوي للقصبة الهوائية والبلعوم مما أدى إلى بروز اللسان خارج الفم، وهذا يشير إلى أن القوة المستخدمة في الخنق كبيرة جدًا تتجاوز ثلاثة أفراد كونها بملاءة قماشية.

على جسدنا بعض الرموز والأوشام بلون أخضر وبعض الجمل غير المفهومة، وكذلك جدول صغير على الظهر يحتوي على أرقام غير مرتبة. تُعزى الوفاة إلى اسفكسيا الخنق، ووفقًا للمظاهر التحليلية فقد مضى على الوفاة قرابة ٢٤ ساعة تقريبًا.

ركزت شوية مع الرقبة وأنا بوصفها وبشيل الملاية وبيفتح عليها بالمشروط، أخذت تقريبًا ثلث دقائق، برجع عشان ألقى نظرة عامة أخيرة، لقيت رجليها الاتنين مفكوكين، وخارج الترابيزة، والقماشة البيضاء اختفت.

ضحكت، قتلها خلاص انتي حرة هسيبك بأشياءك بره كده من غير خياطة لحد ما يبجي شعبان وهو يتعامل معاك، تدري ليش؟ لأن شعبان مبيعشش المرقعة وإنتي بتتمرقعي. سيبتها ونقلت على جثة الرضيع.

الساعة اتنين وربع تقريبًا، الجثث جاية من العياط جيزة، حببي مفتش مباحث هناك، قلت أكلمه قبل ما أكمل، خرجت من القاعة، كلمته كان صاحي، احكي يا شهرزاد.

- قال: والله يا دكتور أنا ما فاهم حاجة ودماعي هتشت من ساعتها، ليه يس؟ قال: دلوقتي فيه محل في وش البيت، الكاميرا اللي فيه جابت الست وهي داخله البيت الساعة ثلاثة العصر، قولتله: ثلاثة العصر امتى؟ قال: من عشر ساعات. قولتله: هي مين؟ دي بقالها أكثر من يوم ميتة!! قال: أقسم بالله الفيديو قدامي أنه داخله البيت ثلاثة العصر وابنها كان جوه البيت من بدري، وأخوها جه بعد ساعة تقريبًا والكاميرا جايها هنتهى الوضوح، قعد معاهم نص ساعة وبعدين الابن خرج اشترى حاجة من المحل اللي في وشهم ده، ودخل وبعد نص ساعة تانية الخال عشي والابن كان بيوصله

لعربية ومشي هو كمان. ركب عربية ومشي. وكل ده متصور كانت الساعة خمسة
لغريبك، الابن راج القسم. حتى الموال الغريب بتاعه ده ومات. رحنا نشوف مين خاله
ونجيبه. لقينا ليه التين أخوال. واحد مسافر بره من (١٢ سنة) ولا شافهم ولا شافوه
والثاني وصلنا لبيته والتأكدنا إن هو اللي كان موجود من عربية. لقيناه على الأرض ميت
ومتوفى ورائحة لا تطاق كأن بقاله أسبوع وعليان دود وحشرات بتطير. ولازق في الأرض
لا حد قادر يستحمل يقرب منه. واللي بيقترب منه مش قادر يحركه!! امممم، وانتوا
اتأكدتوا يا باشا إن هو اللي كان عند أخته؟ ما يمكن حد شبهه؟ يا دكتور كل جيرانه
شايفينه وهو نازل، وشايفينه وهو خارج وهو راجع، وبيركن عربية وطلع بيته وشاور
للناس، واتكلم مع واحد، وبعدين خلي عشرين شاهد بيكذبوا، الكاميرا كمان هتكذب؟
امممم، هيا ليلة سودا وعمرو خلج منها ولبسني فيها، عمرو مين يا دكتور؟ لا يا
حبيبي متشغلش بالك، مشغل كده وهيقى أبعثلك لو فيه جديد، سلام، سلام.

دخلت القاعة لقيت إيديها الشمال كمان بقت الترابيزة مع منظر بطنها مفتوحة
والجمجمة منشورة الموضوع زاد بشاعة، كل ده برضه لسه في إطار العادي لحد دلوقتي،
بصيتها، قولتها والله لو لعبتي باليه ماني حتى لسه هلبس جوائتي تاني؛ لقيت اتصال
من مباحث العياط، ألو ازيك يا دكتور؟ ازيك يا أحمد بيه؟ قال: أنا كنت عاوز أعرف
بس أي معلومات تساعدنا في قضية الست وولادها. قولتله: أنا لسه قافل مع محمود
بيه حالا ومتكلم معاه، قال: محمود بيه مين؟ عنتر؟ قولتله آه، قال: محمود بيه قاعد
قدامي بقاله (٤ ساعات) وهو اللي قال: أكلكم، نعم اديهوري، هو أنا يا ريس مش لسه
قافل معاك؟ قال: أنت بتتكلم جد ولا تهز؟!! أنا مكلمتكش من تلت شهور، عشان
كده قلت لأحمد يكلمك عشان محروج أكلكم فتقول مبيتصلش غير عشان شغل، اللي
جه في بالي تمامًا إني كلمت حد تاني، بس مين تاني ليه نفس الاسم وعارف كل البيانات،
قولتله يتردد يمكن كلمت حد تاني طب قولي يا باشا إيه اللي عندكو، ودارت نفس المكاملة
بنفس الحروف بنفس الردود اللي المفروض إنها بت من خمس دقائق، بالحرف، كنت
عاوز أقفل بسرعة. قفلت، فتحت سجل المكالمات، لقيت آخر مكاملة صادرة مني لشعبان
وبعدها مكلمتش حد، شديت كرسي وقعدت في الكوريدور.

قريت فكر من سحر السوريات، وسحر التزييلات، ومحاولة إيهامك سواء بالسمع أو بالرؤية لأشياء معصفتش، ولكن إنه يوهمك بشيء حقيقي لكن يحصل بعد دقائق، ده شيء جديد، لكن مش ده اللي خلالي أقعد؛ اللي خلالي أقعد إن الميت لا حول له ولا قوة، ولو فيه أي اعتراض أو انتقام عن طريق القرين يكون موجه للميت نفسه، تمام زي قصة اليناث الضميمة اللي خالت، بصرخوا أو يتحركوا، حاجة خاصة بعثتهم، وكانت نفس القصة هنا في حركة الإيدين والرجلين، لحد ما حصلت المكالمة دي، الموضوع تعدي مرحلة القرين، في حد في الخارج عايش هو اللي بيحرك الأحداث بإيديه زي عرايس الماريونيت، وده على أد ما ممكن يضايق حد ويزعجه ويخوفه، على أد ما بيشرحني أنا، لأن ما دام فيه حد حي في قصة غامضة يبقى هنعرف الحقيقة كلها، كل الحقيقة.

صوت سارينة عربيتي بره، غالباً شعبان جه، اتحركت بهدوء ناحية الباب المصنوع أفتحله، لن أنسى هذا المنظر ما حييت، في آخر الكوريدور (٣ قطط سوداء صغيرة) أمامها قطرة سوداء يبلغ حجمها عشر أضعاف القطرة العادية، عيونهم كلهم مضينة وملبانة حقد ومتأهبين للهجوم، مريت بموقف مماثل قبل كده، لكن كان مع قطرة واحدة، واللي علمني قالي: تقدم اوعى تخاف أو تراجع، كمل طريقك زي مانت ماشي، كملت بمنتهى الهدوء بنفس الخطوات، وهما بيزدادوا تأهب وكأنهم بيستعدوا للانقضاض، عيني ثابتة في عين القطرة الكبيرة، وأول ما خلاص هلمسها برجلي اختفوا، كملت، فتحت الباب، لقيت شعبولا بيقولي إن مراته بقت كويسة وأد إيه هي كهينة بنت كلب لكن مكوتش فايقله

دخل وقفل الباب، شكرني، بص في الأرض، إيه ده، نقط دم في الأرض مكان القطط بالظبط، قالي: إيه ده يا ريس؟ قولتله: متشغلش بالك، تعالى المعصرة جوه.

شعبان دخل القاعة ببلاسته اللامتناهية، بص لقي الست راسها جلدھا متشال والجمعمة مفتوحة، وبيطنها مفتوح من تحت الدقن لحد الحوض، القلب والرتين والكليتين والرحم بره، ورجليها مفتوحين تمامًا وكل رجل نازلة على جنب من جوانب الترابيزة، شعبان بصلي، وبص ثاني على رجليها، وقالي: هو أنا لا مواخذه جيت في وقت مش مناسب ولا حاجة؟

أخذت عينات (DNA) عشان نعرف بعدين ابن مين الرضيع اللي للأسف مرضعش من لحظة ما اتولد كان مسالم تمامًا، ولم تظهر منه أي مظاهر ما-وراثية غير معتادة.

خيُط يا شعبان.

شعبان بيخيُط، بالنسبة لي القصة شبه منتهية، منتهية في نقطتين رئيسيتين، الأولى: إن دي وفيات لها علاقة بالسحر الأسود أو السفلي، تفاصيلها لسه مش معروفة لكن هتتضح مع الوقت، النقطة الثانية: إن فيه حد كان شريك ليهم لسه عايش وبيدير اللعبة من الخارج وبيقاتل لعدم إظهار الحقائق.

بدأنا جثة الشاب...

رحنا القاعة الثانية اللي فيها جثة الولد والبنت.

الجثة لشاب في نهاية العقد الثاني من العمر، متوسط القامة والبنية، يرتدي جلبابًا أبيض اللون متسخ بشدة، وملابس داخلية بيضاء اللون مع آثار احمرار خفيف بالوجه والأنف، وخلو عموم الجسد من أي إصابات أخرى ظاهرة، كما تبيننا أن العينين مفتوحتان بشكل مبالغ فيه دون وجود سبب واضح، مع وجود عتامة بيضاء على القرنيتين، وتبيننا آثار محاولة انتحار قديمة فاشلة عن طريق قطع شرايين اليدين، كما تبيننا آثار وشم بالكففين والصدر وأعلى الظهر بنقوش غريبة غير مفهومة، مع جدول يشبه ذلك الموجود على ظهر الطفل والرضيع بأرقام أيضا مختلفة.

بإجراء الفحص الكيميائي تبيننا الوفاة ناتجة عن تسمم بمركب عضوي فوسفوري الموجود في أقراص حفظ القمح وهو ما أدّى إلى الوفاة.

غريب شكل الولد، عمري ما شفت جثة لسه طازة ومبرقة عينيها بالشكل ده، وإيه موضوع الجدّاول اللي على ظهر كل واحد فيهم دي؟ لسه القصة غامضة وغير مفهومة حتى الآن، ولكن لاحظت إن مفيش أشياء غريبة بدأت تحصل.

سألت شعبان، قولتله مش ملاحظ إن العملية هديت؟

قالي: وهو بيبيض بحسرة على أشياءه، آه كله من بنت الـ*** اللي هناك دي.

وينلف مع بعض نيص عليها من إزاز الباب بين القاعتين، شاهدنا بأم أعيننا الحبل اللي شعبان رابطها بيه بيترمي في الهوا بين الترابيزتين، اتحركنا بسرعة فتحنا الباب لقينا الأخت بدون حبل والتحل مرمي على الأرض ورجليها الاتنين خارج الترابيزة!!

ووشها مستقر مكانه متزحزحش

شعبان على وشه ابتسامة عريضة بلهاء، وهو بيقولي: شوف وشها بريء ازاي كأنها معملتش حاجة، الظاهر مش مراقي بس اللي كهيينة بنت كلب.

قولتله سيبها بقا خالص، نخلص وفرجع نشوف الدنيا إيه.

روحنا نشوف جثة البنت، جثة البنت عادية جدًا، مفيش أي مظاهر عنف أو اعتداء أو أي أشياء غريبة، مفيش وشم ولا تعاويذ، البنت عذراء، بالتشريح فيه آثار حمى روماتيزمية قديمة في القلب، وسبب الوفاة جلطة في القلب، وفاة طبيعية جدًا بدون أي مظاهر غريبة، وده شيء في وسط المدعكة دي أكثر غرابة من إنها تكون ماتت بأي سبب تاني.

خيط يا شعبان.

خيط وبدأ نقل الجثث لأدراج، الست أرفته فعلاً على ما نقلها وعرف يدخلها، الساعة عدت خمسة الفجر، غيرت هدومي، وقولتله فيه جثة ثانية تبع القضية دي، أول متيجي عرفني.

ركبت عربيتي، ومشيت.

طول الطريق بأكبر، المطر قوي جدًا، الشوارع خالية تمامًا، بفتكر شعبان وأضحك، أنا ساكن في شارع التسعين الشمالي، وأنا عند نادي يترو سبورت كذا لقيت راجل عجوز بيعاول يعدي الطريق. لافف وشه تمامًا بكوفية، والمطر صعب، وقفت على ما يعدي ونورتله الطريق، عدي الطريق بمنتهى الهدوء لحد ما بقى قريب من الشباك بتاعي، شكله راجل عجوز ضهره منعني، فتحت الشباك على أساس إني أشوفه رايح فين دلوقتي في الجو ده أوصله، فضل يقرب ببطء لحد ما شفته بوضوح، أو شفت عنيه بس، عيتين مركزة عليا وفيها كم حقد وكره أنا مقابلتهوش في حياتي كلها، عين مركزة لدرجة إن أنا حسيت بطاقة سلبية رهبة جابتلي صداع، إيدي بتتحرك ببطء على سلاحني الشخصي،

لحد ما لف وشه ومشى، لا أنا اتكلمت ولا هو اتكلم، بس أنا عندي صداع رهيب، رهيب.

كملت الطريق بصداع لا يوصف، كنت لوحدي في البيت، ركنت وطلعت، دخلت، فتحت المية الباردة وخطيت راسي تحتها (5 دقائق) لحد ما الصداع بدأ يفك، يا ساتر إيه ده!! يا دوب رفعت راسي وبنشف وشي بإيدي لقيت حد حاط إيداه على كتفي، يحاول ألق أشوف مين، لكن قوة إيداه مثبتاني في مكاني، هو قدر يهاجمني في الحمام، في المنطقة اللي عارف إني مش هقول فيها أذكرك، وأنا من كتر الصداع نسيت ذكر الدخول، فضلت هادي، شديت الفوطه، نشفت وشي وشعري، لحد ما ساب كتفي، لقيت بسرعة لقيته ورايا واختفى في لحظة، نفس الرجل العجوز بنفس العينين اللي عليائه كره لكن المرة دي شفت وشه، شفته بوضوح، شعره الأصلع، وشه اللي مليان حفر، وعلامة شيطانية غريبة على جبينه تشبه زاوية قائمة قاطعها حرف (S)، قعدت شوية في الريسبيشن، قلت بعض الأذكراك، قمت أخذت شاور، صليت الفجر، لسه الصداع ماثر على دماغي ومخلي تفكيري بالكامل مشوش، مش هعرف أفكر دلوقتي، غمت، صحيت العصر تقريبًا، وكده بدري بالمناسبة.

لقيت شعبولا متصل ٣ مرات. كلمته، إيه يا أم السعد؟ إيه الأخبار عندك؟ قال: دنا شفت ليلة سودا في المشرحة امبارح!

قلته: ليه؟ قال: يا ريس دخلت أستحما بعد ما أنت مشيت وشدوا الشورت بتاعي وجريوا وطول الليل بجري وراهم في المشرحة عريان.

مشكلتي الأزلية مع شعبان إن مستحيل تعرف هو بيهزر ولا بيتكلم بجد. سألته عن الجثة، قال: جت من الصبح، قولته: حلوة؟ قال متشوفش وحش، تعالى شوف بعينك.

قمت متحمس، أكلت باتيه وشريت قهوة، لبست ونزلت.

دخلت قابلني شعبولا، شكله مرهق

واضح إنه فعلاً كان بيجري طول الليل.

قوله: يلا على السريع عشان همشي بدري.

دخل يطلع الجنة، الشيخ سعيد بيعمل قهوة، قعدت أفكر في القضية، الجنة اللي هتشرح دي المفروض إنها جنة الخال، اللي المفروض قتل أخته ورجع بيته بعريته وفقا لأقوال الشهود، وإن الشرطة راحت تقبض عليه بعد الواقعة ب خمس ساعات لقيت زي ما هنشوف تحت.

ريحته مقينة مالية المشرحة وشعبان ينقل الجنة، خلصت القهوة بسرعة ورحت القاعة ولقيت الجنة بالمنظر ده.

الجنة منقولة في كيس جثث أسود برائحة بشعة متعفنة تمامًا، محاطة بالديدان والحشرات من كل جانب، يدها قريبة من وجهها، الوجه يبدو ملامح مرعبة، الجنة تقريبًا مضي على وفاتها وفقا لمظاهر التحلل قرابة ٢٠ يوم، بالتشريح كل الأعضاء متحللة، العظام كلها خالية من الكسور. عينات السموم والمخدرات سلبية، الملابس خالية من القطوع والتمزقات المشتبهة، ويتعذر الجزم بسبب واضح للوفاة، يعني الجنة اللي كنت باني عليها كل الأمل، طلعت فشلك.

وازاى بقا المحروس ده قتل واحدة امبارح، وروّح بيته وبعد خمس ساعات لقيوه كده!! فيه حاجات ممكن اتقبلها بشكل أو آخر، زي جثة تتعفن بمعدل سريع جدًا، أو جثة لا تتحلل بعد فترة طويلة جدًا، وده أنا يعتبره من علامات حسن وسوء الخاتمة (والكلام ده على مسئوليتي أنا الشخصية، لأن العلم لا يعترف بيه)، لكن أنا بتقبل ده بحدود، أتقبل مثلاً إن الجنة تتحلل أو تتعفن بسرعة، تمام زي جثة الست، ولكن لا أتقبل أبدًا إن الديدان والحشرات توصل للحجم ده في خلال ساعات.

صحيح، هو انتوا فكرتو قبل كده هي الديدان والحشرات اللي بتحلل الجنة دي بتيجي منين؟

معظمكوا طبعاً هي قول من الأرض، طيب، معني كده إني لو حطيت جثة في غرفة مخلقة كلها سراميك من الأرض للسقف مش هتتحلل ولا هيظهر ديدان؟؟ لا طبعاً، بعد كام يوم هتظهر الحشرات والديدان وهتبدأ تكبر بنفس المعدل، لأن أصل الديدان والحشرات دي بيبقى بكتيريا الجهاز الهضمي للإنسان، ودي بكتيريا متعايشة ومفيدة موجودة

بشكل طبيعى جوه الجهاز الهضمي لكن بعد الوفاة تبدأ تهاجم الجسم والأعضاء وتحللها، وتتغذى عليها وتتكرر جدًا في الحجم يوم عن يوم، لدرجة إن فيه باب كامل في الطب الشرعي عن تحديد زمن وفاة الجثة من طول الديدان الموجودة عليها، وبالتالي يستحيل إن الراجل ده يكون كان عايش امبارح ولا من عشر أيام فاتوا، ممكن أتقبل لو تعفن، لكن متقبلش أبدًا حجم الديدان والحشرات دي، والقصة بالنسبة لي منتهية.

مبقاش فيه أمل مؤقتا غير في شغل المباحث، وأنا عارف إنهم هناك بتوع شغل بجد ومش عيال ميسو.

كلمت محمود بيه، واتفقنا هنتقابل عندي في المكتب ثاني يوم بكل الأوراق والمعلومات المتاحة، ونتناقش. طول الليل أشياء غريبة بتحصل معايا، ومحاولات مستمينة متعود عليها على إجباري على الاستسلام، بس هو مين.

رؤحت ونمت، رحت الشغل ثاني يوم على المعاد، جه محمود بيه، مع رئيسه خالد بيه، بالمناسبة، هو مدير أمن دلوقتي ويستحق.

فرشنا المملاية، وبدأنا نتكلم.

أكرر نفس الكلام اللي اتقالي قبل كده، أنكرت باستماتة القصة كلها لعدة أسباب:

- الأم ماتت مخنوقة بقوة أكثر من ٣ أفراد أو بقوة غير طبيعية.

- الطفل الرضيع ميت من إهمال وتعذيب على مدار يومين، مش زي ما الأخ قال: إنه قتله.

- البنت وفاتها طبيعية مش زي ما الأخ قال: إنه قتلتها.

- الخال ده متوفي من عشرين يوم تقريبًا ويستحيل يكون متواجد وقت الواقعة.

سألت عن الخال الغائب.

- قالوا: إنه سافر دولة أفريقية من زمان جدًا ومجاش، وإنهم بعتوله عن طريق السفارة مقدرتش توصل ليه، وعن طريق الجوازات عرفوا إنه رجع مصر من سنة ومظهرش لحد دلوقت.

في نفس الوقت جاء تليفون محمود بيه إن الخال الثاني ده ظهر، وبيقول إنه عرف عن طريق أحد الجيران اللي كان متواصل معاه، وإنه أصلاً رجوع مصر من سنة، لكن كان فيه قطيعة من عشر سنين أو أكثر بينه وبين إخوانه، ولا شافهم ولا شافوه.

محمود بيه قالهم: يجييوه على المشرحة يعاول يتعرف على الجثث، واستأذنوا هيشولوا نتيجة قضية تانية في المعمل بتاعة مخدرات وهيقابلوا الخال ده تحت يتعرف على الجثث، طلبت الاحتفاظ بنسخة من كل الأوراق والمحاضر والتحقيقات، سلموا ومشوا قعدت أقلب في الورق، كل الكلام مكرر. فضلت أقرا كل الأقوال، بعد ساعة تقريباً لقيت قيد عائلي بتاع الأسرة دي.

ولقيت فيه حاجة لفتت نظري جداً، الخال الميت والخال اللي المفروض هيجي تحت، توأم، توأم!!! بنفس تاريخ الميلاد، بدأت حاجات تتفتح، يبقى الخال ده قتل أخوه من عشرين يوم، واستغل وجه الشبه بينهم بإنه يظهر قدام الناس كأنه أخوه ولسه عايش، وراح قتل الاخت. لسه الحنة دي غامضة، بس ده تفسير منطقي جداً، قمت وقفت، طلعت موبايلى اتصلت بشعبان، قال: الراحل موجود على الشباك هو ومحمود بيه وخالد بيه ولسه مدخلش، قولتله استنى متخليش حد يدخل، أنا جاي حالا، نزلت جري، خلصت الكوريدور ووقفت على باب الأوضة. ولقيته في وشي، بصيتله وسرحت، هو، نفس عينين الغل والحقد والكراهة، نفس العلامة الشيطانية اللي في جبينه زاوية قائمة متقاطعة مع (حرف S) شيطاني مقزز، مستحيل أخطئ فيه، وهو بيحاول يتجنب نظراتي ليه ويبص في حنة تانية، خالد بيه بهزار، أنت تعرفه ولا إيه يا دكتور؟ قولتله ده حبيبي، حبيبي من أيام التجمع.

وفجأة الراحل اندفع بكل قوته يجري خارج مبنى المشرحة، الكل واقف في حالة ذهول! محمود بيه بدأ يجري وراءه، فتحت الباب وخرجت، الأمن على أول المشرحة شاف، قطع عليه الطريق، جري على أقرب عمود إنارة ليه، وفضل يخبط دماغه في الحديد بهيستيريا لحد ما وقع على الأرض فاقد الوعي.

كل الأحداث دي حصلت في عشر ثواني تقريباً، وقفنا حواليه في ذهول، محدش فاهم أي شيء، لكن أنا بدأت أفهم، ومش عاوزه يموت، شفت النيص، ضعيف لكن لسه موجود، إسعاف بسرعة وانتقل بحراسة على أقرب مستشفى.

وبعد ان استقر في السودان، ومنها لدولة أفريقية أخرى، من عمالقة السحر السفلي والأسود في العالم، وهناك اتعلم كل شيء؛ بل وتفوق، وادوله أعلى وسام عندهم وهو العلامة التي على جبينه والتي اعتبروه بها حاجة اسمها قطب من الأقطاب، يعني من قيادات الطريقة دي في السحر، وهي طريقة بنمزج بين سحر السيمياء التي هو يخليك تشوف رؤيا العين زي القطط كده، أو تحس إحساس تام زي الإيد التي كانت على كتفي، أو تروحم شيء زي المكالمة التي حصلت، وكلها أشياء في الحقيقة غير موجودة، وببمزجوا السبب التي ببسحوه سحر الخداع بسحر سفلي أسود قاتل، ممزوج بنوع من التنويم المغناطيسي، سحر سيء وبشع وقاتل لأبعد الحدود، ولو معندكش إيمان بقدر يعمل فيك لي شيء أيا كان لحد إنك تقتل أو تنتحر.

وإته بعد ما امتلك الطاقة الرهيبة دي، قرر يرجع مصر من سنة عشان ينتقم من إخواته. في الأول باستخدام السبب أقام علاقة بين اخته وابنها وكل منهم متغيب إن التي معاه شخص آخر، لحد ما حملت، واستنى على ما يقرب معاد ولادتها، ومن عشرين يوم راح جن أخوه التي هو التوأم بتاعه وقتله ويخطط بخور أفريقي في البيت بمنع ريحة التعفن تمامًا، وبقي يستخدم سحر السبب إنه يظهر قدام الناس كأنه أخوه، بل ويتكلم معهم كمان ويطلع وينزل قدامهم، لحد ما أخته ولدت، لبس لبس أخوه وغطى وشه بداعي البرد، وركب عربية أخوه، وراح لأخته البيت. دخل وبالسبب ظهر لهم كأنه الأخ الميت، وفضل قاعد مكانه لحد ما سيطر على البيت بالكامل، شل حركة الأم، وبالتنويم المغناطيسي وطاقة سحرية خلى الابن يخفق أمه بملاية السرير، وبقوة جن، كان مقرر إنه ياخذ الرضيع معاه، لأنه بالنسبة له من أبناء الشيطان وهي قدر يملك بيه طاقة أكبر لما يقدمه كقرين، لكنه اكتشف إن الأم كانت بتعذبه ومبتاكلهوش عشان يموت وإته يبطلح في الروح، البنت بنتها كانت مريضة أساسًا ومبتحركش ومن هول التي شافته جاتلها جلطة وماتت لأنها مش متعوده على كده، عمرها ما اشركت معاهم في سحر، لكن هما كانوا يستاهلوا، خليت الابن حفر حفرة وحط أمه فيها وحط عليها شوية أسمنت ومية، وبالسبب والتنويم خليته بلع قرص من الأقراص التي بيحفظوا بيها القمح، وخليته راح القسم قال كل التي قاله وهو غير واع، حاولت البس كله في بعضه وقامت عشان الحق أكمل المخطط، وأروح آخذ جثة أخويا أرميها في أي مكان ويبقى هو المتهم

وهرب وكده أبقى خلصت من الجميع، لكن التأخرت والشرطة جت بسرعة، ملحقتش أنفل جثته، هربت من فوق السطح.

اممم، طيب وإيه اللي خلاك تظهر، كان لازم أظهر عشان أبعد كل الشكوك عني، لأن كده بوجود الخمس جثث لازم فيه قاتل سادس وكده كده كانوا هيعرفو إني دخلت مصر من سنة، وهيشكوا فيا، فبدأت أبعد أي حد إنه يوصل للمصر وأولهم أنت، وكمان ظهرت عشان أبرأ نفسي وأبقى عارف أي أخبار جديدة عشان أنصرف لإني مبعرفش أوصل منك حاجة، وأنا مفيش أي شيء يديني.

كنت بمأطل في الأسئلة قدر الإمكان لإني كنت بعثت من البداية رسالة على الواتس لمحمود بيه إن لما أتصل بيه يفتح ويسجل المكالمة وميتكلمش خالص، وطول كلامه محمود مقراش الرسالة وأنا قاعد أعط في الكلام وسايب السؤال الأخير لحد ما محمود يقرأها.

سألته، طيب ما هما كمان كانوا شغالين في السحر إزاي قدرت تشتتني على الجن اللي معاهم؟

رد قال: بقولك أنا قطب من الأقطاب معايا ملوك ومردة وما دام اللي معاك أقوى كل الباقين يخضعوا ليه، محمود قرا الرسالة وبعث علامة.

اتصلت، فتح، وبعدين سألته سؤال مباشر، يعني إنت اللي قتلت أختك وسمعت ابنها، وأخوك وأقنعت ابن أختك يروح يقول كده وخططت لده كله، صح؟

رد قال آه، وكان نفسي أعمل أكثر من كده كثير، بس الموت جزاء يستاهلوه.

قفلت المكالمة، مينفعش كلمة زيادة تتقال في التسجيل، مينفعش توصل التحقيقات أي كلمة عن سحر أو جن وإلا تبقى القضية باظت، لأن دي أشياء غير معترف بيها، لا علماً ولا قانوناً.

قولتله وإنت هتعمل إيه دلوقت وإنت متكلش هنا ومفيش جن هينفعك، قال: متقلقش أخف بس وأعرف أنصرف، بصيت لللامعة لآخر مرة، حسيت إن أنا قدام شيطان، قدام المسيح الدجال بعلامة الكفر على جبينه.

قمت من غير ولا كلمة، خرجت.

كلمت محمود، قال: كويس أوي، أنا في لحظة أخذت إذن تسجيل من النيابة بالتليفون وسجلت، بس إنت عرفت كل ده ازاي؟؟ قولتله: بعدين، بس الراجل ده هيهرب منكوا، قال: ليه يا عم هو أنا سوسن!!
قولتله هفكوك.

رجعت الشغل، كتبت التقارير، بنفس الداتا اللي فوق، كتبت بإهمال في الوصف، لأنني عارف إن ما دام المتهم وصل للمرتبة دي من السحر، مش هيتعاقب، ومسألة هروبه مسألة وقت، كنت عارف إن أنا بس اللي عرفت التفاصيل دي، وأنا بس اللي هعرفها لآخر العمر، لكن اديتلم التسجيل عشان يقفلوا قضيتهم، كتبت كل شيء، خلصت وقعت وختمت وقمت مشيت.

بعد رجوعي من الأجازة عرفت إنه هرب أثناء ترحيله لمحكمة، مرضيتش أكلم سوسن قصدي محمود بيه عشان محرجهوش.

لحد النهارده القضية مفتوحة والمتهم الهارب محكوم عليه غيابيًا بالاعدام، ومش هيلاقوه.

مستعد دلوقتي لسيل الأسئلة والاستفسارات والهجوم وو إن القصة خيالية ووهمية وو، وهقابل كل شيء بمروح زي كل مرة، لأنه لا يعنيني أي شيء غير إني أحكيلكوا وأعرفكوا مني قدرتهم وحلت لفن، ومدني قذارتهم وحلت لفن، وإن بعضكم هياخد من كلامي العبرة والعظة ويس، وده المهم.

ياقي حاجتين.

الناس اللي هنا في الجيوب وقربين مني عارفين كم المعاناة اللي شغتها عشان القصة دي تظهر ليكوا، وإنها بتكتب من فترة، وكل شوية تقف كتابتها لسبب معين غامض ومفاجئ، في حين أي قصة تالية بتكتب في ثلث أربع ساعات، لكن دي بالذات كان فيه قوة غريبة مصرة على عدم نشرها، لكني عاندت كالعادة وأصريت على النشر، والكتابة رغم كل اللي بيعصل من أيام، لأن الكلب له حي وييقاوم.

الحاجة الثانية، هو لما كل الناس يقول ونعم بالله، والله خير حافظا، وإن الدجالين ملعونين وكفرة، مين اللي بيروح لدجالين.

آخر إحصائية للمركز القومي للبحوث الجنائية تقول: «إن المصريين بيصرفوا سنويا ١٠ مليار جنيه على قراءة الغيب وفك السحر والعلاج من الجان، وإن هناك دجال لكل ٢٤٠ مواطنا، وإن فيه ٢٠٠ ألف شخص في مصر يدعون القدرة على معالجة الأمراض بواسطة تحضير الأرواح، وإن العالم العربي فيه مليون وربع دجال يمارسون الشعوذة والسحر» يعني باختصار ناس مثنا بتروحلهم عشان تؤذي ناس، فالمصابين بيروحلهم عشان يعالجوهم، أو ينتقموا من التانيين، وهما بياخدوا فلوس من دول ومن دول، واللي راح يعمل حاجة عندهم كافر، واللي راح يتعالج كافر، وهما رأس الكفر.

انصهوا اللي حواليكوا ووعوهم، أوعوا تستهينوا بحاجة زي قراءة الفنجان، أو الكف، أو أي شيء زي ده يخرجكم من الدين كله، ساعتها تبقوا في أيديهم زي العجينة يشكلوكوا لخدمة مصالحهم بالشكل اللي عاوزينه، أوعوا تستهينوا، ربنا هو الحصن بتاعنا منهم، طول ما احنا بنحترم تعاليمه وباعدين عنهم مستحيل هنتأذي، لكن لو بكل إرادتنا روحنالهم، ربنا بيسحب ضمان الحصن والحماية، ومنكو ليهم بقا التو زيه، خارج الملة. استعينوا بالله، بالله وبس، وبس، وخليكوا بعيد عن العالم ده، حتى لو كان عندك فضول، أنا للأسف اتحطيت في مواقف بحكم شغلي كان لازم أقرا وأعرف عشان أفهم وأقاوم، وبحاول أعلمكوا اللي اتعلمته.

ده عالم قذر قبيح كافر يتقرب للشيطان بكل أشكال الذنوب والكبائر، عالم عنده قدرات مستحيل تتخيلوها أو عقلكوا يستوعبها، ولكن المحصلة في النهاية إنهم ييموتوا كفرة مطاردين ورغم كل الأموال اللي جمعوها تلاقيهم في فقر مزري مش لاقين حتى ياكلوا.

الحكاية الرابعة

لا أجمل من حالات موت كثير داخل كل هذه الرغبة العارمة للكتابة بعد كل هذا الصمت، فتعتاد الجلوس ليلاً على طاولة "ستاريكس" لم تقربها منذ زمن. تشرب فنجان قهوتك المر كحياتك، وتستدعي قلمك، صديقك، هذا المجنون، الأكثر بوخاً، الأكثر جرحاً، هذا الذي يكتب بلغة غير اللغات، بأبجدية حملت سفايحاً يعرف تاسع وعشرين لم يُعرف له أب حتى اللحظة، هذا الذي نصوصه لا يكفي طهارتها التمرغ سبعا في صالونات خبثهم لتتدنس، لنكتب إذاً يا صديقي، لنكتب كتاب موتي وكأنه امرأة أعادت لك كل هذا الشغف بعد طول انتظار.

وماذا يستحق الكتابة غير الموت، وهي وما تبقى من وطن؟!!

في غياب الشمس تعلموا أن تنضجوا في المطر.

وفي بهو الحياة الفاخر، تعلموا الإستعداد دوماً لحالة موتٍ كضيف مفاجئ.

استعدوا له كما لو كان حبكم الأول، لا تقاوموه أبداً، حين يطرق بابكم استسلموا له بكل ارتياح ولا مبالاة، الموت أكثر عبثية من أن تأخذه على محمل الجد.

يقول الموت: آلو، فأجيبوا دوماً "نعم"، حتى لو أجابت الحياة: "لا".

الموت لا يختار عمراً معيناً لينسج قصته، إنه يباغتنا في الوقت الذي نحتاجه الأكثر، ونتوقعه الأقل، تحت أي عمر وفي أي طقس، قبل الخمسين وبعد الخمسين وفي الخمسين، قبل المطر، وبعد المطر، وتحت المطر.

الموت مفاجئ جداً، هو ضربة قدر صاعقة ستصيبك، ستصيبك، ولا تفسير لها خارج اللوح المحفوظ، وهو غادر جداً، لا أحد يدري لماذا هاجم هذا المكان بالذات، لبتقي

هذا الشخص بالذات، في هذا التوقيف بالذات، ولا أحد عاد من الموت ليخبرنا على سرِّ الكبير، ربما لأجل هذا أكتب هنا، لأن مَنْ عايش حالة موتٍ وجب عليه أن يقصَّ على الناس عجائبه، ويصف لنا سحره، ويحذرنا خطورته، لوجه الله، ووجه الأدب.

اقتحموا سادتي اقتحموا، فاجتوه ببرودكم حين يفاجئكم بحرارته.

هل الجنث تنتقم؟! طيب، الحكاية المرة دي هتكون غير، هتبقى نهاية برضه لمجموعة أقراد فيه رابط بينهم، لكن مش صادمة، دي صاعقة! صاعقة بشكل لم تشهده المشرحة من قبل ولن تشهده بعد، وأخطر ما فيها إن محمود لم يُعاني من أي مشاكل متعلقة بالجن والسحر والقوى الخفية طيلة حياته، إلى أن جاء يوم وفاته، الخطورة كلها تكمن في إنه كان عايش طبيعي جدًّا، تمام زي أي واحد فينا، بدون أي إشارات أو أشياء غير طبيعية وفجأة جاءت الصعقة، صعقة بكل معني الكلمة، أنا وإنت وإنتي ممكن تكون كده، أو نتعرض للانتقام مميت بدون أدنى سبب، وتكون نهايتنا صاعقة، ومشابهة تمامًا للي عمله محمود، لكن المرعب إن الموضوع مبقاش يقف عند الموت، مش قصة موت وبس، ده فيه بقايا حياة بعد الموت، ممكن تاخذ ساعات، وممكن سنين، أو بالأدق سلاسل انتقامية متتالية استمرت حتى بعد الموت، أوعوا حد يموت زعلان منكم.

الزمان: مايو ٢٠١٧.

المكان: مشرحة زينهم.

التوقيت: التاسعة ليلا.

النهارده القصة مش بس مختلفة لأ، ومخيفة. مخيفة فعلاً.

أسرة مصرية عادية جدًّا مات الأب والأم فجأة من أكثر من عشر سنوات؛ إثر تسرب غاز في شقتهم، وتركوا منزلًا بدائيًا مكون من أربعة طوابق تم تقسيمه بين الأبناء كالتالي:

- الدور العلوي: يقطن به محمود، وهو في الثانية والأربعين من العمر ولم يتزوج لأنشغاله بمصاريف زواج شقيقه وشقيقته فأهمل نفسه حتى ضاع به العمر دون رفيق.

- الدور الثالث: يقطن به يحيى شقيق محمود رفقة زوجته سحر وابنتهما أمجد.

- الدور الثاني: يقطن به عصام شقيق محمود الأصغر المسافر للخارج وزوجته منى وابنتهما هند.

- أما الدور الأرضي: فيقطن به شيماء شقيقة محمود المطلقة بعد ست سنوات زواج لأنها عاجزة عن الخلفة.

وكانت هذه الحياة التقليدية مأساة محمود اليومية المتكررة.

محمود يبصحي يوميا على كم خناق ومشاجرات بين إخوانه لا ينتهي، وكل ما يحاول يتدخل بالصلاح يتلقى سيل رهييب من الإهانات من إخوانه وزوجاتهم، مرة عاتب زوجة أخوه إن صوتها عالي وهي بتشتتم زوجة أخوه الأخرى، وطلب منها بأدب توطي صوتها عشان الجيران والفضايح قطالبتة بوقاحة بعدم التدخل وقامت بالبصق في وجهه أمام أخوه الذي لم يحرك ساكنا.

محمود يعمل ميكانيكي سيارات، يعود ليلا من ورشته، لا زوجة ولا أبناء، فيشتري بكل ما اكتسبه فاكهة وطعام ويمر يوزعها على بيت إخوانه، فيأخذوها منه من على الباب ويقفلوا الباب بسرعة بحجة إنهم نائمين، حتى أخته كانت تعامله بمنتهى الجفاء والاحتقار، ولو لقينته نازل على السلم تقفل الباب بسرعة عشان مداخلش عندها، أما وهو طالع فأكيد جايب حاجات، تستناه تأخذها منه على الباب وتقف بسرعة في وشه لأنها عاوزة تنام، كل اللي كان بيعلم بيه محمود لا زوجة ولا أبناء، خلاص هو تذر عمره لإخوانه بعد وفاة أبوه وأمه، لكن كأي كائن بشري، كل اللي كان بيعلم بيه شوية تقدير، شوية حب، مواقف كثير عملها محمود مع إخوانه وأسرهم بكل الحب واتقابلت بمنتهى الإهانة، لدرجة إن ولاد إخوانه الأطفال بقيوا يشتموه ويهينوه بكل الألفاظ اللي له حتى ميعرفوش معناها، ولكن بيسمعوها من أهاليهم.

فكرت كثير في قصة محمود وليه كانوا بيعاملوه كده، بعثت ودورت كثير وراه، ملقيتش غير سبب واحد، إن معظم قلوبنا كبشر للأسف ملونة، أسود وأزرق ورمادي، كل واحد ليه لون، والقلوب دي مبتقدرش تستوعب أبداً إن فيه قلوب بيضا زي الثلج، دي حاجة أكبر من قدرتهم على الاستيعاب، فيفسروا أي موقف إنساني نبيل بأي تفسير آخر قذر.

قلوب عاملة زي المنشور الثلاثي اللي كنا بناخده في حصة العلوم. يبجي عليها شعاع الضوء الأبيض الواضح النقي، فتحوله لألوان قوس قزح المختلفة، أحمر الكره، أصفر الحقد، بنفسجي الحسد وهكذا. لكن عمره ما يستوعب إن ده فعلاً كان ضوء أبيض نقي شفاف واحنا اللي بكل صفاتنا السيئة اللي حولناه لأشكال ثانية وشوفناه زي بس ما عاوزين نشوف، وباللون اللي يتاسبنا، ويليق بيتا، وقل لي لون قلبك، أقل لك موديل ضميرك!!

محمود مكانش ليه غير صاحب واحد بس، عم حسني، وده كان صديق والده، راجل عجوز وحيد مراته توفت وملهوش أولاد، لكن زي ما بيتقول إن محمود كان ابنه اللي مخلفهوش، عم حسني فضل يحكيالي أكثر من ست ساعات عن محمود وكم الطيبة اللي كانت فيه، وكم الإهانات والصدمات اللي أخذها من إخوانه، بيتقول: إن محمود كان بيدخل عنده ينهار من البكاء بسبب إهانات إخوانه ليه، ويخرج يقابل إخوانه بابتسامة عريضة نامي كل شيء، عم حسني ضغط عليه كثير يسبب البيت ويبعد عنهم ويتجوز لكن محمود مش عاوز يسبب بيت أبوه وأمه اللي اتربي فيه، كمان خايف يسبب إخوانه وخدمهم رغم كل اللي بيعملوه معاه، عصام أخوه ومراته أخذوا منه عربيته بالعافية وخلوه باعها ليهم بيع وشراء بدون مقابل، حتى الحاجة الوحيدة اللي أخذها من ميراث أبوه وأمه، (عقد ذهب) كان بتاع أمه وكان بيعه جداً، أخته سرقة منه وقالتله: إنها مشاقتهوش رغم إنه شافها لابسا في يوم، وبعد كده بقيت لابسا باستمرار بكل بجاحة، يحيى أخوه مكانش ليه دور مؤثر، لكن كان يكفي محمود منه نظرات الاحتقار والإهانة اللي كان بيقابله بيها في كل مكان

لحد ما جه يوم المأساة.

محمود راجع البيت بالليل بعد شغله، فات اشترى فاكهة وأكل وحلويات للأطفال، دخل البيت سمع كالعادة خناقة جديدة، المرة دي أخته طرف أول، قصاص زوجتي إخوانه الاتنين كطرف ثاني، محمود ساب الحاجة اللي في إيده على الأرض واتدخل بينهم كالعادة، حاول يهدئ أخته، فدفعته بعنف وبصقت عليه وقالتله: بتكلمني أنا بدال ما تضربهم، حاول يهدئ مراتات إخوانه ويقول عيب انهالوا عليه الاتنين ضرب بالشباشب لمدة خمس دقائق وبعدها سحر أخذت حديدة من جنب الباب وضربتة على إيده، كل

- مفيش حاجة غير جنة الفرخان اللي لسه جاي من شوية وقاعد يضحك ويضحك الميتين وعامللي فيها عادل إمام وسط الجثث تحت.

- امممم، ومين معاك تحت؟

- مفيش غير الحاخام حزين بس؟

- مين الحاخام حزين؟

- الشيخ سعيد، أصل أنا قالب عليه اليومين دول.

- اليومين دول!!!! عمل معاك إيه تاني؟

- مفيش، أنا كنت اديته ثلاث حبايات بيحببوا إسهال على إناهم فياجرا، وقتله اسمهم النملة المتوحشة، وقتله جاين من برا ولازم ياخذهم مع بعض ويقاله ثلاث أيام مطلعش من الحمام لحد ما بقى الحاخام حزين مش الشيخ سعيد.

- هو إنت بتعمل فيه كده ليه يا شعبان؟

- والله ما أعرف يا معالي الرئيس. هو رجل مصطنع كده، خبؤ، أول ما أشوفه أحس إني لازم أعمل فيه حاجة.

- إنت عارف إنه لو اشتكاك رسمي هرفدك يا شعبان؟

- عادي والله يا معالي الرئيس، بس هو ميقدرش يعملها، لأنه عارف أنا هعمل فيه إيه!

- وهتعمل فيه إيه بقا؟؟

- لا هخليه نافع معاه لا نملة متوحشة ولا سور الصين العظيم، عشان بقا ياخذ باله من شغله ويجوز ليه يغسل جثث الستات والرجالة عادي بدون محرم.

- طيب يلا جهز الحالة اللي تحت، وأنا جاي أه.

- أوامرك يا معالي الرئيس.

طلع في الكوريدور ويكمل غنا: واتدحرج وأجري، يا شيخ سعيد، وتعالى على حجري، يا شيخ سعيد.

فضلت أشرب فنجان قهوة وأكمل كتابة قضية على أنغام أسطورية وصوت السيدة ماجدة الرومي يظهر أذني من دنس صوت شعبان.

"ما نفعها الأساور، والورد والمرايا *** ومخل السائلر، يراقص الزوايا"

في دخلة شعبولا تاني جاي يقولي إن الجثة جاهزة، هي مين دي يا معالي الرئيس الولية اللي بتصوت اللي إنت بتسمعها دي؟

اتنفضت هن على المكتب بانفعال مفتعل، وقفت الأغنية، وعليت صوتي جدًا قولتله بص، ملعون أبو المشرحة على الشيخ سعيد عليك يا شعبان، إنما دي متجيش سورتها على لسانك تاني، فالاهم؟

الواد اتخض، قال: ماشي يا معالي الرئيس وجه عاشي، وسامح الشيخ سعيد ببسأله هو الرئيس بيزعق ليه؟ وهو بيقوله أصلي شتمت الولية اللي بتغني وشكلها قرية الرئيس باين.

خلصت القهوة لبست بدلة الحرب ونزلت، الشيخ سعيد مقابلني هفتان يا عيني وأصفر ومش قادر يقف.

سألته مالك يا شيخ سعيد؟ قال: مفيش يا ريس شعبان اداني مقويات وقال: إنها ممتازة؛ بس جابتلي إسهال ومغص بقالي كام يوم وشعبان بيقولي: أكيد طلع عندك حساسية منها.

شعبان جاي جري عشان يلحق الكلام، وبيقول أكيد حساسية، صح يا معالي الرئيس، قولتله: ممكن، قال: وهو بيشاور بصباعه على الشيخ سعيد أصل الأشكال دي يا ريس مش متعودة على الحاجات التضيقة، دخلنا القاعة وهو بيقول: دنا جاييله النملة امتوحشة من آخر الدنيا والله.

بصيت على الأخ محمود وهو نائم متعفن وواضح السعادة الطاغية على وجهه وضحكته، ورائحته نفاذة، على غير العادة، لدرجة إنني قلت لشعبولا هات بخور، فراح يجيب عود بخور وأنا بتأمل محمود اللي فاتح بؤه كأنه بيضحك بهستيريا وسانه كلها باينة، شعبان دخل ماسك البخور ويبدو على مكان جنب الجثة يحطه فيه مش لاقى،

فضل يدور بين شمال وبعدين بص محمود وقاله: لا مؤاخذه وجه حائط عود البخور في فلة بين أسنانه.

بدأنا (الريكوردينج)

«الجنة لذكر في الأربعينات من العمر متوسط القامة والبنية، يرتدي تي شيرت مقلم ويدو عليه مظاهر التعفن الرمي المتقدم المتمثلة في اسوداد البشرة، وتفلسها واخضرار البطن وانفجارها على الجهة اليمنى السفلية وانتفاخها، وبروز العينين وبدء ظهور الديدان بما يفيد مرور قرابة خمسة أيام صيفية على الوفاة، عدا ذلك لم نشاهد أية إصابات خارجية ظاهرة، وبإجراء الصفة التشريحية تبين أن الوفاة حالة مرضية بالقلب نتجت عن جلطة بشرايين القلب ربما بعد حالة صدمة أو حزن شديدين».

تمام كده القصة منتهية، حالة وفاة ليس بها أي شبهة جنائية، ومفيش أي شيء غريب غير ضحكة محمود وصوت الضحك الهستيري اللي شعبان يقول عليه بيطلع من التلاجة، وكان حالة محمود اللي اتحرمت من ضحكة سعيدة طول حياتها طلبت معاها كوميديا بعد الموت، تم التشريح والخياطة، الجنة رجعت التلاجة الكبيرة، صوت الضحك كان مسموع للجميع، ضحك شرير متقطع بأصوات متقطعة، عم حسني حاول يجيب أخو محمود بالعافية يستلم جثة أخوه، رفض، كانوا مشغولين بالخناق أثناء الاستيلاء على محتويات شقة محمود، جه وحاول معايا كتير يستلمها، رفضت مخالفة القانون، وفضلت الجنة في التلاجة وبدأت بعدها الهستيريا.

حريق غير معلوم السبب في نفس يوم الوفاة أدى إلى تفحم منزل العائلة بالكامل لكن محدش اتصاب، لأن الحريق بدأ من شقة محمود فجربوا كلهم على الشارع لكن الحريق مفيش حد كان قادر يسيطر عليه وحرق البيت بالكامل، وبالتالي اتفرقوا كل أسرة أصبحت مقيمة يا إما في شقة مؤجرة، يا إما عند حد من قرايبهم، وبمجرد شروق شمس اليوم التالي بدأت سلسلة التقام محمود.

اليوم الأول:

منى مرات عصام اللي مسافر برة وهند بنتها كانوا عند أخت منى، قاموا مذعورين من النوم في حالة هستيريا ويقولوا إن محمود ظهر لهم بالليل لكن في شكل غريب، ليه

عيون حمرا دم ومرعبة وبيضحك بهيستيريا وكان في أوضة معدنية وسط مجموعة كبيرة من الجثث، وقالهم: إنه هينتقم منهم وإنه هياخد حياتهم جزاء اللي عملوه، منى قامت من النوم مذعورة، اتصلت بجوزها عصام في إحدى الدول العربية، المرعب إنها لقيت عصام في نفس حالة الهيستيريا، وإنه شاف نفس اللي شفوه بالظبط، وقالها: إنه مرعوب وهيرجع مصر في أسرع وقت، وطلب منها تروح بيت أبوها وأمها لحد ميجي، منى قامت لمت حاجتها الباقية اللي كانت شنطة صغيرة فيها اللي لحقت تأخذه قبل الحريق حطت الشنطة على كتفها وأخذت بنتها على إيدها ونزلت، ركبت أتوبيس نقل عام، وصلت عند المحطة اللي فيها بيت أبوها وأمها، وقفت عند باب الباص شايبة بنتها على إيد والشنطة بإيديها الثانية بتسند على الباب، والباص بيتحرك بيطة رجلها اتزحلق، الشنطة شبكت في باب الباص من ناحية وثقت على رقبتها عن الناحية الثانية، ومنى في الشارع والباص بيتحرك مسافة (٢٠٠ متر) صاحب منى من رقبتها وبنتها صخبوطة في الأرض في راسها، وكل الشهود في المحضر أجمعوا إن منى طول فترة السحب كانت بتصرخ وتقول: لا يا محمود، ارحمني يا محمود، لحد ما سكنت أنفاسها وماتت، بنتها تم نقلها لأحد المستشفيات وماتت فور دخولها من تزيف داخلي بالرأس والبطن، الجثث تم نقلها للمشرحة في نفس اليوم، مكوناش نعرف وقتها علاقتها بمحمود، اتصلوا بيأ نزلت العصر أشغلهم، كل شيء طبيعي في المشرحة باستثناء أصوات الضحك من التلاجة الكبيرة اللي كانت بتزيد جداً وقت كل حادث بيحصل على عدلر الأيام الخمسة وبدأت أنا وشعبولا نشغل جثة الست وابنها، مشوقتش لسه الورق.

- إيه يا شعبولا قصة الست دي وينتها؟

- دي يا ريس أمين الشرطة بيقول إنها كانت نازلة من الأتوبيس شايبة بنتها والشنطة بتاعتها شبكت في الباب وعلقته من رقبتها والباص ماشي، وبيقول إنها كحلت بتصرخ وتقول أغنية بوسي ومحمود الليثي: محمود إيه ده يا محمود، هي الناس دي بتبصلي كده ليه، محمود إيه ده يا محمود هي الناس دي عاوزة مني بقا إيه!

- قولتله باستفسار: ومحمود بقا قالها إيه؟

- بدأ يقلد محمود الليثي وهو بيخني، وبيقول:

- قالها: تعالي جنيني، يا روح قلبي، تعالالي.

- قولته: طيب جهزهم يا شعبان وخلي يومك يعذي عشان أنا منمتش. بدانا نشتغل

جثة البنت واضح إنها مشنوقة بإيد الشنطة فعليًا، وواضح إنها اتسحلت على الأرض مسافة طويلة، وإن سبب الوفاة اسفكسيا الشنق، والبنت الصغيرة واضح أنها اتصدعت على الأرض بعنف عملها نزيق في المخ ونزيق بالبطن، وده سبب الوفاة. طيب بلا خيط يا شعبولا الجثث، ويقلع عشان أمشي فضل يلح عليا شعبان إني أستنى عشان يوريلي حاجة لما يخلص، خلص خياطة، وبعدين حط الجثة على شيزلونج، وقال: شوف بقا الحركة دي، فضل يزق الشيزلونج في اتجاه التلاجة الكبيرة وبمجرد ما وصل عندها الضحك يزيد جدًا ووش البنت يزرق جدًا، يبعد عنها الضحك بهذا تمامًا ووش البنت يرجع عادي، يقرب تاني منها يحصل نفس الشيء، وأنا مش فاهم شيء، ولا يخطر ببالي لحظة أساسًا إن دي ليها علاقتك بجثة الفرحان بتاع امبارح، فيقول لشعبان طيب ليه بتعمل كده؟ قال: عشان الفرحان اللي بيضحك ده اسمه محمود، ودي كانت وهي بتموت بتغيبه إيه ده يا محمود، قفرحان بيها بقا.

بصيلة باحتقار وسيته وخرجت ومش في دماغي وهو عمال يلعب بالشيزلونج زي العيال الصغيرة ويقربه من التلاجة ويبعده، بركب العربية طاحت عم حسني واقف قدام المشرحة ناديت عليه، سألته إنت لسه ما أخذتوش الجثة؟ قال: دانتوا جالكم النهارده مرات أخوه وبنت أخوه، والبيت بتاعهم كله ولّع، ومش هيهدا محمود ولا روحه إلا لما ياخذ كل حقه منهم، بدأت أربط اللي حصل جوه بكلام الراجل، قولته اركب، ركب جنبي وفضل يحكي لي كل اللي حكيت فوق، بدأت أتعاطف مع محمود بشكل غير طبيعي، في نفس الوقت مش فاهم إيه اللي بيحصل، وازاي محمود ليه القدرة دي على الانتقام!! وهل الأرواح ليها قدرة على الانتقام أساسًا!! وازاي؟ ولبعد امتي؟ وهل هيكتفي محمود باللي حصل؟ عم حسني نزل في موقف السيدة عائشة بعد ما أخذت رقبته وروحت وأنا مشغول جدًا بالتفكير في الشيء اللي أول مرة يحصل ده، جثة بتظهر لناس في نومهم وتهدهم بموتهم ويموتوا بعدها بشوية وبطريقة بشعة.

روحت نمت، صحت الساعة ثلاثة الفجر على اتصالات متتالية من زفت الطين، ودار الحوار التالي:

- عاوز إيه يا زفت، أنا مش قولتك هنام.

نزلت ركبتي غريبتني ورحمت دخلت وأنا سامع صوت ضحك محمود العادي اللي بقاله يومين، الجنتين كل جنة على شيزلونج في الكوريدور، قولتله اعلمي قهوة بسرعة، راح يعمل بصيت عليه لحد ما طلع وزى العيال الصغيرة بقيت أعمل زيه بالظبط، أقرب الشيزلونج من التلاجة الكبيرة الضحك يزيد أبعد يقل، وأجرب كذا مرة وأنا خايف ييجي فجأة يشوفني ويعلم عليا، لحد ما جه، شربت القهوة وقولتله يلا دُخِل الجنتين على الترابيزات جوه، وهو ماشي قدامي قالي: باقتراح وهو فرحان، تيجي يا ريس تقرب الجثث من التلاجة الكبيرة وتشوف الضحك هيزيد ولا لا، زعقت بصوت عالي: هو احنا مش هنبتل لعب العيال ده يا شعبان؟ جثث إيه اللي توديتها عند التلاجة يا تافه إنت، مشي بامتعاض ودخل الجثث القاعة.

بدأنا بجثة سحر، دي حالة ست واكلت علقه موت مفيش مكان في وشها سليم، علقه موت بكل معني الكلمة وبأدوات لا يمكن تحديدها على وجه الدقة، لكن المؤكد إنها أدوات غير حادة، يعني أشبه بخشبة أو حديدة ثقيلة وعريضة، ومن عنف الضرب عمل كسور بالجمجمة ونزيف بالمخ أدى إلى الوفاة، الغريب إن الدكتور اللي فضل في البيت فترة بعد ما سحر نامت بالمنوم، والشهود والجيران أجمعوا إن مفيش مخلوق دخل أوضة سحر وابنها، وإن الدكتور شافها بنفسه وخرج وقفل عليهم الباب وبعد نص ساعة داخل يبص عليها قبل ميمشي لقي الوضع ده لدرجة إن الدكتور نفسه أغمي عليه.

جنة الطفل أمجد (٨ سنوات) تلقى نفس الضربات لكن على ايده وجسمه بنفس العنف والقوة لكن سبب الوفاة شيء تاني مدهل، ضربة على الرأس كأنها ضربة شاكوش اخترقت العظام والمخ وعملت فيه تهتك ونزيف ووقاة فورية.

الموضوع بدأ يزيد ويزداد عنف، ومقاش فيه حد فاهم شيء، كان مفهوم الأول إن حد يموت مظلوم ويتكفل الزمن والقدر بأخذ حقه هو المفهوم السائد، أما مفهوم إن روح موجودة في تلاجة موت بتضحك وبتنتقم من كل اللي آذوها وبتزداد ضحكاتها بشكل هستيري، ده اللي شيء غريب ومرعب.

اتصلت الصبح بعم حسني، لقيته مبسوط وعنده علم باللي حصل وبيؤكد إن لسه فيه انتقامات في الطريق، وإن محمود مش هيهذا إلا لما ينتقم منهم كلهم، لدرجة إني شكيت

في عم حسني نفسه، وخليته جه عند المشرحة، وتأكدت إنه راجل طيب وليس له أي علاقات شعوذة أو دجل.

عم حسني قال: إن يحيى أخو محمود خاف جدًا جدًا من سلسلة الانتقامات التي حصلت، وحس إن محمود فعليًا يبتقم منهم خاصة إنه قعد يصرخ الفجر ويقول إن محمود عاوز يخلع عنيه، وجري راح على دجال مشهور جدًا بإحدى مناطق القاهرة.

المغرب لقيت عم حسني بيتصل بيا ويضحك ويقول إنه عنده خبرين ممتازين، الأول إن يحيى مات، وإنه كان عند دجال اسمه (الشيخ سباط) وإن الدجال قاله: إن محمود يبتقم منكم، وإن فيه اثنين من الجن تابعين لروح محمود سكنوا جسد يحيى، وإنه يحاول يخرجهم ومصرين على الخروج من عين يحيى، ويحيى زاد رعبه خاصة إن محمود هدده يخلع عنيه، وبدأ الدجال يقول طلاس وتعاويد ويحاول وفجأة انفجرت عينين يحيى ومات وإنه في طريقه للمشرحة.

أما الخير الثاني إن عصام أخو محمود اللي مسافر في إحدى الدول العربية كان في المطار عشان ييجي مصر، ولما عرف اللي حصل لإخواته ومراته وبنته خاف يرجع مصر وطلع من المطار راجع لمحل إقامته وتعرض لحادث سير مع سيارة نقل ضخمة. دهست العربية اللي كان فيها وجثته انقطعت (١٠٠ حته) وإن أحد سكان المنطقة اللي مسافر مع عصام في نفس البلد العربية اتصل بالجيران وبلغهم باللي حصل وإن الجثة هتبعث لمصر.

عم حسني قال: إنه رايح المشرحة عشان يشمت في يحيى، فضلت في المشرحة مستني لحد ما جت جثة يحيى، شعبان المجنون عاوز يروح عشان مراته اللي بتولد زي الأراتب كل شهرين ونص حامل وتعبانة، وأنا حلفت ما هو متحرك إلا ما أنا أمشي، جثة يحيى أنا بعترها أغرب جثة شفتها في حياتي على الإطلاق، جثة فيها العينان منفجرتان تمامًا وكان تم خلعهن بسكينة كبيرة جدًا، منظر عجيب ومرعب. هتشوفوه في الصور، ومفיש أي سبب لحدوث ده، مفيش أي مبرر قادر أقوله في التقرير، تم ضبط الدجال وأعواته ولا زالت التحقيقات مستمرة.

بعدها بيوم وصلت جثة عصام، أو بمعنى أدق بقايا جثة عصام، اللي برضه هتشوفوا أجزاء منها في الصور، واللي انقطعت جثته لقاربة (٢٠ حته) ولم يتبق من الأمرة كلها إلا الأخت، شيماء، اللي فهمت القصة بسرعة، وجريت على عم حسني ينقذها من بطش

محمود وانتقامه، وحلفته بالعيش والملح تفضل عنده في بيته، وإنه الوحيد الذي يقد ينقذها من محمود، أخذها وجه بيها على المشرحة وخلص إجراءات استلام جثث محمود وعصام ويحيى وولادهم، الجثث تزداد ازرقاقاً، ومحمود يزداد ضحكاً، حتى وقت الغسل، محمود يضحك وفتحة فمه تزداد اتساعاً وشعبان يقول للشيخ سعيد إنت بتزغزغه وأنا هقول للرئيس، والشيخ سعيد يغسل حنة ويدخل الحمام عشان الإسهال ويتوضأ ويحيى يكمل وشعبان يقوله شقيتم.

خلص تغسيل الجثث وخرجت مع بعض في مشهد غريب، يستدعي تفكير رأسي عميق، جثة محمود الضاحكة تقود الجثث الزرقاء خلفها، هم كانوا سبب في موته وهو قتلهم كلهم، ودلوقت هو القائد اللي نعشه قدام بيضحك وهما وراه في حالة يرثى لها، قبل ميمشوا اتكلمت كلمتين مع عم حسني، سألته إذا كان كده خلاص ومحمود هيسامح أخته وتنتهي القصة كلها.

قالي: وهو بالمناسبة كان راجل عجوز يقارب الثمانين، لكن مثقف وقارئ ومؤمن وواعي جداً - قالي: جملة مفهمتهاش وقتها، قال: "يا طبيب، عندما يأتي الطوفان كل سيدفع ثمن ما ارتكب، وينفس الطريقة". قال: كده ومشي، مفهمتهاش، يمكن الطوفان هو انتقام محمود، واللي ارتكبه إهانة وجرح وإذاء وحتى موت محمود، لكن إيه بنفس الطريقة مش قاهم.

مشوا بقيت الساعة ٤ الفجر، قولت لشعبان والشيخ سعيد إني هطلع أنام في الاستراحة فوق، وبدأت أجمع الورق وطالع وسامع شعبان يقول للشيخ سعيد كأنه دكتور بيسأل مريض في حزم، إنت دلوقتي بتدخل الحمام كام مرة في اليوم؟ وقفت في الكوريدور أسمع. الشيخ سعيد قاله: يبجي عشر مرات، شعبان قاله: بلهجة الطبيب الواصل، اممممم، بدأت تحسن، بكرة هجيلك حباية اسمها الهدوء العجيب هتريحك على الآخر، ساعتها انفجرت من الضحك، سمعوني وطلعوا، شعبان يقول لي هو محمود يمشي هتضحك إنت يا رئيس، قعدت أحذر الشيخ سعيد مياخدش منه أي دوا وإنه بيضحك عليه، وبعدين شعبان التفت للشيخ سعيد وقاله: عارف يا شيخ سعيد الشياطين لما بتشوفك داخل الحمام بتقول إيه؟ رد الشيخ سعيد بالطيبة المعتادة بتاعته وقاله: بتقول

ليه يا شعبان؟ قاله: بتبص كده وأول ما بتلاقيك إنت اللي داخل بتقول: اللهم إني أعوذ بك من الخيث والخبائث.

طلعت نمت، الساعة تسعة الصبح صحيت على اتصالات كثير، نزلت لقبت تحت حشة شيماء، وليها منظر غريب، كانت نائمة والعقد اللي لابسها بتاع أمها لف على رقبتها وخنقها، وشكل العقد مرسوم بدقة عجيبة على رقبتها، هتشوفوه في الصور، حتى الدلاية اللي في النص، بتجيلنا حالات كثير سبب الوفاة التفاف حاجة على رقبتها وهي نائمة، لكن قد تكون إشارب أو شيء مماثل، لكن أول مرة أشوف السبب عقد مجوهرات، دي جديدة.

عم حسني مجاش، لأنه كان بيتحقق معاه لأنها ماتت في بيته، طلح بعدها بكام يوم، شيماء جه حد من ولاد أعمامها استلمها ودفنها، بعدها كلمت عم حسني واتفقت أقابله عشان يحكي لي أكثر عن واحدة من أغرب الحاجات اللي قابلتها في عمري كله. جالي المكتب، فضل يحكي، لفت نظري لحاجات غريبة جدًا عمري ما فكرت فيها!

عصام ومراته وبنته ماتوا في حوادث عربيات لأن أكثر حاجة أثرت في نفس يحيى منهم كانت الاستيلاء على عربيته اللي جايها يشقاه، سحر وابنها ماتوا بعلاقة موت بحديدة لأنها تعدت يوم موت محمود عليه بحديدة، وذي أكثر حاجة أثرت في محمود، أخوه يحيى اللي كان بيقتل محمود بنظرات الاحتقار والامانة اتخلعت عليه الاتنين اللي كان بيبيص لمحمود بيهم، شيماء أخته اللي سرقت منه عُقد أمه الغالي جدًا عليه ماتت مخنوقة بيه، افتكرت فورًا "يا طيب، عندما يأتي الطوفان كل سيدفع ثمن ما ارتكب، وينفس الطريقة".

بصيت ثاني باستغراب لعم حسني، وتأكدت للمرة الثانية إنه يريء من أي علاقات ما-ورائية.

القصة دي فضلت شاغلاني لمدة طويلة جدًا، هل محمود كان ليه علاقة بجنية عاشقة ليه وهي كانت السبب إنه لم يتزوج؟ وهي اللي انتقمت ليه؟ ولا فيه شيء غريب حدث أثناء وجود محمود ميت في شقته؟ ولا فيه حد يينتقم لمحمود بقوة ما-ورائية؟ ولا ده تسلسل قدري يحدت ثم بشكل طبيعي دون تدخل؟ وإيه سر ضحك محمود وأزرقاق الجثث؟ رحمت يوم أنا وعم حسني لقبر محمود وإخواته، الضحك توقف، لكن بمجرد

وقوفك أمام القبر تحس بالقباض رهيب، وطاقة سلبية مهولة وإحساس متقدّرش نقف فيه أكثر من ثواني، القضية دي اتحفظت بسبب غرابتها وعدم وجود متهم وعدم وجود أي تفسير منطقية لتلت أرباع أحداثها، لكن المؤكد إن القضية دي هتفضل مفتوحة جوه عقلي لحد آخر عمري، وهتفضل أسألتها دائماً مفتوحة، ويدون أجوبة، هل الروح المقهورة تملك القدرة على الانتقام لنفسها؟ وهل الروح في حالات القهر الشديد تظل معلقة حتى تأخذ حقها؟ وهل على قدر القهر يكون الانتقام؟ وهل يصل انتقام روح لهذه الدرجة من القوة والبشاعة؟ وهل تشعر الروح بما تم وتفرح مع كل عملية انتقام جديدة؟ وهل يصل فرحها لدرجة الضحك؟ هل يضحك الأموات أيضاً؟!!! هذا ما لا يصدقه الأحياء.

متزعّلوش حد أبدًا، ولا تزعلوا من حد، أي واحد فينا يموت مقهور وارد جدًا إنه يكون زي محمود وينفس نهايته، وأي حد فينا يتسبب في موت حد مقهور وارد جدًا إنه يكون زي إخوان محمود وليه نفس النهاية، عيشوا في حالة هدوء ولا مبالاة، لا تزعلوا من حد ولا تخلوا حد يزعل منكم، الموت محيط بينا في كل مكان، وكل وقت، لا يقبل الرشوة من الأغنياء، ولا يباب الملوك وأصحاب المناصب، ولا تغلق دونه أبواب القصور والدور، الحياة بسيطة وقصيرة، والموت مفاجئ، وانتقام القدر للأرواح مبرحמש.

الحكاية الخامسة

تمطر بغزارة هنا عند المشرحة الآن، المنظر بديع، ينقصه وجودكم، مبالغت هو المطر، تمامًا كالموت.

يحب الموتى أول زخة مطر في الشتاء على سقف المشرحة، وعلى سقف قبورهم، تواسي أوجاعهم، يحبون هودج السحب البيضاء التي تُنذر بالمطر الأول، كقبلة أولى، كموعدي أول، يباغتهم المطر كأنه يد حبيبة تلامسهم للمرة الأولى، ينتفضون لقطراته المتسارعة، يفرحون بمجيئه جدًا، وكأنه سحائب رحمة أتت لتبشرهم بموعدي في الجنة.

المطر عندي هو الشقيق التوأم للموت؛ كل هذا المطر وكل هذه الجثث ذاهبون رغبًا عنهما صوب عروق الأرض، أحب كلاهما، وكلاهما رغم برودتهما يشعلان نار قلبي الصغير.

أثناء غيابي موتًا على قيد الحياة، وانشغالي بصيف البعد باذخ الأم، نضجت الغيوم، واستوى الحزن، وآن للشوق أن يهطل، وآن للموت أن يقول كلمته.

المطر دموع الموت!

يسعدني الآن أن أقف تحت كل هذا المطر وأعترف، أني أحبها.

حسنًا، جاء شتاء جديد إذًا، ولا زال بيني وبينها طقس رمادي يشبه هذا المطر، ولا زلت أشتهيها قبل المطر، وبعد المطر، وتحت المطر.

جاء شتاء جديد إذًا، ومعه ذاك السؤال المخيف: "ماذا تراك تفعلين بباطن الأرض تحت المطر من دوني؟". وفي المساء أترتجف لذكرى نوافذ قبرك؟ أبوقظ رذاذ طيفي حنينك؟ كيف أنت يا ميم؟ أما زال عندك ذياك الوفاء للمطر؟!!

ودنك غريبة الشكل عموما أنا هديك علاج يظبطلك الاخرام، انتظرت من مكاني وقولتك
اخرااام؟ هي عجلة كاوتش يا ابن ال***، وجيت مكثفه ومحمود بيشدلي وجيت واخر
منه الحقنة ودابيهها في ودانه الاتنين خرمتهومله، وجيت رازعه على قفاه وفاككله جبل
حصانين وجيت مجريهم في الشارع وماشي، ومن ساعتها مش سامع كويس خالص.

- بصوت واطي، لا أنا زعلت والله، دنا هصرفلك إعانة يا شعبان.

- رينا يخليك لينا يا معالي الرئيس.

- أه، ما إنت سمعت أهه.

- هه، بتقول إيه ريس؟

- بزعيق، بقولك: إني هطلع ميتينك لو ودنك مطلعش فيها حاجة.

جيتته وجبت منظار الأذن وبصيت، أقسم بالله، واحدة بسيطة وواحدة فيهم فيها خرم
ولا خرم حمدي التقاز في ماتش الأهلي.

الواد ده سامع ازاي! الله يخرّب بيتك يا شعبان.

- بزعيق، دول خرمن كبار فعلاً يا شعباان دول عاوزين علاج قوي وممكن جراحة!

- آمال لو شفت الخرمن اللي أنا عاملهومله يا معالي الرئيس.

- هنشوفلك طبلتين حلوتين في جثة تحت وتركبهوملك. هجيب د. أمجد يركبهوملك

- ده ابن ال*** غبي.

- بزعيق والله ابن ال*** الغبي هو اللي يروح لدكتور بيطري يا شعبان، عموما، بيقولك
جاي ٨ جثث، هياكل عظمية. ٧ اطفال وحد كبير دخلهم على طول ونشتغلهم نشوف
إيه الحوار ده.

- تمام يا معالي الرئيس.

مشي وأنا كل ما أفكر "خرمته زي ما خرمتي" أموت من الضحك.

بعد ساعتين تقريبًا جه قال: إن الجثث جثت تحت، كل جثة في كيس وحطهم في التلاجة الكبيرة وجاهزين. قولته طيب طلعي (٤ أطفال) على الأربع ترابيزات على ما أغبر هدومي وأجي.

شريت أمريكيان كوفي ولبست ونزلت، هياكل عظمية شكلها قديسييم جدًا، بفحص العظام تبين أنها تعود لألوف السنين، أما السن بتاع الجثة وقت وفاتها بنحده عمومًا من الأسنان، وكماني فيه عملية تعظم بتحصل في العظم عند سن معين، يعني نهايات العظام بتكون غضاريف وعند سن معين بتتحول لعظم، ودي ينستخدمها في تحديد السن بدقة للجثث المجهولة، يعني على سبيل المثال ضرس العقل عند (١٨ سنة) بيطلع، تعظم عظام اليد عند (١٨) تعظم الترقوة عند (٢٢) تعظم القدم عند (١٦) تعظم الجزء السفلي من عظمة القص عند (٦٠)، وينستخدم كمان التحام عظام الجمجمة عن طريق حاجة اسمها التداريز، أوك، عمومًا هو علم كبير جدًا بنحدد منه السن بمنتهى الدقة، وفي الأحياء بنحددهم بالأشعة طبعًا، العظام دي أثرية ولكن دول مش أطفال، دول كلهم بين ٣٥ إلى ٤٠ سنة، دول أقزام!! كمان من شكل العظم بتاع الحوض وحاجات معينة مش هتشغلوكوا بيها بنحدد جنس صاحب الهيكل العظمي وهل هو رجل أم امرأة، ودول كلهم ستات، شعبولا بيقول: على فكرة يا ريس دول نثي، رديت بزعيق، نعم، يعني إيه ده؟ نثي يا ريس جمع نثاية، قصدي إنهم نسوان يعني، وإنت عرفت منين يا شعبان إنهم ستات؟ قال: بص يا ريس للجمجمة دي كده، بص ونخيل وشها كده، تخيل، هتلاقيها كهينة بنت كلب.

أخذت من كل جثة كده أكثر عظمة محافظة على نفسها، وحرزتها، واديتها لحد يطلعها فوق عشان الـ (DNA) لأن لو سيبتهم تحت ممكن الأقي شعبان عامل عليهم شورية؛ لأن قبل كده لما كنا بنشرح أنا ومحمود جثة متعفنة مليانة ديدان وحشرات بتظير وهو واقف مستمتع إننا أرقانين وبيشرب شاي، فجت حشرة من حشرات التعفن طيارة في كوباية الشاي بتاعته، بصيلها وبص عليا وأنا مركز معاه مستني رد فعله، جه ماسكها بإيده ومغطسها في الشاي وقال: النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: غطسها ثلاث مرات، وكمل شرب، فده إنسان لا يمكن توقع أفعاله.

طب يلا لِمَ دول كل واحدة في كيسها وهات الثلاثة الباقيين، هه بتقول إيه يا ريس؟
بزعيق، مَ دول كل واحدة في كيسها وهات الثلاثة التانيين يا أبو حرم.

جاب الثلاثة التانيين نفس الوضع بالظبط، أقزام، عضم أثري، السن من (٢٥) إلى (٤٠)،
ونثي

خلصنا كده السبع هياكل عظمية وكله تمام زي الفل، هات بقا أبو جلد بني ده أما
نشوف، وبدأ الرعب.

حطه على الترابيزة وبمجرد ما فتح سوستة الكيس النور قطع، ضلمة كحل، لكن أنا شفت
وشه، ملفوف في بطانية وملاية، لكن وشه باين، شيطان غريب، لو قلت لحد أوصفلي
الشيطان مش هيلاقى وصف أفضل من ده، قم مفتوح بأستان تشبه الفار، شعر في
مناطق ومناطق، عيون مقفولة لكن شيطانية الرسم، حاجة كده أول متشوفها قلبك
يتقبض، الطبيعي في الحالة دي بمجرد ما النور يقطع، بعد عشر ثواني تقريبًا بيشتغل
المحول الاحتياطي لأن مينفعش الكهريا تفصل عن التلاجات أبدًا، فات دقيقة مشتغلش،
مشكلة كبيرة جدًا والمشرحة ضلمة كحل، قلعت الجوانتي، طلعت موبايلي من جيبى،
بتور الفلاش، الموبايل كان شحنه (٨٠%) تقريبًا، وبمجرد ما شغلت الفلاش جابلي
(battery empty).

وقفل.

حاجة كانت أول مرة تحصل إطلاقًا في الموبايل ده، برضه أخذت الأمر مصادفة وعادي
جدًا، هنعمل إيه يا شعبولا، مردش عليا، بزعيبيق: شعباااان، مردش عليا، أكيد طلع
يجيب كشاف ولا حاجة، بدأت أتعرك مش شايف أي شيء، بحاول ألمس أي حاجة
بإيدي أعرف أنا فين، إيدي جت على حاجة لزجة، حاولت أعرف إيه ده، إيدي جت في
عين الجثة، بقول لنفسى كويس إنها مجانش في بؤك جتك الأرف، بس فيه إحساس
غريب، ضغطت عليها ببطء، كانت طرية بشكل مذهل بالنسبة لجثة هيكل عظمي،
كأنى بضغط على كيس لبن مثلا، لحد ما سمعت صوت غريب، فاكرين أزايز الكولا
الزجاجية زمان لما كنا بنفتح الغطا بتاعها؟ نفس الصوت بالظبط. فرقة بسيطة، وخد
عندك بقا، شوفت لما تفضل قاعد كثير على وضع معين وتيجي تقوم فتلاقى رجلك منمّلة
بشكل متقدرش تقف عليها، تخيل لما جسمك كله يحصله نفس الشكل ده في نفس

اللحظة، جسمك بالكامل حتى عضلات وشك، حتى فروة رأسك. بشكل غريب عمود ما حصلني أبدًا في حياتي، ولا حصل لحد، لدرجة إنني فكرت فعليًا إن ده الموت. اتشاهدت، وغمضت عيني ومستعد تمامًا، وأنا رجلي بتنهار، رجلي مش قادرة تشيلني حاولت أتمد بأيدي على طرف الترابيزة إيدي نفسها لا بتتحرك ولا فيها باور تسند، قعدت على الأرض، عضلات ضهري كلها تنميل مش قادر أصلب ضهري أساتًا، نمت على الأرض، جسمي كان فيه رعشة، بيتنفض كأنه محموم، وأنا مش مستوعب إيه اللي بيحصل ده.

أذكر معينة قولتها بصعوبة بالغة، جسمي بدأ يهدأ، شوية لحد ما هدي تمامًا. عيني كمان بدأت تعود على الضلمة، وشفيت خيال حد واقف جنب الترابيزة، ضلمة أه لكن عيني بدأت تاخذ عليها وشفيت خيال واحد طويل، ومش انعكاس لأي شيء لأن مش أي ضوء، وكمان إيديه بتتحرك، فكرته شعبان، وأنا مش قادر أتحرك ويتسم في سري ١٠٠ عيني إني هرفده، بدأ جسمي يتظبط، سندات ووقففت وفجأة النور جه، شفت الخيال ده بقي بلون احمر ولكنه اختفى في جزء من الثانية.

مركزتش أوي، اتحركت أشوف الـ ٢٢٢ ده راج فين، لقيته واقف عند الأوضة الأخيرة شايل بتاع كده معرفش اسمه تقريبًا (كلوب) ليه شعلة بيعملوا عليه شاي، بقوله إنت كنت فين؟ قالي: لما موبايلاك فصل حسست ومشيت كنت بحاول أجيب حاجة تنور، سكت متكلمتش، وده ميدأ عندنا على فكرة اتربينا عليه في زينهم، إن اللي يشوف حاجة لوحده ميقولهاش أبدًا إلا بعد القصة كلها ما تنتهي. قعد يقولي إنه حافظ المشرحة بالمللي وإنه يمشيها مغمض وإنه وإنه، لكن مكونتش مركز معاه إطلاقا، كل تركيزي مع اللي حصلني جوه ده، واللي لسه جسمي بيوجعني منه، وأصبحت على يقين إن قطع الكهرباء مكانش صدفة وإن الجثة دي هتشوف معاها العجب.

قولتله طيب قبل أي حاجة تعالى نشوف المحول الاحتياطي مشغلش ليه؟ رحنا لقينا سلك الكهرباء الداخلى للمحول متفحم تمامًا، مستحيل هتلاقي مهندس صاحي دلوقت، الساعة ثلاثة ونص الفجر والمهندسين بيبجو الشغل (الساعة ٩)، قلت لشعبان ربنا يسترها بقا للصبح والكهربا متقطعش ثاني، بس أقولك حاجة، أنا مش متفائل وشكلها هتقلب ضلمة، رد باللا مبالاة المعتادة، كفاية علينا نورك والله يا معالي الرئيس، مكونتش فايقله خالص، رجعنا للقاعة نكمل جثة الشيطان اللي جوه.

رد شعبان بعنف قاله: متغيش أنت علينا وأطلع دلوقتي بدل ما هاجي أحلقك دقنك، أنا ودائي مخرومة ومش طابق نفسي.

طلع الشيخ سعيد، الكيس لسه مفتوح لكن لقينا الجثة متغطية بالبطانية، شعبولا شالها، بصيت على العين مباشرة، عين داخلة لجوه وعين لسه مكانها، الوضع هدي، واضح إنه استسلم، والنور رجع في لحظتها، كل ده وأنا مش قادر أقف من وجع رجلي، وتفكري كله لسه مشغول باللي حصل، فجأة قلت لنفسي طب ليه لأ، بقولك إيه يا شعبولا، أنا مش مرتاح للعين دي، وشاورتله على العين اللي لسه مكانها، وقولتله اضبط عليها كده، حط ايده عليها وببضط وهو بيقول إيه ده، هي طرقة ليه كده، عليا النعمة أطرى من مراقي، وأنا قاعد أقوله: كمان لحد ما سمعت الـ (truck) وفجأة شفت منظر ما تخيلته في حياتي، مكونتش مستوعب إن أنا من شوية كان متظري عامل كده، شعبان شعره واقف، بيتنفض، إيده على ودنه، ركبته بتخبط في بعضها كأنها بتسقف، بيقول: كلام مش مفهوم، حاول يستد جه واقع على الأرض، اتخضبت عليه بجد وحيت إني غلظت بجد، جريت عليه، مش قادر ياخذ نفسه، فضلت أعمله انعاش للقلب كده، وعاوز أعمله انعاش تنفس، وفي الحالة دي لازم أديله قبلة الحياة، وده مستحيل، الواد بدأ يزرقي، ببضط على القلب، وكل ما أبص في وشه، أتعوذ بالله، بدأ جسمه يهدي، شوية بقى طبيعي تمامًا، لكن مش قادر يقوم، سندته حط ظهره على الحيطه، بدأ يفوق خلاص، بص للجثة الراجل، وقاله: يا ابن **، دنا هفرمك إنت كمان بس اصبر.

أنا رجعتلي هيستيريا الضحك وبحاول أتماسك مش قادر، وبحاول أفهم شعبان إني معرفش إيه اللي حصل ليه، وهو مصمم إني كنت عارف عشان قاعد أقوله: اضبط كمان، قعدت جنبه على الأرض، فضلنا نضحك بهيستيريا، بحاول أفتح الموبايل فتح والشحن (٨٠%)، قمت صوّرت، بلهجة جدية بقول: قوم يا شعبان يلا كفاية تهريج خليتنا نخلص، قام وعينه كلها شرار وهو بيص للجثة.

بص على بطنة الحمراء تمامًا، مكانش أخذ باله منها قبل كده، بصيها أوي باستغراب وقال: وهو بيكلم نفسه هي حمرا كده ليه؟ وبص للجثة وقاله: بجدية تمامًا هي دي بطنك ولا *** يا ابن الـ***!

ساعتها أنا فعليًا انهرت من الضحك مقيتس قادر أقف، شعبان يحاول لمدة ساعة يقلعه الدبلة متقلعش، لدرجة إننا حاولنا نشدها بنسبة، من كتر الضغط عضم الصباع انكسر والدبلة متقلعش، الدبلة استايل حديث جدًا وكأنها محفورة بليزر، بدانا التشريح، الجلد سميك وقوي جدًا، يشبه جلد المومياءات الفرعونية لأنني شفتها قبل كده، بمجرد فتح الصدر ريحة بشعة، تحت الجلد العظام فقط لا غير مفيش أي عضو جوه، المذهل جلد البطن الحي وسط كل النسيج الميت ده، شيء لا يصدق عقل، حاجة خرافية غير مفهومة وليس لها أي تفسير، حتى الأطباء الأجانب لما عرضتها عليهم في مؤتمر في ميامي بيتش (جامدة ميامي بيتش بالمناسبة، اسألوا muna karim) ذهولوا من الصور واتضايقوا جدًا لما عرفوا إن الجثة اندفنت بعد التشريح، وإن دي كانت ممكن تبقى جثة القرن، ويتعمل عليها مليون دراسة، ومهما حاولت تشرحهم عن القانون وإجبار الدفن في القانون المصري خلال فترة وممنوع تبش القبور و، و، و، ميسموعبوش أبدًا ويعتقدوا إننا ضيعنا على البشرية سبق علمي مذهل ويمكن يكون الأهم في العالم، لدرجة إن أثناء النقاش طبية شرعية أمريكية من أصل بولندي بكت فعليًا، على السبق اللي ضاع، ولكن فعليًا مكانش بإيدينا حاجة وعرضت عليهم كل الخطابات والمحاولات اللي عملناها لتحويل الجثمان للبحث العلمي الأثري، لكن تم الرفض بحجة إن الآثار عايشين في مية البطيخ وميهمش أي جثة. عاوزين التوابيت والذي منه كمان المحضر فيه (٨ جثث) مع بعض يبقى لازم يندفنتوا مع بعض.

الميم نكمل، كسر قديم ملتحم بشكل معيب بالقرب من رأس عظمة الفخذ اليسري بمحاولة فتح الرقبة بالمشروط عمل أزيز معدني غريب وفيه خشرة سوداء أشبه بالصراير الطائرة طارت من فم الجثة وخرجت من القاعة ودوخنا عليها بعد كده ولفينا المشرحة علقيناهاش أبدًا رغم إن مفيش خرم إبرة تطلع منه، العظم والأسنان محتفظين بنضارتهم كأنهم عظام حديثة الوفاة، حتى الأسنان محتفظة بطبقة المينا البيضاء وده شيء غير طبيعي، ولكن عظام الجمجمة ببيان عليها مدة الوفاة اللي تقريبًا أثرية، من آلاف السنين. رجعت للعن، عاوز أشوف إيه المادة اللي جواها اللي عاملة زي اللبن أو الجيلي دي وغير مفهومة، فتحت الجفنين بصعوبة، مفيش شيء، مع صوت زي تفريغ الهواء من كاوتش عربية مخروم، أمال أنا كنت بضغط على إيه؟ مش عارف، فين طيب اللي كان شعبان يضغط عليه وكان أطرى من مراته!! مش عارف، بس مش ده اللي هيبهرني

يعني مع جملة التي حصل، نشرنا الجمعية بصعوبة رهيبة، فاضية تمامًا، قلعت الجوانتي ويكتب شوية حاجات وشعبان يلعب بالمشروط في وذن الجثة عاوز يخرمله الطلبة مش لاقوها. أخذت عينة عظم عشان (DNA) عشان نبدأ بقا. في مرحلة التخييط التي واضح إنها هتستمر بلا نهاية، مفيش إبرة راضية تدخل في الجلد إطلاقًا، اتكسر أكثر من خمس إبر خياطة غالية جدًا، شعبان مضر يخيطة، جاب مسمار صلب وربط فيه خيوط كتان ومستحيل يخرم الجلد، آخر ما زهقنا لفيناها بأكياس تغليف تضم الجلد على بعضه.

النور بدأ يطلع.

فضلت قاعد مع شعبان قدام المشرحة بره للصباح، بنرش مية عشان ربنا يرزق وعشان حاسس بالذنب الرهيب من التي عملته فيه، وعاوز أعترفله ومش عارف، لحد ما قولتله: أنا حصل معايا التي حصل معاك، بس كنت مفكر إن التي حصلي ده حاجة طارئة عندي أنا. هبوط ولا حاجة وقلت أخليك تجرب وفضلت أعتذرله، زعل جدًا، قولتله: انت زعلت يبقى

أنا غلطان إني قولتلك أساسًا، قالي: لا والله أنا زعلت عشان لو كنت قولتلي قبلها كنا جيبنا الشيخ سعيد يضغط عليها عشان تضحك شوية لأنني عاوز أخبره عشان بيتريق عليا، فضلنا نتكلم إن الحاجات الجنونية دي لو حصلت في آخر ٥ سنين (١٠٠ مرة) مثلاً في (١٠٠ جثة) من بين (٣٠ ألف جثة) اتشرحوا في الخمس سنين دول بمعدل على الأقل (٦٠٠٠ جثة) سنويًا، يعني بنسبة (٢٢) من مية في المية (٢٣.٠%) فقيه (٨٠) منهم معايا أنا وشعبان، والباقي مع أي دكتور وفني آخر، وإن الكيمياء بتاعتنا مع بعض هي مسبب كل الكوارث، وقجاة قام وقف وقالي: إيه ده؟ أنا من ساعة ما وقعت بقيت بسمع كويس، قولتله: عرفت بقا يا شعبان أنا خيلتك تضغط ليه؟ لأنني ببص لقدام ولحاجات إنت متشوفهاش، بس راسي، قولتله: تصدق إن وإن بتמות جوه كنت هبوسك من بؤك، رد عليا رد صعقني، قالي: يا لهوي اوعى تكون عملت كده، أنا أصلي بأرف، قولتله: قوم يلعن أبو شكلك.

هات يلا قرار التشریح، بيحط إيده في جيبه يطلعه طلعت معاه الحشرة كانت في جيبه وطاربت بعيد، بصينا لبعض وسكتنا، حسينا الموضوع زاد أوي المرة دي.

كلمت عمرو بيه اللي معاه القضية في المباحث دردت معاه، ويسأله اشعنى الهيكل الكبير اللي لفينه في بطانية، قال: والله أنا ما كنت موجود بس قالولي: كل ما عسكري يبجي يخطه في كيس يرجع للظابط يقوله: ده بيعمل صوت، بيعت حد تالي يرجع يقوله: ده بيتحرك والعساكر خافت، فجابو بطانية بملاية كده قديمة لفوها عليه وزقوه جواها، قولتله باستنكار: بيعمل صوت وبيتحرك؟ إيه التهريج ده، ما تخلوا رجالتكو تسرجل شوية يا عمرو بيه، هو فيه حاجة كده أصلاً قالي: والله مسخرتهم كلهم، قال: بيعمل صوت قال: قولتله: على رأيك، بعدين سألته إنت مغليتش الآثار تبص عليهم ليه؟ قال: كلمناهم قالوا ما دام مش في توايت يبقو مش أثريين ولا ليهم أي لازمة، تمام ياشا، هشوف وحكلمك ثاني، قال: بيتحرك وبيعمل صوت قال، ناقص يقولوك: بيغني. وقفلت.

بعدما اكتشفنا إن النور كان قاطع في المشرحة بس مش في المنطقة كلها، رغم إن كل المنطقة على خط كهرباء واحد، الصبح المهندس اكتشف إن سلك المحول وهو أفضل وأمن نوع سلوك كهرباء على مستوي العالم عمره الافتراضي (٢٥ سنة) متركب من (٢ شهور). اتفحم بشكل كامل بدون وجود أي ماس كهربائي وبمجرد تغييره اشتغل فوراً، موبيلي لما يفصل عمره ما يجيب كلمة (battery empty). اطلاقاً، مش في السيستم بتاعه أساساً، عينات الـ (DNA) لجثث القزعات السبعة ولجنة الموكوس ده طلعت غريبة بشكل غير طبيعي، المعروف إن الإنسان أي خلية ليه بيبقي فيها (٤٦ كروموسوم)، وباختصار الكروموسوم ده خيوط مكونة من (DNA) حواليه بروتين جوه نواة الخلية، يعني أي نواة لخلية إنسان بيبقي جواها (٤٦) خيط من دول، (٤٤) خيط منهم بيعددوا الصفات الجسدية زي لون العينين، والشعر، والبشرة، والطول، والجسم، والتكوين العضلي، وكل الحاجات دي، وخيطين بس هما اللي بيعددوا جنس الشخص هل ذكر أو أنثى عن طريق خيطين واحد اسمه (X) وواحد اسمه (Y) الذكر بيكون فيه واحد من الخيطين دول (X) وده صفاته أنثوية شوية والثاني (Y) وده صفاته ذكورية بحتة، أما الأنثى بيكونوا الخيطين (X) يعني باختصار كده عشان نفهم بس.

تركيب كروموسومات الذكر الطبيعي، (XY+٤٤). وتركيب كروموسومات الأنثى الطبيعية، (XX+٤٤).

مجموع (٤٥) كروموسوم) بس ودي حالة خلل جيني اسمها متلازمة ترنر (TURNER SYNDROME) ودي بتكون بنت لكن بسبب نقص واحد من الاثنين كروموسوم (X) الأنثوي فيها بتظهر عليها بعض الصفات الذكورية زي خشونة الصوت، والعضلات، وعدم نمو الأعضاء الجنسية الأنثوية، والأثداء، وزيادة الشعر في الجسد، ويتكون غالبا قرمة، يعني من الآخر أشبه بهند الضكر، يعني ست مسترجلة، يعني مطلعوش لشي بيور

أما الموكوس طلع تركيبه الجيني (XXY+٤٤)

مجموع (٤٧) كروموسوم). ودي حالة خلل وراثي برضه اسمها متلازمة كلاينفلتر (KLIENFILTER SYNDROME) وده بيكون ذكر ولكن بسبب وجود كروموسوم (X) أنثوي زيادة بتظهر عليه بعض الصفات الأنثوية زي نمو الأثداء، وضعف العضلات، ورقة الصوت، وعدم وجود أي شعر في الجسد، وعدم نمو الأعضاء الجنسية الذكورية، يعني راجل منسون، سوسو يعني.

مين دول بقا؟ ومين جمعهم مع بعض؟ وكانوا بيعملوا إيه؟ وإيه سبب وفاتهم المفاجئ؟ وإيه جلد الراجل البني الشمواه ده؟ وإيه اللي في عنيه؟ وإيه تلاوات الكينة اللي سمعناها بوضوح؟ وإيه الديلة اللي مستحيل تتخلع دي؟ وحديته كده راي كأنها محفورة ليزر؟ إيه الحشرة دي اللي قدرت تطلع بره في جيب شعبان؟ مين كان عنده العلم في الوقت ده انه يجمع الحالات دي مع بعضها مع العلم مش أي قرمة تكون ترنر، ده فيه ألف سبب تاني، ولا أي سوسو يكون كلاينفلتر، يعني اللي جمعهم هنا عارف كويس أوي هو جامع مين بالطبط، أسئلة أسئلة بدون إجابات، التقرير طلع بس بالوصف ده وتعذر فيه الجزم بسبب واضح للوفاة.

الي عنده إجابة للأسئلة دي يقول، لأنني لحد النهارده معرفتهاش، وأوعده اللي هيقولي إجابات مقنعة معزمه على عشا رومانسي على أضواء الشموع على النيل مع شعبان.

اركنوا كل ده بقا على جنب، ونكمل...

الساعة عشرة الصبح جت إشارة أكثر غرابية، حمادة سواق اللودر اللي خبط الجثث راجل شاب عنده (٢٨ سنة) وعایش هو ومراته (منى) الحامل في الشهر الثامن في شقة

صغيرة أوضة وصالة. مراته حملت بعد زواج ٩ سنين. كانوا كويسين جدًا وزي الفل. ولا يعانون من أي شيء. حمادة رجح بيته الساعة واحدة بالليل بعد يوم عمل شاق. نام هو ومراته. أصحابه بيخبطوا عليه الساعة ثمانية ونص الصبح. مفتحش. كسروا الباب لقبو ٣ مفاجآت قاسية.

- المفاجأة الأولى: كانت وفاة حمادة دون أي سبب واضح. جثة هامدة.

- المفاجأة الثانية: كانت وفاة منى مراته وفيه تزييف تحتها ممكن يكون إجهاض أو شيء.

- المفاجأة الثالثة: الأكثر قسوة إن منى مكانتش حامل. لأن ابنها مرمرى بالحبل السري بتاعه وسطهم على السرير وميت. وواضح إن تم انتزاعه من الرحم بعنف.

هي قلبت مأساة ليه كده؟ الجثث جت وسط مأساة فعلية من الأهل والأصدقاء.

بدانا بجثة الطفل اللي جاية في كيس أسود وواضح إن تم انتزاعها بعنف من الرحم والحبل السري لسه فيه. كان غير مكتمل نمو الرئتين ومات قبل مياخذ أي نفس.

جثة منى خالية من إصابات خارجية لكن واضح إنها اتعرضت لعملية إجهاض متعمدة. وبعنف شديد أصابها بتزييف حاد وصدمة عصبية أدت لوفاتها.

جثة حمادة كانت شيء. أول مرة أشوقه في عمري كله. مفيش سبب واضح للوفاة. لكن شفت فيه اللي عمري ما شفته ولا هشوقه. جروح طليسمية أشبه بالتعاويذ مالية جسمه. كان حد مسك آلة حادة وساخنة جدًا ونقشها على جسمه بكل هدوء. والملابس مفيش فيها أي خدش. منظر غريب ومذهل. خاصة إنه مفيش أي سبب آخر للوفاة. هتنزل صورة منه مقلرة ومعكوسة عشان الطلاسم.

شيء غريب. مذهل. ومحرزن. ومفجع. متضايقوهمش. متحاولوش أبدًا تسببوا أي أذى لأي حد منهم ولو من غير قصد. هما حواليكو في كل مكان. حواليك حالا وإنك بتقرأ. هما كثير جدًا. ومتنوعين جدًا. وبيتحركو بسرعة جدًا. في كل مكان ممكن تلاقىهم. ممكن يكون اللي بيقرا معاك دلوقت واحد من اللي عملوا كده في حمادة ومنى. أرجوكم. محدش يأذيههم أو يضايقيهم. طول ما هما في أمان انتوا في أمان. خدوا بالكم من كل حركة في الضلعة بتتحركوها. ربنا يحفظكم.

الحكاية السادسة

"وربما يكون الموت، هو النعيم المقيم"

الزمان: فبراير ٢٠١١.

المكان: المحلة الكبرى.

التوقيت: الثالثة عصرًا.

إشارة بوفاة رجل في خمسينيات العمر بطعنة سكين في القلب، وتخلص الواقعة في وجود مشاجرة بين شخصين، فتدخل المجني عليه في محاولة الفصل بينهما لكنه تلقي طعنة سكين في صدره أودت بحياته على الفور.

توجهت بصحبة المساعد لمشرحة مستشفى المحلة الكبرى، وجدت الجثمان مستلقي على ترابيزة التشريح لكن شغلني عدد الناس المنتظرين في الخارج، وفي حالة بكاء مرير، رفعت الغطاء عن وجهه، وكأني أرى القمر ليلة التمام، وجه لا تستطيع إبعاد عينيك عنه، تفوح منه رائحة مسك زكية، ملأت القاعة كلها، ولأنك دائما بتكون القائد في مثل هذه الأوضاع فمیںفعش تهتز أبدًا أو ترتبك، بدأت أشغل بالي بحاجات تانية زي الأوراق لكن للأسف مش قادر أبعد عيني عن وجهه، افكرت حديث للرسول صلي الله عليه وسلم عن سيدنا طلحة بعد غزوة أحد وهو يقول: «من سره أن ينظر إلى أحد من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، وأشار إلى طلحة» والله وكأني أنظر إلى أحد من أهل الجنة في نعيم مقيم، وجه كالبدرد، لكن الفرق إنك مش قادر تبعد عنيك عنه، مش قادر، ببص حواليا فوجئت بالمساعد كان اسمه حسن وعامل المشرحة في نفس الوضع، باصين ليه، شامين ريحته، وفي حالة سكون رهيب في القاعة، مكانش ينفع الحالة دي تعدي كده

أبدأ، قلت لعامل المشرحة يدخل ليا حد من أهله، جابلي أخوه، وفضل يحكي عنه، اللي وصل من كلامه وعلق معايا من كوكتيل أعمال الخير شيء واحد بس، إن الرجل ده كان ناذر حياته للصلح بين أي اثنين متخاصمين، أو بينهم شجار، أو حتى قضايا، وكان مخصص وقت كل يوم في محاولات الصلح دي، وجميعها كانت بتنتهي بصلح وعمره ما فشل، وكان بيعمل ده خالصا لوجه الله، وفي بعض الأحيان كان بيدفع فلوس بمبالغ كبيرة من معاه عشان بس ينهي مشكلة مادية بين اثنين، جميع الشهود يقولوا: إنه لما وقع نطق الشهادتين ٣ مرات وكان مبتسم وبيحاول يحضن حد، لدرجة إنه كان مستلقي على ظهره على الأرض وفجأة انتفض جالسا وهو يقول: (حبيبي حبيبي أخيرا)، ثم مات.

رجعت ثاني للجثة، موضع الإصابة في القلب مباشرة يخرج منها دم زكي الرائحة، يبدو من عموم جسده إنه مستعد للشهادة من حلق شعر العانة والإبط، وكانت أصابعه تأخذ علامة التشهد وتبيس ثم تنفك مرة بعد أخرى، ساعتين أشاهد وجهه، وأتساءل أي هدوء واطمئنان، لا شيء. يرعب هاتيك النوارس البيضاء عند موتها، لأسباب بينها وبين ربها، وبسرح في هذه الدنيا الحقيرة، وازاي بتشتريها على حساب نهاية زي دي، وحياة خالدة زي دي، وتولا ملل الناس بالخارج وسؤالهم المستمر عشان يلحقوا يصلوا عليه المغرب ما كنت مشيت، حضرت غسله وشاركت فيه، وصليت عليه، ومشيت.

لأيام كنت بشوف وشه الهادي الرزين المطمئن في كل مكان، من الحاجات اللي أثرت في حياتي جدا، ولكن للأسف، يكيد لك الشيطان وينسيك، ويشغلك بأشياء أخرى ويخرجك من حالة العبودية اللي كنت دخلت فيها، ويغرقك في الذنوب، لحد ما تلاقي حاجة ثانية تصحيك، بعد ما تكون ضيعت فترة طويلة في ذنوب وحياة خادعة ملهاش تلاتين لازمة.

للمرة المليون هقولكم، والله العظيم كلنا عايشين بس في اختبار عشان اللحظة دي، عشان اليوم ده، (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)

[آل عمران: ٣٠]

كل اللي احنا عايشينه وهم، واليوم ده هو لحظة الحقيقة المطلقة، متآمنش أبداً لنهايتك، ممكن تيجي في لحظة معصية رهيبه، وممكن تيجي في لحظة طاعة، متآمنش.

يفتكر دائما التي ماتت مع راجل في الحمام في حالة زنا بعد تسرب الغاز من السخان
والبانيو على أطرافه زجاجات الكحول والحشيش وازاي كان منظرها ورائحتها التي لا
تطاق، ووشها المرعب التي في ملامحه رعب الدنيا كله، وأفكر، هل المتعة التي كانت
فيها كانت تغنيها عن نهاية زي نهاية الراجل ده، طيب بعد النهاية، شعورها إيه
دلوقت؟ وهي أصبحت مخلدة في حياة أخرى أفضت إليها بعد ما قدمت، متفكروش
النهاية بعيدة، موت الشباب حاليا بقى أكثر من موت العجائز، امبارح موت شاب من
يومين بس كان منزل حفلة تخرجه في الأكاديمية البحرية، والعمر كله له قدامه،
متخذعوش، وأقسم أنني أول الراحلين.

الحكاية السابعة

مساء البنفسج على الذين كانوا نزلًا خفيفين على الحياة كأنهم ضيوف الذين جاءوا
ورحلوا دون أن يزعجوا أحداً بأنينهم!

مساء البنفسج على الذين آمنوا أن أجمل الرحلات وأسرعها هو الموت لأنك لن تحتاج
أن تسافر إلى المطالديف على صهوة بونج!!

مساء البنفسج على الذين أغلقت بوجوههم أبواب الحياة لأنهم لم يعرفوا كيف يقرضون
في جمالها شعراً رخيصة!

مساء البنفسج على الذين ماتوا في صمت فلم تقرأ روتانا على أرواحهم القرآن!

مساء البنفسج على الذين اختاروا ألا يدعون لأنفسهم بطول العمر خشية أن تتسخ
قلوبهم.

الزمان: يوليو ٢٠١٥.

المكان: مشرحة زينهم.

التوقيت: الحادية عشرة ليلاً.

- شعبان.

- أيوه جالاي، لؤمري يا رئاسة.

- طيب مبدئيا متحول للتحقيق عشان أيوة جاي بتاعة القهاوي دي متتكوررش، ثانيا فين لابس الشغل مش لأيسه ليه؟
- يا معالي الرئيس مش هقول.
- خلصناaaa، فين لابس الشغل؟
- الشيخ سعيد غرقهولي مية بالخرطوم اللي بيغسل بيه يا ريس وأنا كنت جاي أشتكبه.
- انتوا بتلعبوا بقا تحت؟ وغرقهولك ليه؟
- ليه وليه يا ريس إني قلت لمراته إنه باني عمارتين، ومعاها فلوس في البنك أد دماغه، دماغ الشيخ سعيد يعني يا ريس.
- وهو فعلا معاها كده؟
- الشيخ سعيد؟؟ الشيخ سعيد معاها يشتري مشرحة لوحده ويشرح بنص التمن ويشغلني عنده عشان يرقدي كل يوم يا ريس.
- وإنت قلت لمراته ليه كده يا شعبان؟
- عشان مش راضي يجيبلي عشا يا ريس، وأنا متغديتش وهمشي كمان ساعتين، وإنت عارف بقا إنها هناك مره كهينة بنت كلب هقولها: العشا هتقولي: منين؟ وازاي؟
- طيب، فيه جنتين جابين دلوقت من السلام أول، دخلهم، على الترابيزات وأنا نازل حالا، وعرفهم تحت إن الكل متحول للتحقيق عشان تبطلوا هزار في الشغل.
- كله يا ريس؟
- كله يا شعبان.
- كله يا وليد.
- اطلع بره يلاaaa، وسامعه ماشي في الكوريدور بيقلد الأخت الرقيعة وهو بيقول: عاوزه أترقد مش عاوزه أتصور.
- شربت قهوة لبست ونزلت.

إشارة بحالة انتحار طالب جامعي في الواحدة والعشرين من العمر، بتقول التحريات: إنه كان يعاني من بعض المشاكل النفسية وتزداد مؤخرًا على طبيب نفسي في نطاق القاهرة، وإن الحالة دي حصلتله بعد خطبة حبيبته وصديقتها الجامعية وجارته في نفس الوقت لشخص آخر، فقام بربط حبل في السقف ولفه حول عنقه ووقف على كرسي وانتحر شنقًا، بالنسبة لأي طبيب شرعي حالة عادية جدًا هفيش فيها شغل كثير بالمعني الحرفي. يعني مجرد فحص موضع الإصابة والتأكد من إنها حيوية يعني حصلت والشخص على قيد الحياة، كمان بتأكد إنها سبب الوفاة مع بعض العينات للبحث عن السموم والمخدرات والمهدئات والمنومات وجرعاتها لأن ممكن حد يتخدر الأول بعدين يتعلق، وهكذا.

محمود نايم مكانه ملامح شخص مرعوب فيه رغب الدنيا كله. وتفاصيل للملامح شيطانية يهودية مقرزة، وريحة بشعة استمرت حتى بعد خلع الملابس، ريحة طالعة من قلب الجثة نفسها رغم إنها لسه فريش، ملامح توحى بنهاية صاعقة.

(ريكورد ينج)

«الجثة لذكر في بدايات العقد الثالث من العمر متوسط القامة والبنية يرتدي بنطال تريتنج أسود اللون، وقي شيرت أبيض اللون، وملابس داخلية بيضاء اللون، والملابس جميعها خالية من القطوع والتمزقات والتلوثات المشتبهة، والرسوب الدموي بلون بنفسجي غامق بالرجلين، والجثة في حالة تيبس رمي والتعفن الرمي لم يتضح ظاهريًا بعد، ويفحص العنق تيبسًا حذرًا عميقًا محيطًا بمقدم وجانبي العنق على مستوى الغضاريف الحنجرية، ويرتفع لأعلى في الخلفية، وآثار عقدة الحبل موجودة بمنتصف خلفية العنق من أعلي، والإصابة حيوية حديثة، كما تيبسًا أعلاها وأسفلها بعض السحجات الظفرية!!! عدا ذلك لم نتبين إصابات أخرى ظاهرة»

يللاا يا زفت، أيوه جاء، احم، تمام يا معالي الرئيس.

بدأت أركز في موضوع السحجات الظفرية المحيطة بمكان الشنق دي. (سحجات ظفرية يعني خرايبش اتعملت بواسطة الأظافر) فهل المنتحر فعليًا بعد ما اتحرك الكرسي من تحته الحبل مموت هوش على طول وكان بيحاول ينزعه بايده مثلاً فخر يش نفسه، ده

أقرب تحليل منطقي خاصة إن مفيش أي أصابات تانية تشير إلى حدوث عنف جنائي أو مقاومة

لحد كده الكلام عادي وطبيعي جدًا.

بإجراء الصفة التشريحية تبينا جميع علامات الأسفكسيا الداخلية، وثبت فعليًا أن الوفاة نتيجة أسفكسيا الشنق وما أحدثته من ضغط على المجاري الهوائية العليا للجهاز التنفسي، ومنع دخول الهواء مما أدى إلى توقف المراكز الحيوية بالمخ عن العمل ومن ثم حدوث الوفاة.

العينات اللي أخذناها كلها طلعت سلبية تمامًا للسموم والمخدرات، وكان بس فيها آثار مهدئ ضعيف كان الدكتور كاتبه للحالة قبل وفاتها، كمان من ضمن محتويات المعدة اللي كان فيها بقايا أكل عبارة عن تمر فقط لقينا شيء غريب جدًا وهو عبارة عن ورقة سمكة مكتوب فيها شيء لكنها مبثلة تمامًا بعصارة المعدة وبقايا الطعام وبالتالي مش قادر أميز الشيء ده، منكرش أبدًا إني حسيت برعشة غريبة لما مسكتها، وبرعشة أكبر لما حاولت أقرأها لكن محطيتش في بالي كالعادة، سبيتها تنشف وقلت هبقي اشوفها بعدين حطيتها في ظرف وضممتها للورق بتاعي وخلاص، ووجود أشياء غريبة في المعدة هو شيء اعتيادي لأي طبيب شرعي بالمناسبة، فأحيانًا تجد أوراق أو أشياء بلاستيكية وأحيانًا لفاقات مخدرات؛ بل في بعض الأحيان وجدت قفل معدني صغير ومفتاحه داخل معدة إحدى الجثث، خلصت الجثة بسرعة. شعبولا خيوطها وبعدين غيرت هدومي وطلعت مخلص شوية حاجات وهبات هنا اليوم ده، مرت كل الأمور طبيعية تمامًا، والجثة استلمها الأهل بتصريح الدفن ومشيو.

بعدها بيوم جت مذكرة النيابة كسلت أقرأها وقلت هقراها وقت ما أجي أكتب التقرير على اعتبار إن الحالة منتهية تمامًا، ومرت أول (٢ أيام) عادي جدًا لحد ما بدأت السيمفونية تشتغل.

ورقي بالكامل بيكون عندي في المكتب مع أي احراز مهمة والتلت أيام دول نمت فيهم يومين في المكتب، وكان كل الملاحظة الغريبة فيهم هيا الخلل في درجة حرارة جسمي، أنا سواء صيف أو شتاء يستحيل أنام غير في التكيف وفي درجة حرارة ٢٠. حتى في أقي أيام البرد، فكنت أقوم أحيانًا، ورغم إني في الوقت ده كنت في عز أيام الحر فكنت أقوم

بالعنى على مستوى النتوء الجبجري، يشمل مقدم وجانبى العنى ويرتفع لأعلى في الأجزاء الخلفية ويقل فيها عمقه، كما تبيناً سحبتان ظفريتان صغيرتان محيطتان بالبحر، عند النقطة دي بس افتركت محمود. لأن دي مكانتش حاجة واردة اطلاقاً، وقت الريكوردينج، شعبان، الجثة اللي اشتغلناها سوا من تلت أيام دي كانت تبع قسم إيه؟ رد شعبان اللي ذاكرته زي كمبيوتر مايكروسوفت الرئيسى اللي بيدير العالم كله تقريباً، وقال: بيانات القضية كلها، ودي مشكلة شعبان الرئيسية، هو عنده ذاكرة خرافية، لكن مستحيل يستغلها في إنه يربط حاجة ببعضها، حتى لو حطيتها وملة قدام بعض وقولته: تستنح إيه؟ يقولك: العب باليه، الولد من تلت أيام كان فعلاً اسمه محمود، القضية تابعة لنفس المنطقة، ونفس العنوان، أصبح بما لا يدعوا مجال للشك إنهم المقصودين، خلصت الجثة، سبب الوفاة واحد، اسفكسيا الشنى، المعدة المرة دي فارغة تماماً من الأكل، مفيش فيها غير عصارة معدة وحاجة دائرية صغيرة بقطر ٢ سم من نسيج غير معروف يحتوي على خيوط وأشياء غير واضحة وله رائحة كريهة، عينات السموم والمخدرات والمهدئات والمنومات كلها سلبية، خلصت الجثة وخيوطها شعبان وأنا مستعجل جداً، فيه حاجات لازم أعرفها، أخذت الحاجة اللي كانت في المعدة دي في كيس، وطلعت بسرعة على المكتب وشعبان جاي ورايا جايب أكل في ايده بيتحاييل عليا أكل معاه، وبيقنعني إن اللي عامله آه كهينة بنت كلب لكن نفسها في الأكل حلو.

كتا في عز الصيف، وأنا آه طول الوقت سايب التكييف شغال حتى لو مش في المكتب، ولكن درجة الحرارة بمجرد ما فتحت الباب، أنا متعرضتش ليها في حياتي رغم سفري الكثير جداً، يمكن للأسف لأنى مزورتش المنطقة القطبية الشمالية، برد غير طبيعي يجمد كل حاجة فيك. شعبان أول ما دخل عمل أصوات غريبة ببؤه ومناخيره وهو في حالة لا وعي وطلع جري واقف بره.

أنا مكوونتش فاهم، أخذت ملف القضية وحاجتها وأنا بتنفض من البرد وطلعت بره. دخلنا مكتب نسخ القضايا، وشعبان لسه بيحرك شفافة زي إسماعيل يس لما كان بينخض، فتحت مذكرة النيابة، قلبت بسرعة الكلام وأنا بدور على التحريات لحد ما لقيت اللي بدور عليه، محمود لقيوا في غرفته ٦ كتب متعلقة بالسحر والجن والأعمال السفلية وأنواع كثير من البعور وأشياء مشابهة، فتحت الظرف، طلعت الورقة اللي كانت

نشفت ولزقت في جوانب الظرف، فصلتها بصعوبة وبصيت فيها، نفس رعشة أول مرة، الورقة مليانة رموز وأرقام ورسومات هندسية وفيه في نصها جملة هزيل منها كام كلمة لتكون تعويذة أو طلسم أو شيء مكتوب فيها: "قسما بطارش ال*** ال*** ال*** لتأين إلى يا نور، وعلى طارش الانتقام ممن تسبب".

رعشة غريبة وأنا بقرا، لكن من حكم خبرتي أيقنت إنها عمل سحري سفلي، كنت بقرا بصوت وشعبان واقف يقتعني بلذة طعم الأكل، دونت بياناتها، وشعبان يسأل ببلاهة هو مين الأطرش اللي بيحلفوا بيه ده يا ريس؟ قولتله: فريد الأطرش وانزل بلا يا شعبان دلوقتي، مش هاكل.

مشي يقلد فريد الأطرش وهو بيغني في الكوريدور "يابو ضحكة جناان، مليانة جناان". احتفظت بيهم تاني وأنا مش قادر افهم ولا أستوعب، ومش عاوز احطهم في المكتب، نزلت حطيتهم في شنطة العربية على مبيجي أمين المخزن الصبح وطلعت، الأوضة أصبحت عادية جدًا، لكن عقلي مبقاش مبطل تفكير في القصة العجيبة دي.

الموضوع فضل شاغلني كام يوم وفي نفس الوقت الحاجات دي فضلت في العربية، لحسن الحظ إني فضلت فيهم بايت في المشرحة ومركبتش العربية لأن أحد الشيوخ الثقات وأنا بحكيه قالي: إنه كان في منتهى الخطر إني أسوق العربية وهما فيها.

بعدها بيومين ثلاثة كلمت رئيس المباحث وهو صديق شخصي من المستوى الأول، سألته مكانش عنده أي شيء غير ملفت غير حاجة واحدة بس، إن من كام ساعة قبل المكالمة أبو نور مات نتيجة سقوط بلكونة منزل آيل للسقوط على رأسه وهو ماشي في الشارع، قفلت.

افتكرت الورقة وجملتها، الورقة دي لعنة، لازم التخلص منها، نزلت، جيت الحاجات من العربية، وقفت في شباك قاتح على المنور، حرقت الورقة، طلع منها دخان أسود كثيف رائحته مقبته، مع رعشة في جسمي قوية وأنا بردد آية الكرسي، وحرقت أجزاء من الجسم الغريب في معدة نور والباقي المعمل مقدرش يحدد إيه ده، وكنت بسأل من بعيد لبعيد، لكن اطمأنيت إن الدنيا استقرت.

السحر موجود، والأعمال موجودة، وكتب السحر منتشرة، وناس كثير عندها، وناس كثير يتحرب بداعي الفضول، وأي حد ممكن يعمل حاجة زي دي ليك ويدمرلك حياتك كلها في لحظة، أوعى تحرب أبدًا الاتجاه ده، أوعى تدخل فيه بأي شكل من الأشكال، مفيش حاجة اسمها سحر خير وسحر شر، كل الاتجاه ده كفر بين واضح، شرك بالله ونار خالدة، كمان مفيش حاجة اسمها جن طيب وجن شريف، الاستعانة بالجن كفر بين، ونار خالدة، اعرفوا معلومات عنهم آه، اعرفوا عن الدجالين والسحرة والكفرة عشان تكتشفوهم بسهولة، ولحظة ما تشكوا بس في حد ابعدوا عنه فوراً، اقطعوا أي صلة بيه أيا كانت، لكن أبدًا أوعوا تجربوا أو تدخلوا بأي شكل في الاتجاه ده، لأنه خسارة دنيا وآخره، وفي نهاية محمود ومظهره على تربيته التشرية والله كل العبرة والعظة.

بالمغاسبة، محمود ونور وأبوها اندفنوا في تربتين متلاصقتين تمامًا.

الحكاية الثامنة

مساء البنفسج على الموق في جميع أنحاء بلادي.
مساؤها تلك الجميلة متوهجة بشعرها الأصفر تهبني القبلية الأول ونسأني متى يأتي
الشقي للجنة؟
مساء القهوة المرة رفقتها، ما أحلاها.
مساء العيد كان دائما متسولا على بابها يسألها، كعكة.
مساء النحل كان في طريقها يناديها يا سكر.
ومساء البنفسج على جميع الراقيدين في سلام، تحت التراب أو داخل ثلاجات مخرجة
زينهم

الزمان: أغسطس ٢٠١١

المكان: طنطا

التوقيت: اليوم السابق لمباشرة القضية.

طلب من نيابة مركز طنطا عن ما إذا كان فيه جدوى استخراج لجشمان المتوفين لإثبات
أنهما لقيا حتفهما أثناء الثورة من عدمه، وكانت الإجابة بوجود جدوى للاستخراج
واستعدادنا لتنفيذ المهمة صباح باكر.

أيام ثورة يناير لم يكن هناك إطلاقاً أي شرطة أو قضاء بسبب الانهيار الأمني. وكثر يموت وقتلها أهله ييدفونهم على طول. بعد فترة جت حكومة الجنزوري والممر العسكري وقرروا إن فيه تعويض ومعاش دائم لأهل شهداء الثورة. فبدأوا الناس بطلب باثبات حق أبناءهم وبالتالي كان لا بد من استخراج الجثامين رغم مرور (٧ شهور) الوفاة لإثبات سبب الوفاة، خاصة إن جميع شهداء الثورة كانوا بطلقات نارية. وأنا يا إما هبحث عن المقدوف الناري نفسه، يا إما هبحث عن آثار دخوله وخروجه من الجسم زي كسور العظم مثلاً أو ما شابه.

المهم.

- الجثة الأولى: لمحمد، وده طالب في الفرقة الثانية لكلية هندسة عنده (١٩ سنة) تعرض لإصابة نارية مباشرة في يمين الصدر يوم ٢٨ يناير وتم نقله مباشرة إلى مستشفى الجامع بطنطا، تواجد في المستشفى لمدة يومين حيث تم تركيب درنقتين خارجيتين بيمين الصدر لسحب النزيف من الرئة لكنه مات بعد يومين، ولم تفلح كل محاولات إنعاشه وخرج من المستشفى جثة هامدة بعد ما أنهى أهله التوقيع على الأوراق واستلموه من قلاية المستشفى بعد (٥ ساعات) من وفاته فعلاً قضاهم في قلاية المستشفى.

- الجثة الثانية: لعادل وده راجل عنده (٤١ سنة) عنده كشك صغير وتلقى إصابة نارية مباشرة في الرأس أثناء مشاركته في إحدى المظاهرات يوم (٢٩ يناير) وتوفي في مكان الواقعة وتم نقله لمشرحة مستشفى الجامعة وأهله استلموه بعد يومين لأنهم مكانوش يعرفوا بوفاته.

ويوم الاستخراج ده بالنسبة لينا يبقى مش أحسن حاجة، بسبب الشمس والتراب والرائحة التي لا يمكن لبشر تحملها غير إنه مكلف مالياً جداً، لأنك محتاج بعده تقريباً إزاتين بريقوم (mont blanc) تاخد بيهم شاور عشان تتخلص من الرائحة اللي عالية متأخرك، رجعت الأوتيل اليوم ده. كنت مقيم في أوتيل بانوراما في طنطا، خلصت شوية حاجات ونمت على استعداد للاستخراج اليوم التالي، أثناء تومي ودي من نوادر المرات اللي خلعت فيها أساتنا شقت حلم غريب جداً بقوله: بعدين، لكني لم أعيره أي اهتمام.

في الصباح لبت وكلمت المساعد بتاعي (شبل) وده مشهور بأنه بيفضل يكلم الجثث طول فترة التشريح، فمثلاً لو هيجرك إيد الجثة بقولها: لا مؤاخذاً، أول ما يسجي يفتح

البطن والصدر مثلاً يوطي على وذن الجثة ويقولها: حنجة في وذنها، وصرة بعد صرة عرفت إنه ييسأل الجثة ويقولها: أشق ١١٩ غير كده، وأحنا في الطريق ألم مكان يستعصي باقة من أجمل أغاني الأفراح من نوعبة على العجدة، وشبكها، والقصتان اللي بيأصعد على المرتبة عروستنا حلوة مؤدبة، وأعمل حساب الشقيقة، وما بيكن رايق يخيلني أغاني العروسة لعريسها، وهلبسه الكاكي وأوريه وراكي، ويشكل على الله هما كلهم غالب يضيعوا من الشغلانة دي والله، كمان كلمت السائق وتسفت مع الشرجة والنيابة واتحركنا لمقابر طنطا.

رايحين في الطريق في عريشي بمتهى الروقان، وكاظم يشدوا من راتعة اتحديات أتحداهم جميعاً، أن يخطوا لك مكتوب هوى، كعكليب عرامي، أو يعجنوك على كترتهم، بحروفي كحروفي، وكلام ككلامي.

وإذا بشبل ممتعض فيوطي الصوت ويشدوا من راتعة "سيد يا سيد".

المقبرتين جنب بعض تقريباً يفصل بينهم حوالي (٣٥ متر) بدأت بمقبرة محمد، وقتنا على الباب أنا وعضو النيابة والتربي وشبل، في حين رئيس المباحث يعمل كردون أنسي حوالي المقبرة عشان يبعد أي حد من الأهل أو المتطفلين ومحدث يشوف عملية التشريح.

في حالة زي دي بقاليها سبع شهور الجثمان هيخرج هيكل عظمي تحيط به بعض الأرضة أما باقي الجثة هتكون اتحللت تمامًا، وقتت أراجع الأوراق الطبية الصادرة عن مستشفى الجامعة لحين استعداد شبل والتربي، عضو النيابة يياخد أقوال التربي عن معاد الدفن لو فاكرو فيه كام جثة جوه وما شابه، التربي أكد إن دي الجثة الوحيدة في القبر وأكد معاد الدفن من الدفتر بتاعه وقدم صورة من تصريح الدفن اللي يياخده أثناء الدفن، أولك، المقبرة عليها لوحة رخامية مكتوب عليها اسم المتوفي، وهي على النظام المصري، الدفن فوق سطح الأرض، وليها باب حديد مغلق بشغل معدني ومحاط أطرافه بالأسمنت، من بعيد واقف والد المتوفي في حالة شبه انهيار ومحاط بإخوته يهدوه ويبدو من طريقته معاهم وعتابه إنه كان رافض التشريح وإنهم أجبروه بشكل أو بآخر، أصريت على إبعادهم شوية كمان مراعاة لشعوره، لبست جواتتي وبدأنا.

كالعادة التربي يفتح الباب ويدخل أنا أولاً اتأكد من صحة أقواله إن عفيش غير جثمان واحد، ومدة وفاته تنطبق مع المدة المذكورة من حيث التحلل، التربي كسر الأسمنت

وفتح القفل والباب. وبمجرد فتح الباب أنا شميت رائحة كأن فيه عطور ياسمين مداورة
جوه لدرجة إن التري قال: "الله أكبر" بصوت عالي فنيهره عضو النيابة بشدة، دخلت وإن
سعيد جدًا مشغل كشاف الموبايل، {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٌ} [الواقعة: ٨٥]. رائحة
الكفن نسخة طبق الأصل من رائحة العطر المستخدم في الحرم، الكفن ليس عليه ذرة
تراب واحدة، رغم الأرض الترابية. كل ده مش مهم، الأهم إن الكفن محتفظ بوضعية
وواضح بشكل مؤكد إن الجثمان داخله مش هيكل عظمي على الإطلاق، قربت فيه
دهاء طازجة على الكفن جية الصدر، أصبح عندي يقين إن مش ده الجثمان المطلوب
وإنه مدفون من ساعات بصيت للوجه، شاب ملائكي نايم في هدوء بابتسامة خفيفة
ورضا وقناعة، أخذت صورة، قبلت جبينه كتوع من التبرك وخرجت رائحة تملؤني ما بين
المسك والعود والياسمين وقفت قلت لعضو النيابة والمباحث مش دي الجنة، ده لسه
مدفون، التري خاف وأقسم أيمان مغلظة إن هو ده وإن التربة متفتحتش من وقتها،
ودلل على كلامه بالأسمنت القديم جدًا والتراب اللي على الباب من الخارج وكلامه
منطقي جدًا، ارتيكت أنا، أخذت عضو النيابة على جنب وكان صديق شخصي، قولته:
الجنة زي ما هي متحللتش، انصعق، قالي: طيب ما تتأكد من الإصابات اللي فيه. قلت
أوك، دخلت أنا وشيل فتحت الكفن شفت الصدر اللي عليه دم لسه طازج ودافئ تمامًا،
لقيت موضع دخول المقذوف الناري ومكان الدرنقتين تمامًا في نفس الموضع اللي وصفته
الأوراق الطبية بالضبط، ضغطت على الصدر ببطء ازداد التزيف، لا إله إلا الله، بصيت
على وشه الهادئ تاني واللي حسيته ابتدا يتضايق، أغلقت الكفن كما كان، وخرجت
متأكد إن مش هو ده الجثمان، بصيت لوكيل النيابة وأنا بشاورله إن مش هو، جالي،
ويدأ يتهز، قالي: الإصابات مش موجودة؟ قولته: موجودة لكن حديثة جدًا، من كام
ساعة، وقف في حالة ذهول بعدها جاتني فكرة، ناديت للأب بعيد، جه هو وأخوه
والراجل شبه منهار تمامًا، طلبت إنه يكون لوحده، أخوه مشي في امتعاض، سألت الراجل
بهدوء معاك صورة ابنك، قال: في انهيار آه، كان حاططها خلفية موبايله، بصيتها،
اممم، هو الملاك اللي نايم جوه، حسيت إني في مشاعر مختلطة، ما بين السعادة
والارتباك والقدسية والخوف من ربنا والرجاء فيه، احساس عجيب، كان نفسي أقول:
للأب ابنك في الجنة لكن مينفعش، طلبت يرجع مكانه، ورجعت قولت: لوكيل النيابة
هو الولد، قالي: وهو ابتدا يعرق ويتهز، هنعمل إيه؟ قولته: مش عارف!! فضلت واقف
أنا وهو، الناس بدأت تستغرب، قولته: هتصرف، دخلت القبر تاني أنا وشيل، قعدت

جوه ربح ساعة وبعدين خرجت، هحفظ لنفسي بما حدث جوه، المهم إني خرجت كتبت إنه تم تشريح الجثمان بمحرفتي. قفلنا المقبرة. التري قفل بالأسمنت والقفل، قعدنا أنا وعضو النيابة في عربية وأخذنا الأب معانا يداعي إتهاء الإجراءات، قولتله: اللي حصل وإن ابنه في الجنة بإذن الله شهيد، وعضو النيابة طلب منه يقسم على مصحف إن المقبرة دي مش هتفتح ثاني أبدًا لأي سبب أيًا كان. أقسم وهو في حالة سعادة غامرة كأنه رجع عشرين سنة لورا، كأنه بيحتفل بميلاد ابنه مش بموته، وأقسم على حفظ السر، ولما سألته عن أكثر حاجة محمد ابنه كان بيعملها في حياته، رد بكلمتين من يوميا وهما محور حياتي، قالي: كانت كل نيتة لله، وكان بيتصدق حتى لو مش معاه جنيته. ونزلنا نشوف البجثة الثانية، مكوئتش أعرف إن حاجات زي دي ممكن تتجمع في يوم واحد وعلى مسافة كام متر من بعض.

اتحركنا مع التري لمقبرة عادل وواضح إن التري بعد الصدمة الأولى مكانش قادر يتحرك أساسًا، كان واضح تمامًا إنه مشاقش حاجة شبيهة قبل كده، فكان شارد الذهن تمامًا. وصلنا لمقبرة عادل، اللي اسمه مكتوب عليها بدهان أبيض، واضح إن التري منهار، عرفت منه إنه برضه مفيش غير جثمان واحد جوه، وبعدها استبعدته لانهياره، واتعمل الكردون الأمني، خلّيت شبل اللي مفيش على ملامحه أدنى اندهاش يكسر الأسمنت اللي باين تمامًا إنه قديم وذايب. فتحنا الباب وفاجئتنا رائحة لا يمكن لبشر تحملها خارجة من جوه كأنها إعصار. أنا اللي متعود على أسوأ روائح التعفن دون كمامة حتى كنت متضايق جدًا جدًا، وشبل ولا أي اندهاش، الناس والنيابة والمباحث بدأت تبعد لدرجة إن أقرب واحد ليا كان تقريبًا على بعد (٥٠٠) متر وحاطط عشر مناديل كلينيكس على مناخيره، وميصحش كطبيب شرعي تلبس كمامة، وإلا تبقى فرفور وميشو.

كملت فتح الباب وبصيت جوه ضلمة كحل، نورت كشاف الموبايل، وشفّت ما لا يمكن لبشر تحمله، تعبّان رمادي غامق طوله حوالي مترين واقف بعد الباب مباشرة ليه فحيح وحركة مقرزة، وتعبّان أسود غريب طوله مترين تقريبًا موجود حوالين الكفن وعليه بشكل مقرز، فتران ميتة ومتعفنة، حشرات كثيرة جدًا أشبه بالخنافس لكن أكبر قليلًا تتحرك في كل مكان، وقطة سوداء هي أقبح ما شاهدت في حياتي على الإطلاق. ميتة ومنفخة وعنيها مبرقة جدًا، أشبه بجابر كده والعياذ بالله، منظر لا يمكن لمخلوق تحمله، مستحيل، رائحة مستحيلة، الغريب تأكدت بنور الكشاف من منافذ القبر،

خليت التري جه من بعيد جاب أسمنت وحطه وكان كل شوية يتقيأ، أنا وشبل منطفناش ولا كلمة بعدها، كتبت في ورقة ثم تشريح الجثمان بمعرفتي وحطيت توقيعى، اديتها للتري يديها لعضو النيابة، مكوئتش طايق أتكلم مع حد، خليت شبل جمع أدواته ورمى أي أداة استخدمناها في الحالة دي، اتحركنا، ركبتا عربيتا ومشينا.

صمت مطبق مني أنا وشبل، كانت أول مرة أخاف، مش أخاف من اللي شوفته، أخاف من ربنا، وأحس إن نهايتي هتبقى يا إما محمد يا إما عادل، والفرق صعب، صعب بجد، السواق بيحاول يفتح أي كلام، لا أنا ولا شبل بنرد عليه.

افتكرت الحلم اللي حلمته، وكان فيه قطرة سوداء مقرزة تحت شجرة بتصرخ صراخ القطط في رعب وكأنها ذئب يعوي، وعلى الشجرة طائر أبيض سيحان الخلاق البديع كأجمل ما يكون هو والشجرة، كان حلم غريب مفهمتهوش وقتها رغم إنى بطييعتي عدد أحلامي في حياقي لا يتجاوز أصابع اليدين.

عملت كام اتصال، بكلمات مقتضية، عرفت إن عادل كان عامل بمسجد ومفصول من عمله بسبب سجنه خمس ستين في قضية هتك عرض طفلين، داخل حمامات المسجد، استمرينا في الصمت المطبق، لحد ما ارتفع صوت شبل المبهج قائلا: أول ما دخل، دخل على الأوضة، لبسها الموضة، واتكل على الله

ثاني ما دخل، دخل على السرير، لبسها الحرير، فأرد أنا والسواق في خشوع، واتكل على الله، اختاروا بين محمد وبين عادل، قراركم لسه بين إيديكم، بعدين مش هيبقى ليكم قرار.

وبيوتكم اللي بتبنوها في حياتكم مش هي البيوت اللي عايشين فيها، بيوتكم الحقيقية هي قبوركم، فابنوها كما تريدون أن تكون.

الحكاية التاسعة

أنا كل هذا يا أنت، نعم، يلزمك عمرا فوق عمرك لتدركين الفارق الشاسع بين أشخاص تصنع الحياة بكل طقوسها، ألوانها، أفراحها، وأتراحها شخصياتهم، ورجل يصنع الموت منفردا شخصيته، الموت فنان مبتكر أسطوري، للموت خلطة ينثرها في النفس لن يُعرف يوما سر طبختها. طبق شهني من البوح، من الحزن، الغموض، الإرباك، الثقة، الوسامة، الكبرياء، والرقى. طبق لا يخلو من بعض توابل التواضع الحلو، والغرور المر، وأوجاع استثنائية رسمت عينان طاعنتان في الإغراء لرجل عشقته النساء لفرط ازدرائه للحياة.
حياة!

كيف أسميناها حياة؟! تلك التي في كل قبر لها جريمة وفي كل فرح فيها فجيعة؟ حياة؟! أي حياة تلك التي كنا نحلم أن نموت من أجلها، وإذا بنا نموت على يديها، أحياء هي؟ تلك التي كلما أقبلنا عليها وانحنينا لنبوس ترابها، باغتنا بسكين وذبحتنا كالزجاج تحت أقدامها؟

وها نحن جثة بعد أخرى نفرش أرضها بسجاد من أغبياء، كانت لهم قامة أحلامنا. وعنفوان غرورنا.

ربما من أجل هذا أنا هنا، ومن أجل هذا أحبكم.

اعدكم سأذكر الجميع عند موتي، فتحن عند الموت لا نتذكر إلا الوجوه السمحة التي منحنا لنا القلب والجسد والروح بسخاء وغطت الطرف عن الحماقات الصغيرة التي لا تغير كثيرا في نظام الأشياء، فالجمال عليكم، وروعة العشق، وحكاياته.

أراضي دي وأجيب آخري الثانية تعمل فضيحة فأقول: للأولى إني رايح أستحم وأروح أراضي الثانية وأنا يموت الأولى تعرف تيجي على الباب تعملي فضيحة. فلأزم أروح أراضيها الثانية تيجي وهكذا لحد ما بقيت بيات هنا في المشرحة. وآخر ما زحشت قولتلهم: أنا كشفت وجلي عجز جنسي يا ولاد ميتن الكلب. ومن يوميا بقوا حباب ومعادوش بيتخانقوا أبدًا ويقوا صمنة على عمل. ومن يوميا وهما بيكلموني في البيت كاني اختهم، لما أرجع مثلا البيت يقولولي: انتي جيتي يا بيضة، طب تصدق بالله، أول امبارح معدتي وجععتني وترجيع كده لحد ما دخت كنت خايف أطلع حامل فالجنة دي تعتبرني اختها.

- ربنا يتعك بالسلامة، بس بعد اللي إنت قلتة ده كله اللي جاي راجل مش ست.

- راجل!!!! أmaal مبيظهرش على رجالة ليه بروح أمه، سوسو ولا إيه؟

- ده دجال بس على طول لابس نقاب ميقطعهوش ومحدث يعرف وشه شكله إيه خالص.

- قالي: عارفه ابن الكلب، سمعت عنه، مش ده اللي من ***.

- أه، داننا عارفه بقا وشكلك مضايق منه، إنت متأكد إن اللي إنت قلت لمراتك كان مجرد كلام مش حقيقة.

- لا والله ده كلام بس.

- نفوق بس ونبقى نكشف ونشوف، عموما اجهز يلا عشان جاية دلوقت وهنشتغلها على طول، إنت عارف ضيف زي ده لازم نكرمه، خده من الباب للترابيزة على طول

- أوامر يا معالي الرئيس.

بعدين مشي في الكوريدور وسامعه بيكلم نفسه ويقول: قال حقيقي قال، وجه معلي صوته على الآخر عشان يسمعني وهو يقول: أوديكي فين يا صحة.

يا دوب الماكينة عملت القهوة لقيته جاي يقول: الأخ المنقب جه وع الترابيزة، لبست ونزلت.

بدأنا كالي، حسيت شكل الإيد اليمين مش مريحني، بصيت عليها كالي لقيتها مكسورة،
 إزاي وأنا لسه شابةها حالا مش مكسورة ومسجل 1155 الإيد الشمال كمان مكسورة،
 الرجلين مكسورين من عند الساق، ضلعين مكسورين، ألتاء التشريح جميع الكسور غير
 حيوية، يعني حصلت كلها بعد الوفاة، يعني حصلت من دقائق، إزاي ده حصل وإيه
 أصلاً اللي حصل معرفش، القلب الطبيعي والمخ الطبيعي بيكون لوله وردي قالب على
 أحمر، فعلاً أنا ما شفت في حياتي قلب بشري ومخ بشري بهذا اللون الأسود، وإيههم صورة
 بالمناسبة، الشيخ سعيد اللي ميعرفش أي حاجة بيقسم إن الأخ اخد مية في الغسل أد
 عشر جثث ولا زالت المية بتنزل من جسمه متسخة رغم تغسيله بالصابون أكثر من (٣)
 مرات) ولا زالت المية متسخة رغم إن جسمه نظيف فاضطر يكفنه ويسلمه لابن عمه
 وهو الوحيد اللي جه يستلمه، سواق عربية نقل الموتى جاي يرجع من الرالعة رغم
 كولوليا خمس خمسات بتاعة الشيخ سعيد، والجثة بتبقى مثبتة دائماً على ترابيزة جواه
 العربية بأربطة، جم يطلعوا الجثة لقيوا الرباط اتقطع والجثة اتقلبت على وشها في
 أرض العربية طول الطريق.

الحكاية العاشرة

الزمان: أغسطس ٢٠١٥.

المكان: مشرحة زينهم.

التوقيت: الحادية عشرة ليلاً.

إشارة بوصول جثة رجل في الخامسة والأربعون من العمر مات خنقاً باستخدام سلك تليفون. وقالت التحريات: إن المتوفي كان يعاني من حالة نفسية ويدعي وجود ملك جن يعيش داخله ويحدثه ويوجه له الأوامر ويعاقبه إذا لم ينفذها. وفي آخر يوم قال لأحد أفراد أسرته: إن الملك أمره بالانتحار وأنه سينفذ الأمر ثم وجدوه ليلاً في غرفة من غرف المنزل خنق نفسه بسلك تليفون، عن طريق لفة حول رقبته وربطه ثم قام بوضع عصا خشبية بين السلك والجلد ونفها حتى اختنق، وهي طريقة شائعة في الانتحار بدول الغرب الإفريقي.

- يا مجنووون.

- (جاي وهو يياكل) اؤمرني يا معالي الرئيس.

- بتاكل إيه يا شعبولا.

- بطيخ يا معالي الرئيس، والله لازم أجيبلك.

- ماشي لما أنزل.

- متعجبك والله يا ريس، مش الشيخ سعيد عزمنا على (شويس رمان).

- وأنا بقلب في ورق، معقول! ده اشمعنى كده!

- أصله غسل النهارده يبجي خمسين جثة وتقريبًا حطلمهم مسك الرسول فعمل
كثير، وحلف إنه هيعزمني أنا وهشام وأحمد على العشا، ورايح جاييلنا اتخ لي
وشويس رمان، وبيقول: أصل أنا نباقي.

- وإنت عديتها عادي كده؟

- لا طبعًا، قلت لمراته: إنه متجوز عليها واديتها رقم مراته الثانية، ووصفتها لـ
وزماتها عندهم دلوقت، أصله نباقي، عشان كده اديت لها وهيا رابعة من القصر
جايينه اتخن عود، عشان تعالجه بالأعشاب.

- الله يخرب بيتك، هتموته، مين هيغل الجثث دلوقت.

- أنا يا ريس متقلقش، وهجيبلمهم مسك النبي وكفن الصحابة كمان.

- طب يلا، جهز المنتحر ده خليتا نعليه.

- على فكرة يا ريس، جثة الواد ده شمال مش مظلومة، من ساعة ما جه وهو مش
بعظه، وكل شوية أبرقله مفيش فايدة.

- طيب يلا جهزه أما نشوف.

لزلت، (ريكوردينج)

والجثة لرجل في الخامسة والأربعين من العمر، متوسط القامة والنية، يرتدي بنطال
رصاصي اللون، وتيشيرت رصاصي اللون بنقوش سوداء، وملابس داخلية زرقاء اللون
والملابس جميعها خالية عن القطوع والتمزقات والتلوثات المشتبهة، له لحية صفراء
قصيرة بمنطقة الذقن فقط، كما تبيّن حزامًا بالعنق يعرض نصف ستيمو، وطول كي
حوالي (٤٢ سم) بوضعية مائلة محيط بالعنق بشكل كامل عدا جزء بأقصى اليسار.

الفتح الهدوم دي يا شعبولا يلا.

في دخلة الشيخ سعيد بشفطة هدومه

- شعبان بفرح: إيه يا شيخ سعيد إنت اتطلقت ولا إيه؟

- الشيخ سعيد: مين اللي قال ثلثي إني اتجوزت يا شعبان؟

- شعبان بذهول: اتجاوزت!! هو إنت اتجاوزت؟ تصدق إنك راجل مش كويس، ده مراتك دي تتخط على الجرح يطيب، اخلص عليك يا شيخ سعيد، اخلص.

- الشيخ سعيد مائي وهو يعرج: مائي يا شعبان، بس لو عرفت إن إنت اللي قولتليه والله ما معديبالك.

- شعبان: تصدق بقا إنك زعلتني بالكلمة دي فعلاً زعلتني، شكراً يا شيخ سعيد، شكراً

- أنا برعيق: خلاص خلصنا في قصة محكمة الأميرة دي روح أوجتلك يا شيخ سعيد خلتنا نخلص.

الشيخ سعيد مائي وشعبان يقول: بصوت واطي بيكلم نفسه اعرج يا نياقي يا *** اعرج، دنا هـ ***.

وكيلو الموز ده هحطهولك في في بؤك

اخلص يا شعبان بلا، وأنا مش قادر أعسك نفسي من الضحك.

شعبان قطع الرجل اليندوم كليا، ولسه المشرط بيخلص رقبته وثقينا عضلاته كيا تشنجت، لدرجة إني فكرته عايش، شفت التبيض لقيته متبي، والعضلات تشنجت كيا وبمجرد ما المشرط بدأ يتحرك جت عينه مفتحة، شعبان قال: مش قوتشك: شمال وعش مطبوط، ضحكك، وشعبان يقول: اهدي يا سعاد، سبي نفسك يا سعاد الفتح يبدأ من أسفل الذقن كده لحد آخر الحوض، وبمجرد ما وصلت عند نص البطن شفت موقف ما هناء في حياتي، أنا شفت مثال ليه أثناء استخراج جن من واحد عايش وكان من صباعه لكن المرة دي مشوقتش قبلها، أول ما وصلت عند البطن بدأت عضلات البطن تشنج بشده وتقبض وتبسط بشكل غريب، وشعبان واقف يضحك ويقول: بيعملك الكس ياكس يا ريس، وفجأة لقيت بين البطن وبينش كأن فيه قلب نحته ويعلى كده كأنه بالونة، وجهه منفجرا الجلد الفتح حوالي سم وطرطش الدم وجاب شعبان وهو يضحك من فوق لتحت، شعبان فضل حاطط إيداه على خده ويبص عليه ومينتكلمش بوشه وهلدومه كليا دم وأنا مش قادر أقف من الضحك، وقال: الشيخ سعيد دخل قرأ عليا جديّة ياسين.

كملت تشرح، سبب الوفاة هو الخنق وانسداد المجاري التنفسية العلوية، مشرق
المهم، المهم إلي لقيت في المعدة كتلة من نسيج متعفن أسود اللون قذر الرائحة
واضح المعالم وجواه خيوط رقيقة جدًا زي خيط الفتلة لونها اسود وكانت متفتنة
بجدار المعدة والفحص الباثولوجي مقدرش يحدد إيه دي، لكن أنا كنت عارف من غير
حتى مفحصها باثولوجي، ده سحر مأكول. بالمناسبة، ما أكلتش بطيخ عشان اكتشف
إن شعبان حاطط نص البطيخة في درج جثث جنب جثة عشان تسقع.

الحكاية الحادية عشرة

الزمان: فبراير ٢٠١٦.

المكان: مشرحة زينهم.

التوقيت: الواحدة ليلاً.

إشارة بوقاة رجل عاطل عُثر عليه ميتاً في شقته بعد بلاغ من مجهول. بإجراء التحريات تبين أن المذكور توفي من يومين حيث كان يتعاطي الهيروين رفقة أصدقائه في وجود بنات ليل، وعندما انفرد بإحداهن داخل غرفة النوم قاجاته أعراض الأوفر دوز وبدأ في التعرق والهذيان ثم تقول البنت إنه أصابه شلل أدى إلى اعوجاج قمه، ثم بدأ يهذي بكلام غير مفهوم إلى أن سقط ميتاً عارٍ الملابس من أسفل مرتدياً جاكيت تريننج أحمر فقط من أعلى، فتركه أصحابه وغادروا المنزل. باستكمال التحريات واعترافات أصدقائه تبين أن أحدهم والمذكور حصلوا على الأموال التي أقاما بها السهرة من بيع توكتوك لأحد التجار، وقد تبين أنهما سرقا التوكتوك من طفل في الرابعة عشرة من العمر بعد أن غافله المتوفي بمطواة في عنقه من الخلف أدت إلى وفاته ثم قام بإلقائه في إحدى الترع وقد عُثر على الطفل بعد يومين أيضاً.

يلا يا هشام جهز الحالة دي عشان نشتغلها عشان أمشي، حاضر يا ريس بس يا ريس الحالة دي فيها حاجة غريبة جداً هما قايلين في الورق إنه بقاله يومين، لكن الجثة كأن بقالها شهر وإحنا الجو مش حر يعني يمكن قصدهم عشرين يوم، اتصلت برئيس المباحث، ألوووو، أحمد بيه، واحشني والله.

- إزيك يا دكتور، كنت لسه هكلمك والله.

- أكيد على نفس الجثة، هي بقالها كام يوم؟

- دنا اللي هسالك، دلوقتي الكاميرات بتاعة الشارع جايبة الواد وهو داخل هو وأصله والبنات البيت من يومين. وآخر ناس شافته من يومين وآخر مكالمه من تليفونه من يومين. وكمان واحد منهم مصوره وهو بيرقص مع بت قبل ما يموت بساعة وأنا كدنا من تاريخ الفيديو من يومين ومصطفى بيه شاف الجثة ويقول دي بقالها يبجي شهر، أنا قلت إنت اللي هتنورني.

- طيب أنا له مشوفتهاش والله. بس سمعت نفس الكلام، فهنزل أشوف أهه بعين نتكلم، حبيبي، مع السلامة.

- في حفظ الله.

تزلت.

(ريكوردينج)

«الجثة لذكر في العقد الثالث من العمر، متوسط القامة والبنية بلامح وجه متغيرة وفم معوج، وتظهر عليه علامات تعفن رمي متقدمة تقارب العشرون يوماً، عارٍ الملابس من أسفل وجاكت أحمر من أعلى، وتعذر أخذ عينة دماء أو بول لإجراء الأبحاث بسبب التعفن المتقدم، لكن بعصر القلب تمكنا من استخراج بعض نقاط الدم المتجلط ثبت احتواءها على الهيروين والحشيش بجرعات كبيرة».

إيه المنظر القبيح ده، ويعدين يومين إيه. العيال دول بيشتغلوههم، لكن أسوأ ما في المنظر هو العضو الذكري الذي رغم كل هذا التعفن لا زال منتصبًا ومنتفخ بشكل كبير، وقد شمل التعفن جميع الجلد المحيط به، تم أخذ عينة (DNA) ثبت أنه نفس الشخص، مفيش أي شيء آخر يتعمل، وشيل يا هشام الأرف ده وأنا هطلع ألبس عشان ماثي، هشام خييط وقفل وحط الجثة في درج، طلعت ليست ونازل عشان بخرج من الباب المصفح لأن عربيتي بتكون قدامه مباشرة، لقيت هشام وأحمد واقفين في نص المشرحة وبيضحكوا، فيه إيه يا أهبل أنت وهو؟ قالولي: تعالي يا ريس اسمع، رحت عند الدرج اللي فيه الجثة، صوت فحيح أقاعي مقزز، نفتح باب الدرج يقف، نقفل الباب صوت الفحيح يشتغل، نقفل يقف، أكثر من (٢٠ مرة) لدرجة إني وقفت نص ساعة اسمع.

الصباح ولأن القسم اللي حصلت فيه الواقعة قريب مننا جدًا، قابلت ظابط مباحث ورحمت، كنت جابب أبص على البيت، فوجئت إن الجنة كانت على الأرض على البلاط جنب السرير في أوضة مفيش فيها غير السرير أصلا. الشباك بتاع أوضة النوم متوارب وفي آخر دور وهو أعلى مبنى في الجوار. الأوضة بتدخلها الشمس من ساعة ما تطلع لحد العصر تقريبا. الحيطه عليها مرآة زينة محدبة شديدة التحديق، بتعكس الشمس بقوة رهيبه وكأنها عدسة مجمعة وبتعكس ضوءها على الأرض في نفس المكان اللي كانت فيه الجنة بالظبط، المرآة دي وأنا صغير كان عندي منها واحدة على هيئة عدسة، لو كنت حطيتها في الشمس وتحتها ورقة الورقة دي كانت بتحترق من تجميع أشعة الشمس، وتجميع الأشعة وتساقطها عليه بالشكل ده هو اللي عفن الجنة بالسرعة الرهيبه دي وشبه تفحمت، حتى البلاط مكان تجمع الأشعة أسود جدًا لأنه بيتعرض لتجمع الضوء ده من فترة، كده نهينا قصة التعفن، الظابط فضل يشكر كثير، باقي قصة الفحيح، رحت المشرحة وهشام واقف يسمع اللي طالع واللي نازل، الجنة فضلت عندنا عشر أيام تقريبا الفحيح لم يتوقف، محدش من الأهل جه استلم، تقرر الدفن في مقابر الصدقة، الشيخ سعيد يقسم إنه لما حط الجنة ولسه بيطلع نسي حاجة بيحبها لقي تعبان أسود جنب الجنة ويعمل نفس الصوت بالظبط اللي كان في درج الجنة.

• خلاص والله يا معالي الرئيس آخر مرة.

ماشي ومتخلنيش أقلب عليك يا شعبان، جهز الجثة اللي تحت يلا بسرعة وأنا نال
مشي وأنا سامع الشيخ سعيد بيتنادي عليه، وهو بيرد بصوت عالي عشان يسمعني
جاءني عشان الرئيس ميزعلش.

نزلت عملت نفسي مسمعت هوش، بدأنا التشريح شفت منظر مشوفته هوش في حياتي، أول مرة في حياتي أشوف جثة متوفية من كام ساعة فيها تعفن في أماكن أه وأماكن لأ، ومش تعفن عادي، لا تعفن تعفن بحق الله، الوجه والصدر والعضو الذكري حصل تعفن كأنه مات من (٨ أيام) وباقي الجسم في الحالة العادية تمامًا لشخص مات من ساعات، تتخيلوا ده؟ مفيش كتاب أو مرجع طب شرعي في التاريخ ذكرها، كمان بعد الوفاة الدم بيتعثر بتأثير الجاذبية الأرضية نحو أقرب الأماكن للأرض، وبيعمل حاجة اسمها الرسوب الدموي ودي من أهم الأشياء بالنسبة للطبيب الشرعي في شغله، لأنه بيساعده في تحديد وضعيا الوفاة، لو الميت مثلاً مشنوق بيتجمع الدم في الرجلين لو مات نايم على ظهره بتلاقيه في الظهر، ولو على بطنه بتلاقيه في البطن، على الجانب اليمين بتلاقيه وهكذا، وده بيبدأ يحصل بعد ساعتين من الوفاة ويستمر في الزيادة بالتدريج حتى (٦ ساعات)، طيب لو لقيته في البطن والظهر، يبقى الجثة دي في حد غير وضعيتها بعد ساعتين من الوفاة، كمان لون الرسوب الدموي بيشير لسبب الوفاة، اللون الطبيعي يتاعه بنفسجي فاتح، لكن مثلاً لو أحمر غامق يبقى دي حالة أسفكسيا، أحمر قاني أحمر يعني بيشير لتسمم بأول أكسيد الكربون، بنفسجي غامق جدًا بيشير لسموم، رسوب دموي باهت جدًا بيشير لتزيف أو المتوفي كان عنده أنيميا، ده باختصار، إذا في الحالة دي المتوقع إني أشوف الرسوب الدموي في الرجلين ولونه أحمر قاتم، لكن إني ألاقيه في الرأس والوجه ولونه أسود دي حاجة مشوفتهاش في حياتي كلها، لأبس لبس السجن، بدأت أشوف الحز بتاع الشنق على الرقبة عميق واضح إنه اتعلق لفترة، بدأت أتابعه لحد ما سمعت صوت غريب جدًا جدًا صادر من الرأس، وبدون أدنى مبالغة، سمعت صوت ألمية وهي بتغلي، نفس الصوت كأن فيه حاجة بتغلي جوه راسه والوجه عليه مظاهر ألم رهيب، أحاول أبعد وأرجع نفس الصوت، جيت المجنون، قولتله: اسمع كده، سمع الصوت، وقال: بلا مبالاة معتادة، طب حد يطفي عليه ليتحرق، وبعدين سألني هو مات ازاي؟ فحكيتله،

قال: دنا هلفش ميتين جمعته دلوقت. وبدون أدل مبالغة بحرك إيدي حسيت
بسغونة طالعة من وده، قلعت الجوانتي عشان أحسها. شفت لو حطيت إيديك فوق
شعلة بوتوجاز بخمسة سنتيمتر كده بدون مبالغة. شفت الصهد والحرارة اللي طالعة
منها؟ نسخة طبق الأصل، والله طالعة من وده الاثنين. بدأنا التشریح وكل ده مستني
فتح الجمجمة، اللي شعبان فشخها فعليا. توقف الصوت بمجرد فتحها، وألفي درجة
حرارة الدم جوه الرأس (٧٠ درجة مئوية) ودي حاجة مستحيلة وبياقي الدم بالبطن
والأطراف درجة حرارته ٢١ وده الطبيعي بعد ٦ ساعات وفاة لأنها بتنزل درجة كل
ساعة، كان شيء غريب جدًا، الشيخ سعيد غسله عادي، أهله استلموه من فتحة الباب
وحطوه في النعش ويحاولوا يطلعوا من النعش من البوابة النعش رافض تماما. قبل كده
شفت نعش بيتحرك بسرعة جدًا، لكن نعش مبيتحركش من مكانه مشوقتهاش قبل
كده، أخذوا خطوتين وبعدها النعش وقف تماما، يحاولو يحركوا فيه مفيش، الشيخ
سعيد نده عليا أنا وشعبان نتفرج، الشيخ سعيد قاعد يقرأ قرآن، وشعبان قاعد يقوله
شيبيني، حاااااا، لحد ما جه واحد منهم حط إيده على النعش وفضل يقول لا إله إلا
الله، ويقرأ الفاتحة لحد ما اتحرك أخيرا، حطوه في عريية. مشيت، وعرفت بعدها إنها
عملت حادثة، واضطروا يحطوه على عريية ربيع نقل لحد المقابر.

الحكاية الثالثة عشر

المكان: مشرفة زينهم.

الزمان: فبراير ٢٠١٧.

التوقيت: الواحدة والنصف ليلًا.

إشارة بوفاة رجلٍ في الخامسة والخمسين من العمر يعمل مؤذن وعامل في أحد المساجد بإحدى القرى التابعة للجيزة، بعد صلاة العشاء استمر في المسجد ساعة يقرأ القرآن ثم غادر المسجد وقام بإغلاق أبوابه ثم اتجه إلى منزله، وفي الطريق قام بعض الشباب بمحاولة سرقة سرقته بالإكراه؛ لكنه رفض ونهرهم ووعظهم فقام أحدهم بضربه بقطعة حديدية على رأسه ففقد الوعي، وقاموا بسرقة. وجده أحد المارة ملقى على الأرض فقام بنقله لأقرب مستشفى حيث تمت إسعافات أولية؛ لكنه لقي ربه بعد دقائق.

- شعبولا، جهاز الحالة يلا اللي لسه حياة حالا.

- أوامر یا ریس. ده بسم الله ما شاء الله یا ریس، وشه طالع منه نور والله مع إنه شه
الشیخ سعید پس علی مؤمن کده.

- يعني الشيخ سعيد كافر؟ ماشي، عقبالك يا شعبان، يلا جهزه بسرعة جدًا عشان
مستعمل

نزلت، الراجل فعلا نسخة طبق الأصل من الشيخ سعيد لدرجة إن الشيخ سعيد لما شافه
بكي، وشعبان قاعد يقوله: يا ريتك كنت أنت يا أخي.

الراجل ما شاء الله لا قوة إلا بالله. يدر التمام، نائم في هدوء، يرتدي جلباباً أزرق، على رأسه ضمادة طبية ووجهه يشع نور ما شاء الله.

التشريح مر بشكل عادي جدًا سبب الوفاة شرح بعظام الجمجمة وتزييف في المخرج
تعمدت مبدل يوش أوي وخيَّطت بنفسه، خياطة تجميل. بعد ما خلصنا تشريح الجنة
انحطت في درج تلاجة لحين إنتهاء إجراءات الدفن. الشيخ سعيد اللي حطها ولقبته جاي
ينادي عليه، ويقول: عاوزك في موضوع، وأخذني للتلاجة والذي نفسي بيده آذان الحرم
المكي من داخلها، الصوت واطي لكن واضح جدًا، آذان الحرم المكي كأن فيه كاسيت
جوه شغال عليه، أفتح الباب الصوت يقف ومجرد غلق الباب يشتغل، حاجة مذهلة
والله عليه رحمة الله، غسلته بنفسه، وصليت عليه قبل ما أهله يستلموه لعطني أنال
بعضا من كراماته، منظر الرجل يجير أي أحد في الدنيا إنه يعمل كده، إحساسك إنك
واقف وتغسل وتتؤدي خدمة وتكرّم واحد هو دلوقتي في جنات النعيم إحساس رائع
ومريح، إحساس إنه هيسبك دلوقتي ويمشي رايح جنة مخلد فيها إحساس رائع،
(سَيَمَاهُمْ فِي وَجْوهِهِمْ)، (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وَجُوهٌ)، (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ
فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وَجُوهُهُمْ
قُتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ). إيه اللي كان بينه وبين ربنا عشان يوصل لكده؟ دورت كالعادة وراه كثير،
عرفت إن الرجل ده مقتدر ماديا جدًا، وبالرغم من كده كان بيعمل في المسجد تطوعا
بكل أعمال النظافة والأذان ولا يتقاضى أي مرتب، كمان بيعمل مسابقات رمضانية
للأطفال في حفظ القرآن توزع جوائزها ليلة القدر كل عام على نفقته الشخصية، لكن
ده مش كفاية، مش هيوصله لكده، اللي يوصله لكده قلب نقي سليم نيته كلها في عمله
لله لا نفاق ولا رياء، ده كان يعمل في مسجد والكلب اللي قبله كان بيعمل في مسجد،
ده كان متطوع، والكلب اللي قبله كان بيتقاضى راتب، ده مجرد بياذن وينصف، والكلب
اللي قبله كان بيحفظ الأطفال قرآن، شوفو ده مكانه في دلوقتي! وده مكانه في الدنيا
بتمر بسرعة أوي، اعملوا لأخركم والله، الموت بييجي في لحظة، أسهل طريق للجنة
إنك تحط ربنا في قلبك، حتى اللي ميعرفش أي معلومات دينية، والله في أي حاجة اسأل
قلبك هيجابك حلال ولا حرام بمنتهى السرعة، مش محتاج تسأل حد، ربنا خلق القلب
على الفطرة، قلبك أعلم من أي شيخ أو قسيس أو رجل دين، اسأل قلبك هيجابك
أسأله في كل حاجة، الحاجة اللي تعملها وأنت مرتاح ومش مكسوف من حد ولا من
نفسك وأنت بتعملها تبقي حلال، والحاجة اللي تعملها وأنت متوتر وحذر وقلقان حد
يشوفك أو مكسوف من الناس أو من نفسك تبقي حرام، هيا دي فطرة ربنا، فاسألوا
قلوبكم في كل شيء، حتى في دينكم.

الحكاية الرابعة عشر

حسنته أنا طبيب شرعي ميداني. أنا لست فاسدا ولا مرتشيا ولا عميلا لأحد.

إن أشخاصا تعلموا الحق من مهنتهم الموت واستبدلوا الباطل الأبيض الناصع ببذلات رسمية أنيقة ارتدوا أسفلها أكفانهم البيضاء ليحارسوا حياتهم عابري موتي، مدركين أنهم حتما سيلقون حتفهم بين جثتين لن يخافوا أبدا سوى الله، وضمائرهم.

إن أشخاصا يعبثون في مقبرة لإجراء صفة تشريحية لجثة همدت منذ أيام عشر مبعدين بمشارطهم ديدان الأرض أثناء التشريح وهم يسمعون أزيزها ولا يعباون برائحة لا يقوى بشر على تحملها مدركين تماما أنهم يوما ما حتما سيكونون هناك لا بد أن يترفعوا عن ولائم الديدان البشرية المحيطة بهم، تاركين لهم نهم الدنيا وشغفها، وأكلهم حقوق الآخرين مشفقين عليهم من يوم ستلتهمهم ديدان الأرض لحما ودما. أشخاص حتما لن يخيفهم سوى الله وضمائرهم.

إن أشخاصا شاهدوا كرامات لجثث بيضاء كما القمر، وعذابات لجثث خضراء كما العفن، واستخرجوا جثثا لا زالت تنزف جروحها بعد دفنها بشهور واستخرجوا جثثا تعفنت بعد دفنها بساعات، أشخاص يستحيل أن لا يخافوا إلا الله وضمائرهم.

إن أشخاصا يحددون وقت الموت من طول الديدان بالجثة، ويعيثون بين الديدان والجثث في أقبح منظر قد يشاهده بشري على وجه الأرض، وفي لحظات تراهم استعادوا بذلاتهم الأنيقة ورائحة "جيفينجي" تغرقهم، لم تعد تعني لهم الحياة شيئا سوى رب، ودين، وعدل، وضمير، وما تبقى من وطن.

- راجل كبير وطفل: الكبير هو الرجل الذي فقد عقله، والطفل هو الطفل الذي سبق عصره. لازم تيجي تشوف والله يا ريس، لالا لازم.

- طيب جهزهم يلا بسرعة عشان الرئيس (رئيس المصلحة) جاي دلوقت هيات هنا، وأنا هطلع معاه فوق مش هنزل ثاني وأي حاجة تانية تستنى للدكتور اللي جاي الصبح.

- (بدأ يهبله المعتاد يغنى..). أحيه أحيه، ييات هنا ليه.

- شعبنا الآن، يلا..

شريت قهوة وقرأت الإشارة ثاني. مش فاهم أنا. وأنا بحب أفهم قبل ما أشتغل، طلعت رقم رئيس مباحث المنطقة دي واتصلت بيه، ودار الحوار التالي:

- أحمد به، مساء الفل.

- مساء الفل يا دكتور، إزيك عامل إيه؟

- تمام الحمد لله، بقولك يا ريس جثة الراجل الي معاه جنين دي ايه ظروفها؟

- والله يا ريس ما فاهمين حاجة لسه، ولكن لحد دلوقت عندنا التالي: الست دي متجوزة من عشرين سنة مبتخلفش، ناس قالوا لجوزها دي معمولها سحر، راح جوزها جاب واحد من بلد جنيهم اسمه (الشيخ حسني) عشان يعالجها، وده راجل دجال معروف واتقبض عليه كذا مرة قبل كده، الست بتقول: إن من أول مرة الراجل ده سيطر على جوزها بطريقة عجيبة، وبقي يخليه ينام ويأخدها هي أوضة النوم ويعاشرها جنسيا، قبلا ودبرا لحد ما حملت منه، والعلاقة دي من فترة تقارب سنة. الدجال بقا أقتع جوزها إنه فك السحر، وإنها دلوقت حامل من جوزها، وجوزها كان في قمة السعادة، بعدها الدجال ده قعد على قهوة واتكلم وقال: لناس إنها حامل منه هو، وإنه مقرطس جوزها الكلام وصل لجوزها. التهارده جوزها جابهم قصاد بعض وجاب سكيانة وحاول يقتلهم، الست بقا بتقولك إيه؟ بتقول: أول ما جوزها مسك السكيانة الدجال سيطر عليه وخلاه يتام مكانه، بتقول: كان نايم على ظهره، والدجال قُرب منه، حط إيدته على راسه ومسك راسه وضغط عليها جامد. القليل فضل يتالم وبعدين نام على جنبه وحط إيدته على وشه يحمي وشه بيها، وخربش إيد الدجال بإيديه، الدجال ضربه بإيدته على كتفه الشمال قطعوه، ومسك راسه تاني، وبعدين بتقول: إن الدجال خلع

الجزء العلوي من جمجمة الرجل ومخه بإيديه وفضل يتشنج وأخذهم ومشى. المن جالها انهيار عصبي، فضلت تصرخ وحصل ليها إجهاض، الجيران اتلموا بلغوا الشرطة ونقلوها المستشفى وقفوا النزيف، ولسه الست في المستشفى وكانت حامل في الشهر الثامن، هو ده ينفع يا دكتور؟

- والنبي يا أخويا مانا عارف، أنا نازل أشوف أهه.

قلت المكالمه وليست ونزلت وبدأت أشوف الجثث وأنا مستعجل، بدأنا على طول شغلت (الريكوردينج) وأنا بوصف من بعيد...

«الجثة لذكر في العقد الخامس من العمر، متوسط القامة والبنية، في حالة التيبس الرمي المتداخل مع عوامل الحفظ بالثلاجة، والرسوب الدموي بلون باهت بخلفية الجثة، والتعفن الرمي لم يتضح ظاهرياً بعد، وكان على الجثة من الملابس بنطالاً رصاصي اللون، وتشيرت أزرق اللون، وملابس داخلية بيضاء اللون، وقد تبيّن به الإصابات التالية: إبه ده؟ وقفت الريكوردينج.

إصابة أول مرة أشوفها في حياتي، الجزء العلوي من الجمجمة مفقود وغير موجود وكذلك تلت أرباع المخ والربيع المتبقي موجود فوق عظام الجمجمة، كل ده مش مهم، المهم مكان انفصال العظم يتاع الجمجمة نفسه، في أي حالة شبيهة مكان انفصال العظم يا إما يكون مستوى تماماً فيبقى الفصل تم بآلة حادة، زي ساطور، أو منشار، أو مشرط ليزر، يا إما العظام تلاقيها غير مستوية وفيها كسور وشروخ كثير، ويبقى الجزء العلوي ده تم تحطيمه وإزالته بأداة رضية زي مثلاً: قطعة حديدية ثقيلة، ولكن الموجود هو العجب بعينه زي ما هتشوفو تحت، لا هو مستوي ولا فيه كسور ولا شروخ. مكان الفصل كله أجزاء طالعة وأجزاء نازلة، ومفیش فيها أي كسور ولا أي شروخ، شيء عجيب جداً، الأعجب بقا إن فيه أصابع معلّمة على الجزء المتبقي من فروة الرأس، والوجه أصابع بشرية وعاملة تحت مكانها كدم واضح جداً، كمان جرح متهتك الحواف في الكتف اليسر بطول (١٥ سم) باقي الجسم مفیش فيه أي معالم إصابية على الإطلاق، وطبيعي سبب الوفاة إصابة المخ وما أحدثته من توقف المراكز الحيوية عن العمل وحدوث الوفاة، تم أخذ عينات (DNA) وكمان أخذ عينات من الأظافر للبحث عن الخلايا البشرية.

خلصت وأنا كل شوية ببص لمكان الإصابة ومندهش تماما. سينا الجثة مفتوحة، قلت أشوف الطفل الأول بعدين شعبان يخيظ، قلبت على جثة الطفل بسرعة.

(ريكوردينج)

«الجثة لجنين ذكر في الشهر الثامن من العمر متصل بالحبل السري والمشيمة، وُلد ميتا خالي من المعالم الإصابية». وقفت الريكوردينج. هو فيه إيه النهارده؟

الطفل شكله مثير للإنقباض بشكل غير طبيعي، ملامحه تثير انقباض قلبك، لكنه قد يكون مقبول لطفل في الشهر الثامن لم يكتمل نموه، ولكن شفت اللي عمري لا أنا ولا طبيب زبي ولا طبيب نسا، ولا أي حد هيشوفه، الطفل اللي في الشهر الثامن اللي لسه متصل بالحبل السري بتاعه، عنده أسنان كاملة التكوين بحجم أسنان ذكر بالغ!

سنتين كبار موجودين في مقدمة أسنانه بشكل مذهل، غير طبيعي، باقي الجثة مفيش فيها أي شيء طبيعي، وسبب وفاته عدم اكتمال الرئة ووصول الأكسجين. أخذت عينة لل (DNA) وأنا لسه بقلب في الجثة! سمعت صوت حركة جاي من ورايا أنا وشعبان وحاجة وقعة على الأرض، التفتنا بسرعة، الجثة اتحركت من مكانها، الجثة في وضعها الطبيعي بتكون مستلقية على الترابيزة على الظهر، إيديها جنبها، ورجلها مستقيمة وبعيدة شوية عن بعضها، الجثة لقيناها مستلقية على جنبها الأيمن، إيديها خارج الترابيزة، ومغطية وشها، وإيد المشرط واقعة على الأرض، جه في بالي على طول نفس الوضعية اللي الست وصفتها، شعبان ببصله في بلاهة كالعادة ويقول: حد راحتك عادي ونام على الجنب اللي يريحك. وفجأة! صوت حاجة بتزن، أشبه بزن دبانة رخمة، وطاقة سلبية مهولة تملأ المكان كله من أوله لآخره، خنقة وانقباض رهيب وتشويش تفكير وصداع لدرجة إن طلعنا قبل ما نخيظ. فصلنا شوية ورجعنا تاني.

خلص اليوم عادي على حاجة مش مفهومة، وقررت أستنى التحقيقات ونشوف إيه اللي اتفصل بيه الرأس وإيه قصة الطفل، وفي اعتقادي إن التفسير كله هيكون بالقبض على الدجال.

يومين ثلاثة فعليا وتم القبض عليه، والست كانت حالتها استقرت، وتم إرسال الاثنين إلينا لتوقيع الكشف الطبي، الست لإثبات إنها كانت حامل وأجهضت وإنها أم الطفل.

والدجال لفحص مكان الخريشة، وتحديد هل هو أبو الطفل فعليًا ولا لا، وقعت الكشف على الست. واضح إنها غير متزنة نفسيًا، وعندها خلل نفسي، وتم إثبات إنها كانت حامل فعليًا وأجهضت من أيام. وثبت بال (DNA) إنها أم الطفل، وبعدها دخلت الدجال. قبل ميدخل قلت بعض الأذكار. وعندنا تيرم كده في الشغل إننا جهة محايدة، دايما بنحسس اللي جاي يكشف بده، عشان كده مبنحبش أبدًا أي متهم يدخل لينا بالكلايشات، خليت الشرطة فككت الكلايشات بره ودخل وحده خليته يقعد قدامي، لأ مدخلش لوحده، دخل ومعه طاقة سلبية غير طبيعية تملأ المكان، طاقة رهيبة، قعد قدامي وأنا قاعد على المكتب وبص ليا جامد ومش عارف إيه حصل، صداع رهيب، تشويش، ألم في جسمي، عدم تركيز، ثقل، دوار، كل شيء، وأنا بقاوم، بدأت أردد أذكار، والصراع بيزيد جوه دماغي، إحساسي إن فيه اتنين بيقاتلوا بعض جوه راسي إحساس مميت. الأذكار بتحارب طاقة سلبية مهولة، الوقت ممرش بالسرعة اللي بحكي بيها دي، الوقت بتاع الصراع استمر ثلاث أو أربع دقائق، بدأت أكرر بسرعة الحي القيوم، وأكرر بسرعة ولا ينوده حفظهما وهو العلي العظيم. بدأ الصراع يهدأ، بدأت أفوق وأنتصر، أكيد ده الإسلوب اللي استخدمه مع الرجل القليل، نوع من أنواع السيطرة العقلية في السحر، بصيت على الورق اللي قدامي، والله والله بخط إيدي مكتوب إنه خال من أي إصابات. لا أعرف امتى كتبتها ولا أزاى؟! قمت رحت تجاهه، شديت إيديه الاتنين بعنف، رفعت كُم القميص، أثار الخريشة كان واضح جدًا في الساعد الأيمن، بصيتله، كان يبدو عليه في حالة ذهول من انتصاري.

قطعت الورقة الأولى وأنا ببصله، كتبت وصف الإصابة في الورقة الثانية، ورميت القلم على المكتب، قولتله: يلا يا دجال قوم، قالي: هندمك، بصيتله باحتقار، قام وهو بياخذ القلم من على المكتب، قولتله: سيب القلم، مسك القلم فركه بإيديه كذا مرة وسابه على المكتب، طلعتة المعمل ياخذ عينة (DNA) ثبت فعليًا منها إنه والد الطفل، وكمان ثبت إن الخلايا اللي في أظافر القليل هيا خلاياه. اليوم ده حصلي فيه بعض الأشياء الغير مفهومة، واللي معرفش هي صدفة ولا لا، وأنا راجع كنت العصر، بدأ التشويش في دماغي فجأة، اصطدمت بعربية قدامي بدون أي مبرر، عادي بتحصل، في الشارع بتاعي اللي عمره ما كان فيه أي مشكلة فجأة لقيت نقرة نزلت فيها كاوتش العربية فرقع بمعنى الكلمة، غيرته وعادي، رحت البيت، صداع رهيب، الكهريا زادت جدًا وانخفضت

مرة واحدة حرقنا ثلاثة وتليفزيون وكل الشواحن، برضه عادي، ومكونتش مهتم، لكن اللي قاتلني الصداق الرهيب، التشويش، وصورته اللي شبه التعلب بشعره الرمادي، واللي بقيت بشوفها حواليا في كل مكان، على كل الجدران، على كل حاجة، حاولت أنام مش عارف. الصداق رهيب، وصورته بتزداد وضوح، لكن عارف علاجها، قمت وكل خلية في جسمي بتتألم، رحت أتوضأ، بفتح الحنفية، المية نازلة لوها أحمر! ودي حاجة غريبة نفسي أعرف تفسيرها العلمي أو الروحي، تقريبا في الفترة الأخيرة حكايا ناس كتير جدًا هنا موضوع إن المية تنزل حمرا من الحنفية، لكن مش عارف السبب، هل هو سحر بصري ولا إيه؟! كمان كانت أول مرة أشوفها، قفلت الحنفية، جيت إزاحة مية معدنية أتوضيت بيها، دخلت أصلي وكل حنة فيا فيها أم، سجدت وحسيت واقف جنب راسي بالظبط. والضغط هيفجر راسي، وبدأت الدعاء، دعاء اليقين، اللي بتكلم فيه ربنا، وبتقوله إنه هو القادر وهو المقتدر، هو القادر على جميع خلقه، وهو الحامي، وإنك في حمايته، وإنك لا حول لك ولا قوة إلا به، بتدعي بيقين، والألم بيخرج من كل خلية في جسمي، بيتنزع منها نزع، مرفعتش راسي من السجود إلا ما كانت رجعت لطبيعتها. وحسيت تماما إنه اختفي من عند راسي، تماما، قمت كويس جدًا، ومسيطر علي إحساس رهيب بالانتصار، مبسوط.

صحيت ثاني يوم الصبح عرفت إنه انتحر في زنزانة السجن، وإنه كان اتنقل زنزانة فردية بعد ما عمل مشاكل كتير مع المساجين، وقطع حنة من البطانية وشنق نفسه بيها في حمام الزنزانة، وراح معاه سر موت الزوج بالشكل ده، التياية بعته المشرحة، مكونتش موجود للأسف، لكن عرفت إن جثته كان عليها من الله ما تستحق، زرقه وهيبة، راحة بشعة، وغضب الله ولعنته على وجهه، لكن الأمتع كان في شهادة الضابط اللي كان بيأمن الجنازة بتاعته، وهو صديق شخصي، ولإن الواقعة حصلت في منطقة شعبية فيبقى لازم تتأمن الجنازات عشان يمنع الاحتكاك بين أسر الضحايا، الضابط يقسم إن على باب المسجد أكثر من نصف ساعة كاملة النعش يرفض دخول المسجد بكل الأشكال، يقرأوا قرآن يغيروا الناس مفيش أي فائدة، النعش لا يتحرك من مكانه أبدا، لدرجة إن أخذوه مباشرة على المقابر، ويقسم الضابط إنه بفتح باب المقبرة أمام عينه كانت مليانة حشرات سوداء صغيرة زي الخنافس لكن أصغر وثعابين صغيرة سوداء طول كل واحد

الحكاية الخامسة عشر

"صباح الفل عليك يا مخيف". وصلتني هذه الرسالة من طيبة رعاية مركزة فأحييت نشرها كما هي:

«أه مخيف أنا بقيت أخاف أبص ف وشك، على فكرة من غير نظارة عيونك زي الموناليزا منين متبص للصورة تلاقىها بأصالك» ماعلينا، أنا طبيب رعايه بقالي (٩ سنين) وياما ناس مانت تحت إيدي. قليل جدًا اللي بينطق بالشهادتين، لدرجة حالات ال (MI) من كتر الألم العيان يفضل يتأزع ويتفطقط "ياأاما" "يا أبويا" في مرة بقول لعيانه: اذكري الله. قولي: لا إله إلا الله، بحلقت لي، نظرة عمري ما هتساها. سبحان الله هي ثقيلة فعلا مش أي حد بيقدر ينطقها فعلا. اللهم ثبتنا على قول: لا إله إلا الله في المحيا والممات وعند البعث.

فيه حاله عمري ما هتساها، هو وبيموت، وشه كإنه حد بيخنقه وأسود خالص، عمري ماشوفا شكل حد بيموت بالمنظر ده!

دكتور زميلي مرة بيحكيلي عن حالة مانت معاه، مجرد ما مات جسمه بدا بتنفخ لوحده كأنك بتنفخ بلونه ومش عارفين السبب لحد دلوقت لدرجة إن الستاف صورده علشان يعرضه في سيمينار.

مرة حالة اتوفت عندي. الراجل كان قام صلى الفجر ونام، البنات بيقولولي: الحالة أريستد، رحت والله لقيت وشه منور كأنك جايب كشاف مسلطه عليه، أحط إيدي أقول: يمكن النور ده جي من الشباك بس الشباك معتم ومش معدي نور. اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وارزقنا حسن الخاتمة نحن وأنت وجميع المسلمين. (ربنا يثبتك على اللي بتشوقه ويعينك).

انتهت رسالة هناء الجميلة لكنها فكرتني بلقطة من أجمل لقطات حياتي فرحاً وبهجة.
 اللقطة دي شفتها في مشرحة مستشفى المنشاوي العام بطنطا، ولحالة لم تكن للتشريح.
 دخلت مشرحة المستشفى، قابلت عامل المشرحة، اسمه (فتوح) بيحبني بشكل غير
 طبيعي، سلمت عليه وفضل يحضن ويبوس، بلا يا فتوح طلع الحالة، فتح مكان لحالة
 أخرى بالخطأ، وأحياناً بيكون فيه خطأ بيبقي هو الحاجة الأجمل في حياتك، أحياناً
 الخطأ بيكون هو الحاجة الصع الوحيدة، فتوح فتح الباب وقال: مش دي وبيقفل، وأنا
 مش قادر أبص من النور الطالع من جوه، فتوح بيقول: لا مش هو وبيقفل، وأنا بقوله:
 استنى. ولما بصيت شفت وجهه كما القمر، مش بقا زي اللي شفته قبل كده وش منور
 مش قادر تنزل عينك من عليه، لا ده المرة دي أنت مش قادر تفتح عينك فيه، من قوة
 وسطوع النور ورائحة المسك مش قادر تفتح عينك فيه، بصيت بسرعة بشكل عام،
 ملابس معتزة غماما بالية، عليها آثار قراب، يد مشققة أنهكت الحياة بشرتها، حذاء
 قديم تخرج منه الأصابع من القطوع، ومصحف صغير باين من جيب قميصه، مين ده
 يا فتوح؟ قال: يا باشا ده راجل أرزقي على باب الله كان بيعيح مناديل وبسكويت، ووقع
 ميت في الشارع والإسعاف جايت على هنا، أرزقي؟ ده إحنا اللي أرزقية، على باب الله،
 هو فعلا على باب الله، على باب الجنة، لدرجة إن نورها وريحتها طبعت عليه، قعدت
 على كرسي ومرحت، فعلا ربنا ليه شئ غريبة في كونه، افرح بجد لو كنت في بلاء وحاجة،
 ويوم ربنا ما يدريك كل اللي أنت عاوزة أبداً خاف، خاف على نفسك وعلى آخرتك، طول
 ما أنت عايش في بلاء أيما كان نوعه، سواء فقد أو وجع أو فقر أو مرض، احمد ربنا
 وافرح، أنت قطعت نص الطريق في أمان، قطعته بالابتلاء ده، حتى بذنوبك قطعت نص
 الطريق، وكلنا بذنوب، وباقي نص الطريق تقطعه بعملك، وطول مانت في رخاء وسعة
 وغنى ورقاهية، خاف، خاف لأن أنت أصبحت مطالب إنك تقطع الطريق كله وحدك،
 تقطع الطريق كله بعملك، بعملك وبس، مفيش وسائل مساعدة، وأنت ونصيبك.

حاولت أشوف أهله مفيش، معاه موبايل لا يتجاوز (٥٠ جنيه) اتصلنا بحد طلع شريكه
 في السكن، لأ مش سكن، شريكه في العشة، عشة من صفيح في أحد مناطق طنطا، جه،
 عرفت منه إنه لا اتجوز ولا ليه حد. وكان عايش معاه على حد تعبيره بيتزلوا يسرحوا
 بالمناديل والبسكويت الصبح يجيبوا تمن أكلهم ويقسموا اللقمة سواء، وإن (عم محمود)
 وهو -اسم المتوفي- عمره ما زغل حد ولا قطع فرض في المسجد، الراجل شافه واتفتح في

البكاء. كلاهما ملابس بالية وهينة رثة وتحابا في الله. ومصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له. لو أقسم على الله لأبره". حضرت غسله ونكفنيه، ودفنه في إحدى مقابر الصدقة وليس على لساني سوى (وَلْيَبْأُولُكُمْ بِشْفَاءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ كَى وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧))

[سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧]

حالة استخراج لجنتين، زوج وزوجة. الزوج كان يتعاطى أكثر من نوع من المخدرات ودائم الاعتداء على زوجته الصعيدية الأصل. عائلة الزوج عائلة ثرية ومرموقة. أما عائلة الزوجة فهي عائلة بسيطة من أقصى صعيد مصر. مرّ على الزواج عامين دون أطفال. الزوجة تعمدت أخذ موانع للحمل حتى يعتدل حال زوجها ويتوقف عن تعاطي المخدرات، خافت أن تنجب طفلاً فيشاهد أباه في موقف غير متزن فيسقط من نظره الأب دائم الهلاوس والكلام غير المفهوم، ويطلب من الزوجة طلبات شاذة؛ حتى إنه طلب منها يوماً استقبال تاجر الهيروين بقميص النوم حتى يعطيه ما يريد. الزوجة كانت ترفض طلباته باستمانة؛ فينالها نصيب هائل من الاعتداء الجسدي كل مرة، تقابله حيناً بالصبر والدعاء، فلا يهتدي، وحيناً يطلب الطلاق، فلا يستجيب، وحيناً بالهجر، فلا يرتدع. عانت الأمرين معه كما تقول التحريات، حتى يوم الوفاة، حين علم البائس أنها تتناول حبوب منع الحمل وهذا سبب تأخر الإنجاب، ودار شجار عنيف بينهما واجهته بالقول له: أنها لن تنجب منه حتى ينصرف عن طريق المخدرات، وأن أي ابن لا يشرى بكون هذا المسطول دالماً أباه. اعتدى عليها بالضرب وصدّم رأسها بالحائط فسقطت ميتة. لم يعرف ماذا يفعل! اتصل بأخيه ذي المنصب المرموق، حكى له ما حدث، وأخبره أنه سينتحر. اشترى سمً فتران، تناوله ومات.

العائلة الكبيرة ذي المناصب المرموقة، والتي تغطى على مظهرها أمام الناس، فكرت في طريقة لإخفاء الفضيحة، فزورت تصريح دفن، ودفنت الجثتين ليلاً في الظلام، وأخبرت الجميع أنهم سافروا فجأة للخارج.

بعد خمسة أيام جاء أخو الزوجة المغدورة لزيارتها، بعد أن وجد هاتفها وهاتف زوجها مغلقاً لأيام. شك في الحديث عن سفرهم لأن أخته كانت تحادثه بشكل شبه يومي، وتحكي له كل أسرارها ومعاناتها، دخل شقة أخته بعد إلحاح فوجد آثار دماء في غرفة نومها. اتجه إلى أقرب قسم شرطة، وانفضحت القصة كاملة، طلبت النيابة الاستخراج للجثامين وتحديد سبب الوفاة. وتم تنفيذ المأمورية صبيحة اليوم السابع للدفن.

ركبت العربية أنا وشبل والسائق، أدوات التشرّيع في الشنطة وراء، وبدأت سيمفونية الصوت والضوء المعتادة، ما بين "يا منجد على المرتبة واعمل حساب الثقلبة"، حتى "البت عاوزة الدلع والواد جيان خالص" تتخللها مقطوعات موسيقية وصوت شبل

الرحيم بطوب "يا حضرة العدة ابنك جميلة مدني بالسندية، إيهي، وفحت على
صدري ضحكوا عليا زملائه الالفدية، إيهي، برضيك يا عدة"، فترد أنا والسائق في
خشوع "لا لا لا لا لا".

وصلنا المقابر، تم تحديد القبر بواسطة أعضاء النيابة والمباحث، وتم فتح أعرب قبر
شاهدته في حياتي كلها، وكأنك على الخط الفاصل بين الجنة والنار.

الدفن فوق الأرض على الطريقة المصرية، الجنتين جنب بعض النخيل في أكفانهم، لا تعرف
تحدد ريعنه حلوة ولا وحشة، لا تعرف تحدد هو مريح ولا مشر للكابة، شيء غريب
جدا أول مرة أشوفه. لا أنت عاوز تمشي ولا أنت عاوز تقف، والله والله والله من القبر
حر الحسطن، ونصه برد يناير، نصه رائحة لا تطاق، ونصه من روائح الجنة، شيء مدخل
الترابي بدأ في اخراج جثة الزوج التي كانت أقرب، حالة تعفن رمي متقدم ولكنها تفوق
معدل الست أيام حتى في أيام الصيف بديدان منتشرة بعموم الجسد ومنظر كتيب
مثير للاشمئزاز بالرغم من تعودنا عليه، الوجه الذي لسه محتفظ ببعض ملامحه تظهر
عليه علامات غضب زائدها جحوظ العينين كابة وإثارة للإشمئزاز، خلصنا بسرعة أخذنا
العينات وتحركنا للنص الثاني الداخلي من القبر الذي كان كبير وعالي على غير العادة،
وكان أرض النص الثاني مغطاة بأوراق شجر ليس لها مصدر، جثة الزوجة في كفن أبيض
تماما لم يتسخ إطلاقا عكس كفن الزوج، الرائحة وكأنك في مدخل عبد الصمد القرشي،
مزيج من روائح عجيبة مثيرة للهدوء بشكل خرافي وغير طبيعي، بينما على بعد نص متر
بس النقبض تماما، ودون وجود أي فاصل بينهما، لحد كده شيء غريب وأول مرة أشوفه،
لكنه لا زال مقبول، تم فتح كفن الزوجة، والتي كأنها القمر في ليلة التمام، وما زادت
الجروح في وجهها إلا جمالا، وشها أبيض زي الثلج، ناتم في خشوع، لم يتغير أبدا عن
حياتها، جرح الراس عليه دماء لم تجف بعد، منظر مبهر، مبهر، فضلت أبص ليها، تدبك
سكينة وراحة نفسية رهيبة، حسيت جرح الراس بإيدي وتأكدت من وجود كسر
بالجمجمة، قعدت في ركن القبر على الأرض، إيه ده!! هيا الناس دي فيه إيه بينها وبين
ربنا، هو ده فعلا جزاء الصبر على الأذى؟ [لما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب].

وجنبها تماما نفس الرجل الذي كان يشاركها نفس السرير، في حالة مزرية، السرير الذي
كانوا بيتاموا عليه في الدنيا كان واحدا، لكن القبر الذي نأمن فيه دلوقتي مبقاش واحد،

كل واحد فيهم ليه حدوده، بحد فاصل بين الجنة وبين النار، بحد فاصل بين الجحيم وبين القبح، بين الطهارة وبين الدنس، بين نعيم الخلود وجحيم الخلود، كنت خرجت شبل من فترة وقلتلته هشرح أنا، والفترة دي قعدت فيها وحدي، لا أجمل من التأمل داخل قبر، لا أصدق من التأمل في حضرة الموت، سمعت الأصوات بره بتتململ من الحر والشمس ومستعجلة، وأنا قاعد في حديقة ياسمين مكيفة بكل ما تحمله الكلمة من معني، قفلت عليها الكفن وخرجت، في حالة شرود تام، قفلت الباب بإيدي عشان محدش يبص جوه، حطوا القفل وأسمنت وأغلقوه تمام، سبب الوفاة مطابق للاعترافات، ربنا العربية، وشبل بيغني، وأنا في عالم آخر، عالم برضه ليه حدود، بين الحزن وبين الفرح، بين الرغبة وبين الرهبة، بين الخوف من ربنا والطمع في رحمته، اعملوا لليوم ده، والله لو تحدث الموتى ونطقوا لقالوا (إِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) اعملوا لليوم ده، ذنوبنا يا رب كبيرة، كبيرة أوي، أوي، ولكننا بنحب الصالحين، بنستمتع بقصصهم وبنغبطهم ونتعني نكون مكانهم ومعاهم، وأنت الرب الملك الرحيم، وحبيبك الصادق الأمين قال: المرء مع من أحب، متحرمش عبيدك من أمنيتهم، احشرتنا معاهم، عرفنا وآمنا وصدقنا إن الحياة الدنيا لا تساوي جناح بعوضة، وأن ما عندك يا رب خيرٌ وأبقى، إحنا ذنوبنا كثيرة أوي، أوي، أثقلت ظهورنا، لكنك عزّ جاهك قلت {كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ} وقلت: "رحمتي سبقت غضبي" وكتبتها على عرشك، ونحن نسألك بمقاعد العز في عرشك، ومنتهى الرحمة في كتابك، ونسألك بأسمائك الحسنی وصفاتك العليا وكلماتك الثامة، ونسألك باسمك الأعظم وسرّه العظيم أن لا تحرمنا جمال هذا المثلوى وخشوع هذا المآب وسعادة هذا المصير، عزّ جاهك، وجل ثناؤك، وتقدست أسماؤك، ولا إله غيرك، لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

يا رب هذا المطلب، وأنت الرب.



الصفحات التالية تحتوي على صور
قد لا تناسب الصغار وضعيفي القلوب..
لذا وجب التنويه!

للجنة رأي المهر

الجنة رأي المهر

الجنة رأي المهر



الحكاية السابعة عشر

مساء جثت جديد.

مساء الرعب لا يعرف حقيقته إلا قاطني مشرحة زينهم.

مساء حكاياتها الآثمة، تلك المشيرة للفوضى والرهبة لن يعرفها إلا، والى يقظها إلا.

مساء الغنى والفقر، القوي والضعيف، الجزار والرمال، كلهم هنا على منحنى التشريع سواء!!

مساء الجراح الميمنة التي لم تعد تصلح للتفكير، والأرجل المشوكة التي لم تعد تصلح للمشي، والشرابين المشوكة التي حالت أمانة نقل الدم لتقيد.

مساء الجروح لم يعد في الإمكان تضبيبها إلا بالصبر فقد نبت القطر والخاشب من يد.

مساء النسوة المستحبات المنشحات بالسواد في الخارج والجثث الحمراء المشوكة بالبحر في الداخل!

مساء الجثث البيضاء كما الثلج القواحة كما المسك المرة كما قطر كآتهم غرسان يوم زفافهم!

مساء الجثث الخضراء كما العفن، كريمة الرائحة كما الرمم، المتيسمة كروح كآتهم حنن مُسندة!

ومساء السكر على وجوهكم، عليكم الليفة.

الزمان: يوليو ٢٠١٦.

المكان: مشرحة زينهم.

التوقيت: الثالثة فجراً.

حفل زفاف تقليدي في إحدى قرى مركز البدرشين محافظة الجيزة بين محمود (٢٩ عاماً) ووفاء (٢١ عاماً) بعد قصة حب عذرية بريئة استمرت لثلاث سنوات بسبب رفض تام لمحمود من أسرة وفاء.

بعد محاولات مضنية من محمود العامل البسيط اللي اتقدم لحبيبته أكثر من ست مرات ولكن كان أعمامها دائماً يرفضوه بحجة إنه معاه إعدادية وهي معاهها معهد عالي. قال يعنى معهد أكسفورد البدرشين.

وفاء والدتها متوفي من (١٩ سنة)، وهي عندها سنتين بالظبط، وأخوها أحمد كان عنده شهور، أبوهام ساب أطفال وضع بنت وولد لأهمهم. الست فاطمة. الست الطيبة اللي جوزها مات في حادثة وهي في عز شبابها فمفكرتش لحظة إنها تبص لنفسها، قفلت عليها باب بيتها، ربت الولد والبنت، اخوات زوجها المتوفي رفضوا يدولها أي ميراث بالحجة القذرة بتاعة ملك العيلة منفطش فيه.

{إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ثَارًا (١٠)}، [سورة النساء]

فتحت محل أحذية صغير بفلوس ذهبها، مقلعتش الأسود طول عمرها. حتى في فرح بنتها يادوب شوية لمعة في الأسود برضه، بدأت تتاجر، علمت الولاد، جهزت البنت بجهاز عروسة كامل وبنت للولد شقة. مأخذتش جنيه من جد، وهما أساساً معروض عليها. البنت أخذت معهد تكنولوجيا والولد في كلية هندسة، أعمامها واقفين في وش رغبة البنت اللي عاجبها محمود اللي كان بيشتغل في ورشة بتورد الأحذية لمحل أمها وشايفاه راجل وربنا هيكرمه وهيقدر يسعدنا، وأعمامها شايفين إنه لأ، ده مش من مستوانا.

مع إنى لما سألت على وظائفهم بعد كده طلع أتجح واحد فيهم شغال سباك، وكمان ازاي محمود معاه إعدادية وبنتنا معاهها شهادة من كامبريدج البدرشين، ولما سألت اكتشفت إن أعمامها الثلاثة معاهومش محو أمية حتى.

سالت، سالت، سالت. أكيد طبعا يتسالوا انا بسال ليه، عشان اللي هيحصل دلوقتى شيء خارج نطاق العقل البشري، شيء مستحيل يصدق عقله. مستحيل يكون خاضع لقوانين المنطق، شيء ما ورائي عجيب، سواء الأحداث، أو اللي شفته بعيني، وسمعتة بودل واللي هيفضل محفور في ذاكرتي طول عمري. عرفت كل حاجة تقريبا عن الأسرة دي، حتى بيتهم وشارعهم وقرايبهم روحلتهم. قدرت إني أعرف كل حاجة، إلا حاجة واحدة، هو إيه اللي كان بين الأسرة دي وربنا، إيه الرابط العجيب اللي كان يربط أفرادها الثلاثة ببعض، وهل كل ده كان موجه ليا أنا ولا جزاء ليهم هما ولا عبرة ولا إيه بالضبط، أسئلة يقالها أكثر من تلت سنين، تعبت عقلي من التفكير وملقيتهاش إجابة، قصة من آلاف القصص الغريبة والغير مفهومة اللي الواحد مر بيها، واللي خلت عقله تقريبا مبقاش يبص للأشياء بسطحية، ولا بعمق، بقي يبص للأشياء بالأبعاد الطبيعية للزمان والمكان والأحداث، بس بقي يضيفلهم بعد رابع غير واضح وغير مفهوم وغير منطقي ويمكن يقلب الأمور كلها رأسا على عقب، البعد ده بيكون دائما محور من محاور تفكيري في أي قضية، وأنا بشوف دائما ان طريقة التفكير دي هيا اللي ساعدتني كتير في كشف الكثير جدًا جدًا من ألغاز القضايا، وبعد ده كله تيجي نورين تديني تعليمات وتقولي أعمل إيه ومعملش إيه، زمن.

نكمل...

تجارة الأم بدأت تكبر بشكل فيه توفيق وبركة كبيرة بشكل غير طبيعي، المحل الصغير بقى (٤) محلات كبيرة جدًا، وفي نفس الوقت محافظين على أسلوب معيشتهم البسيط جدًا، نفس شقتهم الصغيرة، نفس طريقة لبسهم، نفس أكلهم وشربهم، مفيش أي تغيير.

الأم بعد إلحاح من البنت ومحمود وتعت الأعمام، بلغت محمود وأعمام البنت إنها موافقة ومش هتقف قدام رغبة بنتها، وهتجوزها للي اختارتها، الأعمام قاطعوا أي شيء يخصهم. الأم كملت مشروع الجواز، وقالت: مفيش حتى خطوبة. وحددت معاد للفرح فوراً يوم (٢٠ يوليو ٢٠١٦).

الفرح نفسه أصريت أجيب الفيديو بتاعه وأتفرج عليه، كان مبهج، كل حاجة فيه بسيطة وجميلة، مكانش فيه أي شيء محزن إلا منظر بكاء الأم المتواصل إن بنتها هتبعد عنها وهيبقوا اتنين بس في البيت، وأحمد ابنتها وهو مدمع وبيطبطب عليها ويحاول

يضحكها، ووفاء كل ما يبجي عليها كادر نظراتها شاردة. ابتسامة متوترة. يتنفس على أمها وأخوها وتدمع وتحاول باستمائه تسيطر على نفسها إنها متبكيش. ومحمود سعيد وفرحان بشكل لا يوصف، دي الصورة اللي أنا اخدتها من الفرح ككل.

الفرح خلص بدري. كان في قاعة بسيطة كده، تقريبا قبل (١١) العريس أخذ عروسته ورايحين شقتهم ووراهم مامتها وإخوها رايحين يوصلوهم مع عدد بسيط جدًا من أسرة محمود، الست فاطمة كانت مجهزاهم الأكل وكل شيء. وصلوهم لحد باب البيت. حضنت بنتها كثير. وبكوا الاتنين مع بعض، وأحمد اختفي من المشهد عشان ميبكيش. ومشيو.

محمود قفل الباب عليه هو وعروسته اللي كان طائر بيها من الفرح. وبدأت طقوس أحزانه اللي هتقضى مضجعه وتحزن قلبه العمر كله.

محمود بيحكلي ويقول: بلهجة بسيطة اللي حصل يا بيه إن أنا قفلت علينا الباب، وكنت عاوز أفرجها الأول على الشقة لأن الأصول عندنا إن العروسة مبتشوفش شقتها غير يوم دخلتها. قالتلي: مش دلوقت أنا هبقى أشوفها بعدين، وادائني كيس فيه فلوس كثير تقريبا الناس كان منقطاها بيهم في الحنة والفرح لأن أمها مكاتتش بتسيب أي حد في مناسبة من غير ما تنقطه، قولتها: بس دي فلوسك انتى مش كفاية اللي عملتية معايا؟ قالتله: أنا وأنت حاجة واحدة. وقالتله: استنى.

وفتحت شنطة كانت مامتها اداهاها في إيديها وهي داخلة وطلعت منها عشرين ألف جنيه، وقالتله يا محمود خلي دول معاك لأي ظرف. فقالها: ظرف إيه وأعمل بيهم إيه؟ أصرت إنه يخليهم معاه لأي حاجة تحصل.

يقول: كانت كويسة جدًا، محمود قالها: ناكل الأول ولا نصلي ركعتين ستة الزواج الأول، قالتله: نصلي الأول. بس أنت خليك هنا وأنا هدخل أغير هدومي واتوضي وأصلي ركعتين شكر وبعدين أنا ديلك تصلي معايا، عاكسها زي أي عرسان وقالها: طيب. وضحكوا ودخلت أوضتها وقفلت الباب.

فريت هدمها، وطلعت تتوضى محمود شافها بلبس عروسة ليلة دخلتها فضل يعاكسها.
فأنته: لما نصلي الأول، اتوضعت، وخرجت من الحمام ليست إسدق وقلت باب الأوضة
وبدأت نصلي.

تأخرت كثير، محمود راح فتح الباب لقاحا سجدة بتدعي بصوت غير واضح ويكاه
شديد، فخرج وقفل الباب، فضل مستني، ربيع ساعة، نص ساعة، يقول: أنا عارف إنها
بتحب الصلاة والدعاء فحببت أسيبها بإراحتها ساعة إلا ربيع، مناديتش عليه، وهو قاعد
في الأتربة شاف خيال كأنه رايح تجاه الأوضة، فكرها طلعت، راح لقي الباب لسه
مقفل، فتح الباب وهو بيهزر ويقولها: "إيه يا مولانا هو إحنا هنقيم الليل ليلة الدخلة؟"
لقاحا لسه ساجدة، لكن من غير صوت ومن غير بكاء، حاول يحركها وقعت على جنبها
مبتحركش ووشها مبتسم، صرخ، فتح الباب وجري في الشارع يدور على دكتور مفيش
ناس جيرانه جم فضلوا يكبوا مية كثير جدًا على وشها شالوها أخذوها في عربيتهم طلعوا
على المستشفى، قابلهم طبيب الطوارئ بكلمة محمود مش هينساها، البقاء لله.

ازاااااااااا، محمود في حالة انهيار وحلم عمره بيضيع منه، أو ضاع منه، البنت اللي حارب
عشان تبقى في بيته وشاف الذل وداق الهزيمة تلت سنين، يوم ما ينتصر وتبقى في بيته،
تطلع منه متشاله على قبرها.

الدكتور لسه صغير، لما عرف إنها عروسة متجوزة من ساعتين قلق، بلغ الشرطة، جه
ظابط صغير، معجبهوش شكل البنت اللي نائمة زي الملاك خاصة إن وشها مفيش عليه
نقطة ماكياج واحدة، وقال: عروسة ازاي؟ فضلوا الجيران يقولوله: إنهم كبوا عليها مية
كثير جدًا عشان يفوقوها ومسحوها وشها بفوطة، مفيش فايدة، قلق، كلم النيابة، وقاله:
يا باشا تبعت طب شرعي عشان مش مطمئن، أمين، انقل يا بنى على مشرحة زينهم.

محمود مش مستوعب اللي بيعصل، وحاسس إنه في حلم، محمود لسه لابس بدلتة
مغيش هدمه. يا دوب فك الكرافت وقلع الجاكيت، والمطلوب منه دلوقتي إن عروسته
اللي مقلعهاش فستانها يشتريها كفنها.

عربية إسعاف نقلت الجثة المشرحة، محمود راكب معاه، بيوصلها في ذهول، والبنت
ملاك نايم، مبتسمة، في هدوء وطمانينة غريبة.

مجاهش في باله لحظة إنه يكلم أمها أو أخوها ولا أسأما مستوعب إنه يعمل حاجة دي دي. دمار قلبه أكبر من إن يخلي عقله يفكر في أي شيء، لكن الجيران كانوا قاموا بالواجب، الجثة وصلت، استلمها هشام فني التشريح، دخلها. والأم والأخ وصلوا يعلموا بدقايق.

محمود بيحكلي، بيقول: اللي أنا مش مصدقه إن الحاجة فاطمة كانت متماسكة جدًا وحت طبطبت عليا وواسيتني من غير متتكلم ولا كلمة، وأحمد أخوها لما اتأكد من الخبر راح قعد لوحده في الميكروياص اللي جاييهم، وكان السواق نزل وهو الوحيد في الميكروياص.

كل اللي حصل ده بالنسبة لشغلنا عادي، وفيه جزء من المنطق، عروسة بذلت مجهود كبير في الفترة اللي قبل فرحها عشان تجهيزات الفرح ومبتنامش ومجهود أكبر في الشرح ولا أكل ولا شرب مع شوية توتر وضغط نفسي بيقوا عند أي بنت بتتجوز، جالها هبوط وأزمة قلبية وماتت.

لكن اللي هيجصل ده، هو اللي لا يستوعبه عقل ولا يخضع لأي قانون من قوانين المنطق. كنت بايت في المشرحة كالعادة، معظم أيام (٢٠١٦) كنت بايتها هناك، قاعد بقلب علي النت في المواقع الإخبارية وأنا بسمع السم، هشام اتصل بيا. يا ريس فيه حالة جت، مش أنا قايلك: يا هشام محمد صلاح هيجي يشتغل الصبح، قالي: مآنا قولتلهم: والله يا ريس الدكتور جاي الصبح، بس لما عرفت قصتها صعبت عليا، ليه يا حنين، إيه قصتها، قالي: دي عروسة متجوزة من ساعتين بس، اممممم، حاسة الشك ابتدت تشتغل عندي، عروسة يبقى حاجة من أربعة: يا هبوط عادي وأزمة قلبية، يا اختناق بغاز السخان في الحمام، يا تزيف بسبب إنها متجوزة حلوف في صورة إنسان، يا إما الحلوف اكتشف إنها قرطسته وإنها مش تمام فقرر إنها تدي للحياة تعظيم سلام.

وأنا أحب الحاجة اللي فيها اللغز، فيها التكة.

طيب أنا جاي يا اتش، جهزها يلا.

نزلت، ووقفت على الشباك الحديد طلبت جوزها جه. الولد في حالة توهان، بس مجرد إنه جاي معاها يبقى استبعدنا السبب الرابع على طول.

سألت زيدا حصاراً قال: كنت بتعلمي وحكايا القصص، كطبيب شرطي كل لي محمود
حكاية ده مشغلنيش، أنا مشغلنيش غير كلمة واحدة شقت خيال ده زيدا الخيال ده
يقى يا محمود؟ قال: خيال على الحيلة، ده خيال زيدا يحيى انسان حيوان زيدا يا طرفة
قاله: لا ده خيال زي انسان بس طويل جداً وأصل للسند.

لعمري، يا أرملة قبية يا محمود يلعب بيا

هنشوق.

يلا يا اتش. يا دوب همشي لقيت ست طيبة كده بوش بريء جداً بتقولي بتماصك لو
سمحت يا دكتور، قبل ما تتطرق كنت عارف إنها أمها وعاززة تشوقها، وممنوع مخلوق
يدخل جوه. ساعات العيون الصادقة بتقول: كل حاجة قبل الشقايف، فما بالك بعيون
أم فقدت بنتها ليلة فرحها، وما بالك بعيون ست أصلاً زي الحاجة فاطمة.

الست وشها بريء بشكل يشدك، شكل غير طيعي، قبل ما تكمل، قولتله: انتى أمها
وعاززة تشوقها، قالتلي: آه، قلت دخلها يا هشام، بص ليا باستغراب وقتح الباب المصطح
ودخلها.

وقفل.

طول الطريق للقاعة بحاول أواسيها والست صابرة ومؤمنة ومتماسكة جداً كل ده وأنا
لسه مشوفتش البنت أساماً.

وقفها بره القاعة، وقولتله: استني.

ناديت على هشام، خلتيه دخل الأول شال أي أدوات زي المنشار، والسكاكين، والمشارط
عشان الأم متشوفهاش وده شيء لواحدده يقتلها، وكمان يغطى البنت مظهرش غير وشها
بس، عشان لو كان فيها حاجة الأم متعملش شوشرة على ما نخلص شغلنا.

دخلت معاها القاعة.

ببص على البنت لأول مرة، ملاك نايم مبتسم هادئ رزين مطمئن سعيد مضيء كل
حاجة حلوة، شكلها يفرح ويصبر ويواسي أي حد زعلان عليها.

الأم شافتها، ابتسمت بهدوء، باست جبينها، وقالت لها: "طبتي حية وميتة يا حبيبتى. أنا لله وأنا إليه راجعون، لا إله إلا الله" ولفت عشان تمشي بنفس الهدوء اللي دخلت به، إيه الجيروت ده؟! إيه الايمان ده؟! إيه التماسك والصبر ده؟! وصلت عند باب القاعة وداخت كانت هتقع، سندتها بسرعة، هشام جاب كرسي، قعدتها في الكوريدور اللي قدام الباب، الست دايفة شوية، وصعبانة عليا بشكل رهيب، وفي نفس الوقت مش هشرح بنت وأمها قاعدة على الباب، مش هخلي أم تسمع صوت نشر جمجمة بنتها أو قص ضلوعها، مستحيل.

قولتها: تعالي يا ماما، محبيتش أخرجها بره، سندتها ووديتها غرفة الأشعة اللي في آخر الكوريدور تماما.

ودي غرفة بعيدة عن القاعات فيها جهاز أشعة متحرك بنستخدمه في حالات الكسور أو البحث عن مقذوفات نارية داخل الجثث، وكمان فيها مكتب وأنترية وبطبيعتها معزولة عن المشرحة، قعدتها في الأنترية، طلبت مائة، طلعت جيباتها مائة وعصير من تلاجتي. رفضت العصير وأخذت المية شربت حاجة بسيطة جدًا، وطلبت سجادة صلاة لحد ما نخلص، جيباتها سجادة صلاة فرشتها وبدأت تصلي.

سيبتها في هدوءها الرهيب وخشوعها، ورجعت قاعة التشريح، مبهرة ابتسامتك يا وفاة، مريكة، وكأنها شمس تضيء وسط وجهه كالقمر، أخذت كام صورة، هشام بيحاول يشيل الإسدال والملابس، وأنا كل شوية أرجع ابص لابتسامتها التي لا تتغير، واضح تمامًا إن البنت خالية من أي إصابات مشبهة وواضح إنها ما زالت عذراء. وواضح إن مفيش أي سبب جنائي للوفاة وإن السكتة القلبية هي السبب الحقيقي للوفاة، في وسط الريكوردينج ومتابعة أدق التفاصيل لقطع أي شكوك، شفته.

باب القاعة باب خشبي يتدخل يقفل وراك ويبتفتح في الاتجاهين. الجزء العلوي فيه إزاز.

وأنا شفته من خلال الإزاز، شفت الرؤية مشوشة من الإزاز المشغول لكن شفته، طويل جدًا واصل للسقف على هيئة ضوء مجوف شفاف، ليه وراه جناحين، المشرحة عموما إضاءتها قوية جدًا، ومطلية أرض وسقف وجدران باللون الأزرق وسقفها عالي جدًا

ومفیش فیہا أي مخلوق غیري أنا، وهشام یتتحرك لكن هو كان واضح لیا جدًا، رجلیہ یتتحرك ببطء، وثقة وجسم واصل للسقف ویتتحرك فی هدوء، غریب، تجاه غرفة الأشعة، وفعلياً وقتها أنا ما كان فی تفکيري غير محمود والخيال يتاعه، رميت المشرط، قلعت الجوائن بسرعة البرق، هشام بیقول: فیہ إيه؟ زقیت الباب برجلي واتحركات بسرعة لغرفة الأشعة.

وأنا فی الطريق، شفت منظر لن أنساه ما حییت، شفته بعینی خارج من الأوضة بنفس الهدوء والثقة، ضوء مجوف شفاف علی هيئة بشر بجناحين جای علیا، وقفت، عدی من جنبي، لمسنی، حسیت برعشة عمري ما حسیتها فی حیاتی، اتكهربت قبل كده مرتین ثلاثة، لكن ده إحساس لا یمكن وصفه، كل خلیه فی جسمك یتتنفّض. كل خلیة حاسة ببرودة لدرجة التجمد. كهربا رهیبة ماشیة فی الأعصاب، تشنج رهیب فی العضلات، وكأن كل أجهزة جسمی وقفت عن العمل فجأة، مع إحساس مهول بالبرد. فضلت لمدة تلت ثواني فی نفس الوضع، فی حالة بین الوعي واللا وعي، بعدها انتبهت، حسیت كأنی كنت بجوي بقالی عشرة كيلو متواصل. إرهاق رهیب، رهیب، كملت بهدوء ورجل ثقيلة تجاه غرفة الأشعة

ودخلت، هدووووووو رهیب.

الست فاطمة ساجدة علی الأرض، مفیش صوت ولا حركة.

نادیت علیها مردقش، رحى أحركها مالت علی جنبها، مفیش نبض ولا دقة قلب!

لا إله إلا الله!!!

نقلتها بهدوء لكتبة الأنثريه، وبیص علی وشها، لا إله إلا الله!!!

نفس الملاك المظلمن، نفس الابتسامة الهادئة الرزينة، ابتسامة حتى بدت ثناباجا، ابتسامة حاولت أوصفها علی مدى تلت ستین، ملقيتش غير وصف واحد، ابتسامة رضا، ابتسامة من رأى الراحة والنعيم أخیرا.

قعدت جنبها علی كرسي، سددت رأسی لورا، غمضت عینی، یا الله، عاذا بیهم وبنی الله؟!

أین نحن من هؤلاء؟

لا شيء يرعب هاتيك التوارس البيضاء عند موتها؟

وهل كان هو حقاً؟

هل وصلت كراماتهم لدرجة أن يظهر إليهم كطيف واثق هادي لا يخيف؟
يا الله.

هل تعلم هذه الجدران الآن أن جوارها يرقد جثمان أم في مرتبة شهيدة وابنة على درجة
قديسة؟

يا الله، هي وابنتها؟

ذات الملاك المطمئن.

تماسكت، قمت، قبلت يدها وجبينها، و"طبتى حية وميتة يا حبيبتي، أنا لله وأنا إليه
راجعون، لا إله إلا الله".

بدات أستوعب اللي بيحصل، هو أنا هاقول إيه للناس اللي بره؟ المفروض ادي للأم جنة
بنتها، فخرج أقولهم: تعالوا خدوا جنة الأم؟!
ياااا رب.

رجعت القاعة، هشام واقف مستنى، بصيت على وفاء، والذي نفسي بيده لقد زادت
ابتسامتها اتساعاً إلى الضعف تقريباً، الضعف بلا مبالغة! وازدادت عيناها انغلاقاً، كأنها
طفل تداعبه أمه.

هشام: فيه إيه يا ريس؟! فيه حاجة ولا إيه؟!

قولته بهدوء: الست ماتت.

الولد انتفض، سابني وراح بص عليها، وأنا عيني منزلتش من على ابتسامة وفاء.

رجع هشام كأنه أصابته صاعقة، افترى أنه منطقتش كلمة إلى آخر الأحداث.

بصيته وقلت: هشام، بص، اطلع من غير متقول شيء، اعرف لي مين أقرب حد للمست
دي.

بص لي وفضل واقف!

خرجت أنا عند الشباك، غير متزن وغير ثابت النظرات، ناديت محمود: احكي لي، فين أهل حماك؟

- يا بيه ملهاش أهل؛ جوزها ميت وأهله مقاطعينها هيا وبنتها وابنها الصغير، فقط لا غير.

- وفين ابنها؟

- من ساعة ما جه وهو قاعد في الميكروباس اللي هناك ده.

- طيب ادخل.

فتحت الباب ودخلته، وأخذته بهدوء لغرفة الأشعة.

لما شاف حماه انهار، فضل يبوس إيديها. هديته، قعد يتكلم معايا، قال لي: دي أطيب ست عرفتتها في حياتي، دي كانت تديني فلوس تقولي روح هات شبكة لخطيبك بعد ما تحلفني على المصحف إني مجيبش سيرة لمخلوق ولا لينتها، تديني فلوس تقولي هات هدايا لخطيبك وتحلفني، حتى فلوس الفرخ هيا اللي مديها لي. وانهار في البكاء.

حاولت أستغل الموقف: بص يا محمود، يبقى من واجبنا عليها إننا نخلص كل الإجراءات في هدوء ومن غير أي شوشرة، أنا هجيب دكتور الصحة هنا وهخلص الإجراءات كلها، إنت معاك ما يثبت إنك زوج بنتها؟

رد قال: لأ، أنا لسه ما أخذتش القسيمة.

- طيب فين ابنها؟

- بره في الميكروباس.

- طيب أنا هطلع له، وإنت خليك هنا، هجيبه بهدوء عشان نعمل الإجراءات.

- طيب.

طلعت، الناس حاسة إن فيه شيء غريب بيحصل، روجت بكل هدوء للعبكرويس
أحمد قاعد في آخر كرسي وساند راسه على الشباك، كنت خايف عليه من الصدمة
فتحت الباب، طلعت أقعد جنبه، ملتفتش ليا أساسا!

قولته: إنت مؤمن؟

مردش عليا، حركت إيدوه، وقعت... أحمد مات!

أنا غاوز حد بس يحط نفسه مكاني، الناس واقفة بعيد ويتبص، وطالع أقول لاين إن
أمة اللي كانت جاية تاخذ جثمان أخته ماتت، فالأقية ماتت!
يا الله..

قمت أسنده وأنيعه على الكرسي، الناس بدأت تيجي، كلام كتير حواليا مش سامعه ولا
غاوز أسمعه... أحمد مات.

ونفس الابتسامة، نفس الابتسامة...

الناس بتصرخ وتعيط وأنا راجع المشرحة مش عارف فعليًا إيه ده، هل حلم؟!
طلعت مكبني من غير أي كلمة، قفلت الباب من الداخل، ولم أنهر في حياتي زي اللحظة
دي.

يا الله! إيه بين الثلاثة دول وبين ربنا؟ إيه العهد اللي أخذوه إنهم يعيشوا مع بعض
ويرحلوا مع بعض؟ إيه البنت اللي ماتت أول يوم تبعد فيه عن أمها؟ وأمها وأخوها
يموتوا في أول يوم تبعد فيه أختهم عنهم؟! إيه الابتسامات الثلاثة الهادية دي؟! وإيه
اللي شوفته تحت ده؟! معقول!! وهل لما كان خارج من الأوضة وكهرب جسمي كله
كان رايح لأحمد؟! وليه بيظهر لي أنا؟! وليه في المشرحة؟!

أسئلة أسئلة... إيه الرضا اللي باين على وشوشهم ده؟! إيه الملائكة الثلاثة اللي
نايمين دول؟ وهل موت السجود ده سهل كده؟ احنا فين من الناس دي؟! إيه الهدوء
والسكينة اللي ختموا بيه حياتهم ده!!!

من الأحداث دي مأخدتش نص ساعة تقريبا، نص ساعة التغير فيها بالنسبة لي الكون كله!

غسلت وثني، قرآن الفجر في مسجد السيدة زينب القريب بدأ، وكانت هذه هي التلاوة:
 الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا
 بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا
 تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نَزَّلْنَا مِنْ غُثُورٍ رَجِيمٍ (٣٢)

[سورة فصلت: ٣٠-٣٢]

وختم التلاوة بـ (وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حُظٍّ عَظِيمٍ) (٣٥).
 لا إله إلا الله!

نزلت، الثلاثة جنب بعض على ترابيزات، في قداسة رهيبة، كأني واقف قدام ناس من
 زمن الصحابة، ناس لا ده زمانهم ولا ده مكانهم.

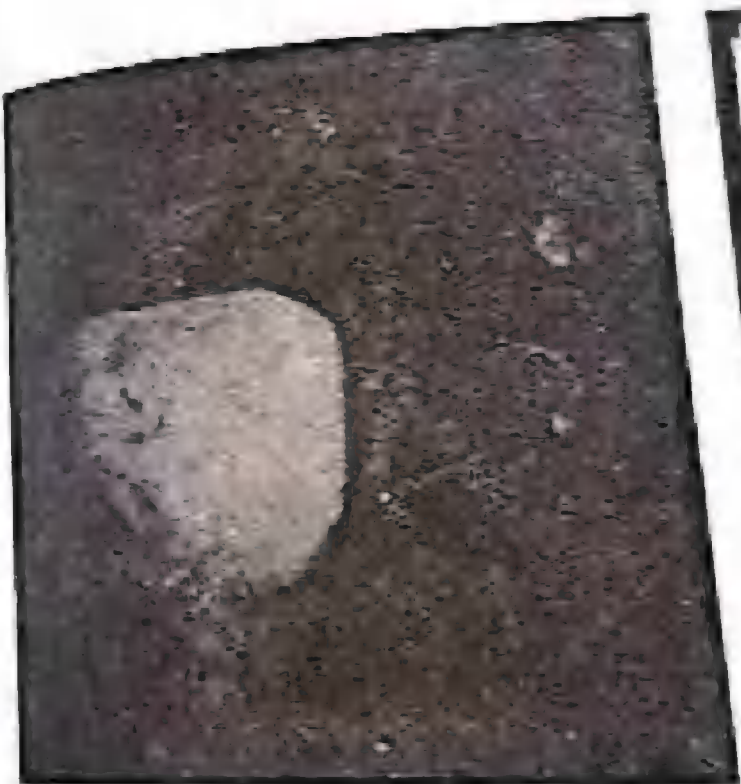
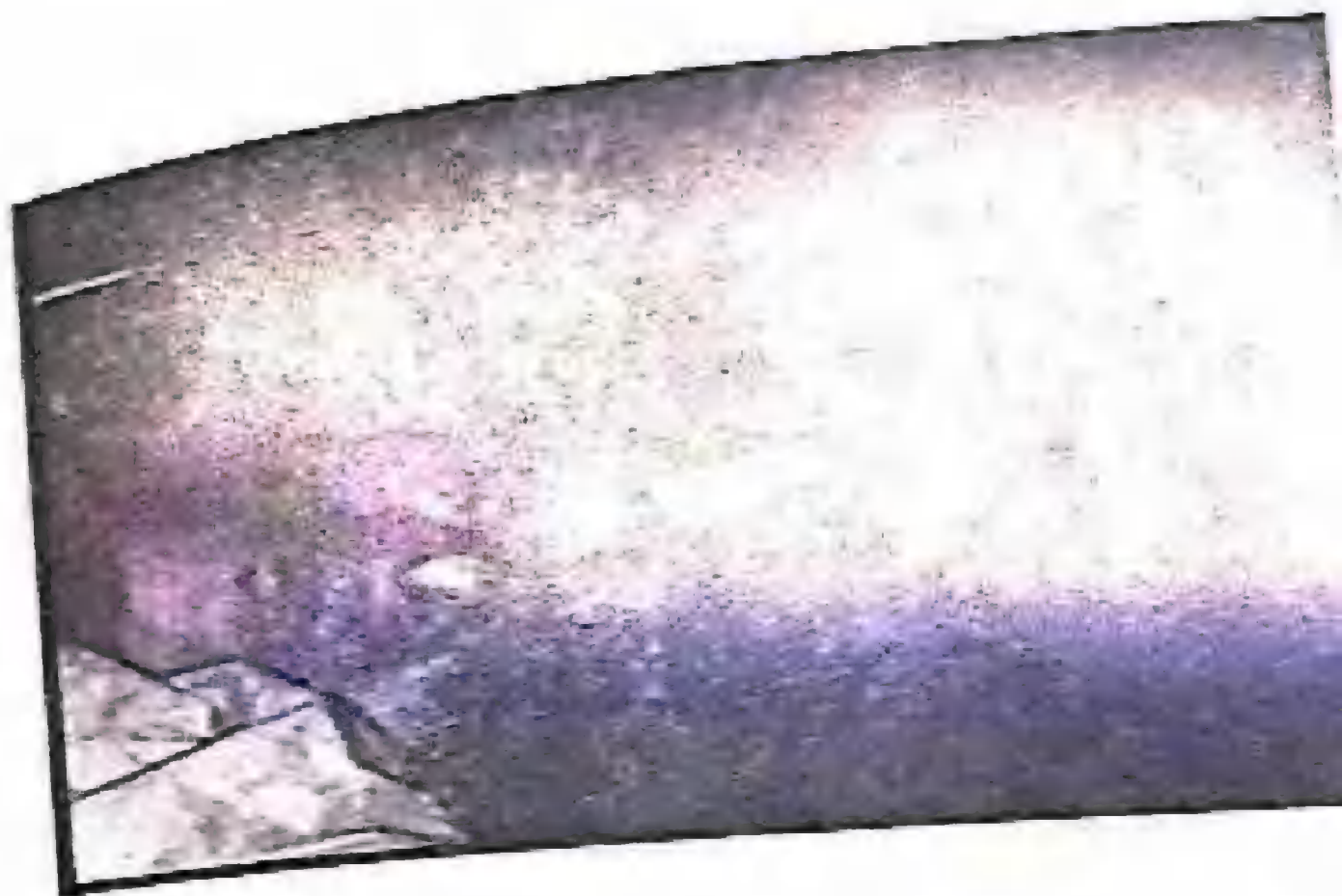
حاولت أدفع رسوم الغسل والأكفان للثلاثة، محمود رفض، قال لي: وقاء مدياني فلوس
 لكده وقالت لي هتحتاجهم.

أخذت العنوان، حضرت صلاة الجنازة والدفن، ظهر لي فيهم كرامات مهولة، فعدت مع
 محمود، حكاكي كل اللي حكيتة فوق بالتفصيل، محمود النهارده عن أعز أصدقائي، عثمان
 حاجة واحدة بس، يحكي لي عن الحاجة فاطمة...

صلحوا اللي بينكم وبين ربنا، كل اللي فوق التراب تراب، مئيش حاجة مستاهلة.



الصفحات التالية تحتوي على صور
قد لا تناسب الصغار وضعيفي القلوب..
لذا وجب التنويه!



الحكاية الثامنة عشر

هل أنتم مستعدون؟ حسنا، هنا هي هناك، قريبة جدًا، عندها فقط تبدأ طقوس رعبكم، ليس أسهل من الوصول إليها، إن لم يكن بسؤال الصحفيين الواقفين والمتجمعين حولها، فسيكون من رائحة الموت التي تملأ منطقتها، والتي جعلت منها مكانًا مرتبطًا في أذهان الكثيرين بأنها بيت الرعب الحقيقي.

وغاب عنهم أنها سيف آخر للقضاء يفصل بين الحقيقة والادعاء. يبحث في منهجية الأحداث، وقد يقلب الأمر رأسًا على عقب؛ فيكشف عن أن المتهم بريء، أو أن المجني عليه مدان.

اقتربوا من أبوابها، أكثر، أكثر، هل شممت رائحة الموت، الباب مفتوح، ادخلوا، ادخلوا، ولكن لا تلوموا بعدها إلا أنفسكم عندما تتسمرون رعبًا في الأرض في صراخ طويل لا تعلمون أين أنتم، فتجيبكم أول جثة في أقرب ثلاجة: هنا مشرحة زينهم.

الزمان: يناير ٢٠١٥.

المكان: مشرحة زينهم.

إخبارية مفاجئة بحدوث انفجار بأحد الأحياء السكنية في مدينة من المدن الجديدة. تحركنا كجهات معنية في تمام الواحدة ليلاً كل من مكانه في اتجاه المدينة، هناك لم يكن الوضع يتذر بشر، ولا بخير.

لا يوجد أي آثار لانفجار، لا نار، لا دخان، لا بنايات معطمة، ولا سيارات مهشمة، ولا نوافذ مخلوعة، ولا زجاج معطم. حسناً، لا يوجد انفجار.

ولكن في الطابق الثالث هناك خمس جثث لخمس سيدات!!!!

استمعت لحوارات جانبية لسكان المنطقة مع ضباط المباحث. الجميع يقسم أن هذا المبني شهد انفجارا كبيرا رج الأرض من تحتهم مع صوت رهيب يصم الأذان. الجميع مصمم على وجود انفجار دون أي أثر له، حتى صاحب السوبر ماركت الهادئ في المبني القريب يقسم أنه لما سمع الصوت وشاهد ارتجاف الأرض تحت قدميه نطق الشهادتين وأيقن أنها النهاية وأن رائحة الدخان والحريق كانت تملأ المنطقة حينها ثم اختفت فجأة.

ما هذا العيب؟!!

قيادة تصرخ في حلق: يلا يا حسام بيه شغل المجانين ده، فض الليلة دي والطب الشرعي يشرف على نقل الجثث في عربيات الإسعاف يروحوا مشرحة زينهم. وحراسة تقف هنا على البيت للصبح.

يسلم قملك، أنا علوز أنا.

عملت نفسي إن الفكرة مش عاجباتي، وده سيستيم اتعلمته مع الزمن، فترد بضيق، خلاص يا باشا، أنا بس كنت بقول: إن الله... خلاص يا باشا اللي تشوقه.

وتسكت دقيقة كده وتعمل نفسك بتفكر بعمق.

وتيجي قايله: تصدق يا باشا أنا قلبتها في دماغي كده وطلع فعلا كلامك مطبوط. الخبرة يا باشا مفيش كلام. المهم...

طلعنا عشان ننقل السيدات مع طباط مباحث الشروق وأفراد الاسعاف، ٤ جثث جميعهم في الرئيسيشن الكبير جدًا، كل جثة في ركن من الأركان ملتصقة بالحائط، والجثة الخامسة موجودة بالكوريدور الواصل بين الرئيسيشن والغرف. والجثث الخمس بملابس سهرة سوداء وملقاة على وجوها على الأرض. المنظر من بعيد يقول: إنهم كانوا مجتمعين في منتصف الرئيسيشن، وحصل انفجار قوي جدًا، أطاح بيهم كل واحدة في حنة، فأربعة اتخططوا في الحوائط، وواحدة اترمت بقوة الانفجار في الكوريدور، لكن مفيش انفجار ولا أي أثر ليه، فين آثار الانفجار؟ مفيش كوياية مكسورة، مفيش إزاز

عشروخ، عقيش حريق، عقيش دخان، عقيش أي شيء، كل حاجة هنادية ومنتظمة تماماً.

الوضع مش عريح، انقسمنا مجتمعات، الأذنة الجنائية بتفرع لسموات، ليحت يصير على أي أوراق، وإحنا بنفحص الجثث حادرياً كده قبل ما نعطها في كياس الطوق وننزل الإسعاف.

عمرو بيه معاه ثلاث جوازات سفر أجنبية لثلاث سيدات عرفناهم قديماً من لون شعرهم الأشقر ولا زالت الجثث على وجوهها، أما العجائز الباقيات فقد تبيكت في مائس أحدهن وفي شنطة يد حرمي ملقاة على الأرض بطاقتان رقم قومي السيدتين متبرجتين من مكان أحد أرقى أحياء الجزيرة، حي غالباً يياخد المركز الثاني في الدوري.

حتى الآن الموضوع غامض لكن لم يصل بعد للدرجة التعقيد.

التعقيد بدأ لما يدانا ثقلب كل جثة عشان تعديلها، أو مش التعقيد الذبول.

يدانا بالثلاث جثث الأجنبية. والمواقى ثبت فحين مستأجري الشقة مفروشة، منظر بشع

اثنان منهما وجيهما مغطى بالكامل بسائل أحمر أكثر كثافة من الدم ولزج كآله دم بدأ في التجلط والجفاف، والغريب لا يوجد أي جرح لا في الوجه ولا في الرأس ولا في الجسم كله، ولا آثار دماء على الأرض مكان وجوههم، ولا آثار دماء في مناطق وقوعهم، ومنظر الوجه إنه تعرض لرعب مهيول وإن الوفاة صدمة عصبية بشعة. الجثة الثالثة ويدو أنها لأكبرهم سناً، متخيل لما قطر كهربائي مهيول السرعة يخيبط وش واحد ممكن يعمل فيه إيه؟ أو مثلاً أتوبيس سياحي فاخر يدوس على وش واحد ممكن يعمل فيه إيه؟! ممكن تتخيل أي شيء ممكن يحصل، أي شيء، إلا اللي أنا شفته وهنشوقوه في الصور، الوش ممكن يتحطم، يتكسر يتسلخ يتجلد، لكن إنك تلاقي فم الجثة في مكانه بينما الأنف والعيون في مكان ثاني آخر ده اللي مش ممكن، مش قادر أوصف الموقف بدقة أكثر من إن أنت جيت عجينة بليدو (صلصال يعني يا نورين) وعملت منها وش بني آدم وأنت بتسلى، بعدين زهقت فجيت فاعصها بإيدك مضيع ملامحها ومخلي وشها مكان أفها وعينها فوق حواجبها، هو ده اللي حصل، ولكن، بدون نقطة دم واحدة.

الجنين الباقين للسيدات المصريات، واحدة سافرها معدلة، والثانية يصعب شرحها
ذات الأولى بها إصابات غريبة جدًا جدًا جدًا يوحى الصقي، أكثر من عشرة جروح شديدة
بالمعدلات، ولكن كل جرح بشكل مختلف تمامًا.

الجنة الأخيرة في الثور يدور كانت مشوهة تمامًا مقطعة الوجه والرقبة والاذنين والأعضاء
التناسلية.

انتهت عملية رفع البصمات وشغل الأدلة الجنائية حين في الشقة أوراق تخص إحدى
السيدات الأجانب أنها تستورد أجهزة طبية من الخارج وبالفعل شيئًا في إحدى الغرف
أكثر من (500) علبه جهاز ضغط طبي في كرتين مشددة.

تم نقل الجنامين الخمسة إلى زيلهم ووضع حراسة على الشقة لهذا الجزء الأكثر رعبًا
في القصة.

بمجرد وصول الجنامين وقيام شعبان باستقبالهم اشتكى أفراد سيارتي الإسعاف التي نقلوا
الجنث الخمسة من أشياء غريبة طول الطريق، سألت زي زي؟ قالوا: إحنا أول مرة
يحصل معنا كده يا دكتور، إحنا بننقل جنث من عشرين سنة، لكن عمرنا ما حصل
معانا كده، إيه بس اللي حصل؟ قال: طول الطريق سامعين صوت صرخ رهييب وتلفر
وعياط وإحنا ماشين ورا بعض بالعريتين، لدرجة وقفنا ونزلنا لقينا العربية اللي ورانا
بيقولوا نفس الكلام، تلف العربية مفيش صوت، أول متحرك الصوت يشتغل، تلف
يسكت، ده غير إن كل شوية العربية تهبد هبده كأنها أكلت مطب محترم من غير
ميكون فيه أي حاجة في الأرض والصويت ده دمر أعصابنا، لدرجة إن واحد منّا نزل في
الطريق وسابنا ومشى، أخذت الموضوع أنا وشعبولا بهزار وضحك، استلم الجنث،
الحطت في التلاجة الكبيرة ودي شرفة كبيرة جدًا كلها عبارة عن تلاجة، الحط فيها
الخمسة جنث مع جنث تالية مجهولة حوالي 10، مرصوصين على ترابيزات قريبة جدًا
من الأرض، والتلف الباب.

الساعة بقت سبعة الصبح، يلا يا شعبان أنا همشي وهاجي اشتغلهم بالليل على ما
يجي قرار النيابة، رد يا ريس طب متاخدني في طريقك لحد موقف السيدة عائشة
وهشام جاي أهه هيستلم مكاني، طيب هجيب حاجة من فوق، شعبان غير لبسه.
فضلت واقف معاه 5 دقائق، هشام جه وإحنا واقفين سلام وركبنا العربية ومشيت مع

الدولة بالحدود، على أن لا يخرج من حدودها، لأن الحدود هي
الحدود، والحدود هي الحدود.

والله اعلم بالصواب، فمن اعاد من هذا الكتاب ما كان عليه من قبل، فليعلم ان ما كان عليه من قبل هو الذي كان عليه من قبل.

لوجنت، وعضوان، وعضام، والشيوخ، وغيرهم من القادرين على كراسي فطوح الميادين، فقام
الجوابه الرئيسة المحترمة، وأنا محترم قبل ذلك بلاش القصد في عوقا من أي حد يرضى
بعض حاجة من الطرائك الجوه، أو مثلا يوافق في المشرعة، وقد مضى إلى عرش.

دعوات عازم بالحرية وسما قاعدين بدأت اشراهم بالكام على الكونك لحد ما
جروا على جود.

قلت، فبعد أن يهبط لي بذلك استهالة: أنا هنا من الساعة عشرة على فكرة.
عجلت مسرعة مش مشرقة مش.

الشيخ سعيد (و. ١٠٢٠) (المشرفة) معالي الرئيس شفت التي جعل امبارج؟

إيه اللي حصل يا شيخ سعيد؟

شعبان: ما أنت سامع أخيه أنا هنا من الساعة عفرة.

عملت نفسي بشوق حافية على الموبايل وطلت إليه يا شيخ سعيدة التي حصل؟ قال: كله
سأب المشرعة أمبارج وطلع ما عدا دكتور حازم.

94

المشرحة طول النهار صويت وتصفير وغبط طالع من التلاجة الكبيرة المتحدها طيش
حاجة ثقيل وبعد نص ساعة يشتغل ثاني لحد ما صدقنا كلنا والله يا ريس وكله طلع
ما عدا دكتور حازم. اسأله حتى.

اتصلت بحازم، إيه يا زوها إزيك؟

حازم: ازاينى إيه الله يخرّب بيتك على بيت مجايك.

مش عارف أنا من الصداق من ولاد ال*** اللي أنت جايهم امبارح صويت وتصغير
وخطب وخطب، أنت جايهم من شقة دعارة ولاد ال*** ولا إيه؟

فاصل ضحك. طيب أنا هدخل أشوف

غيرت بسرعة، لبست لبس الشغل. رايح أنا وشعبان للقاعة بحاول أفتح كلام أراضيه.
يقوله: هو بجد اللي الشيخ سعيد بيقله يا شعبولا؟

رد باستفسار: هو قالك إني جيت الساعة عشرة؟

يا أخي يلعن ميتتك آخر الليل خلاص سمعت

المشرحة هادية وزى الفل.

قولته: وهو فين الصريخ والخطب؟ رد باستهتار شوية وهتسمعه، قولته: أنت سمعته
بنفسك؟ قال: آه سمعته كذا مرة من ساعة ما جيت الساعة عشرة.

امشي يا شعبان أنا مش عاوزك تشتغل معايا، ووسط الضحك بدأت السيمفونية.

صراخ متواصل بدون توقف بصوت عالي ويشع يوتر الأعصاب، مع صوت حد بيصفر
بيوه صفير متواصل وأشياء كأنها بتترزع على الأرض تتكسر. الحاجات دي سمعناها كثير،
لكن كنا مثلا نسمع صوت صرخة واحدة نص الليل، ساعات ضحكة عالية، خطبتين ثلاثة
ورا بعض، لكن إنه يستمر نص ساعة متواصل بمستوى الصوت ده فعلا شيء ينفز
ويجيب صداق، طب اعملي قهوة بقا على ما يبطلو، نص ساعة كده هدي الصوت ما
عدا الخطبات، يلا يا شعبولا، روحنا فتحنا التلاجة، شعبان باستظراف، هاللا مين عاوزة
تيجي لعمو. الأول؟

محدث بيرد.

طب نهذا بقا، نهذا كده ونقول: إحنا هاديانين أهه، وشد أول واحدة أجنبية بترابيزتها،
ويلا بينا، لحظة ما قفلنا الباب. قبل ما يتقفل كله تقريبا الصوت اشتغل، بنفس التون،
صريخ ورزع، بصيت لشعبان اللي وقف مرة واحدة، فكرته هيقولي: نرجع الجثة
وصويت وخطب بس في الخلفية، لقيته بص للجثة بنظرة متفحصة وقالها: يبقى انتي
الي كنتي بتصفري يا بنت ال***.

بشرية تقريباً، وصلنا القاعة والصوت ينفجر طعناً وميضاً، كل نص ساعة تقريباً ينفجر كأم دقيقة ويحدثين يرجع بنفس البشاعة، شعبان حط الجنة على القوايرق، وبدأنا نشتغل.

الجنة الأولى:

«أنثى في قرابة الثلاثين من العمر، متوسطة القامة والبنية، ترتدي فستان سهرة أسود، يحلوه جاكيت خفيف وردي، شقراء وذات شعر قصير، الوجه والظهر عليهما سائل أحمر اللون. ثبت من الفحص أنها ليست دماء بشرية، وعموم الجنة خالية من أي إصابات كفيلة بإحداث الوفاة، وبها مسحات خفيفة بالوجه، والقم مفتوح ومعرج بشكل يبدو عليه العنف، وداخل القم مادة بنية اللون لزجة أشبه بالسكر المحروق. لم نستطع الفحص تحديد هويتها.

يخلع الملابس وإجراء الصفة التشريعية تبيناً وجود مظاهر عدم اهتمام تام بالعناية الشخصية، والتهابات فطرية بالمناطق التناسلية. وبالفحص الداخلي والتفريح تبين أن سبب الوفاة سكتة قلبية مفاجئة ربما نتجت عن صدمة عصبية، وانهايار عصبي شديد أدى إلى حدوث الوفاة، ولا يوجد أي شيء غير ذلك من إصابات خارجية أو داخلية أو أمراض، وبالفحص المعملي تبيناً آثار كحول بالدم ولا توجد أي مواد أخرى سامة أو مخدرة».

آدي واحدة، طول التشريح ومع كل حركة مشرط الصراخ يزداد قوة وعنف لدرجة أننا حطينا قطن في ودائنا عشان نقلل ضغط الصوت، خلصنا، خيطنا، قلت لشعبان متدخلهاش التلاجة الكبيرة، حطها في درج من الأدراج لوحدها على ما نشوف الليلة السودا دي، وهات الثانية اللي كانت جنبها على طول.

«الجنة لأنثى في منتصف الثلاثينات من العمر، بدينة نوعاً ما متوسطة القامة، شقراء والشعر متوسط الطول، ترتدي ملابس سهرة سوداء، والوجه مغطى بسائل أحمر لزج. ثبت من الفحص الطبي أنه ليس دماء بشرية ولا يمكن إزالته بسهولة، والقم مفتوح أيضاً بشكل غير طبيعي، وبداخله ذات المادة بنية اللون لزجة، لم نستطع تحديد هويتها وإن كانت أشبه بالسكر المحروق.

عموم الجسد خالي من أي إصابات ظاهرية؛ إلا كدمة بيسار الوجه دائرية الشكل يقطر (٢ سم) ربما نتجت عن ارتطامها بشيء، وبأقي الجسد خالي من أية إصابات كنية بإحداث الوفاة.

وبإجراء الصفة التشريحية تبيناً آثار سكتة قلبية مفاجئة ربما تكون ناتجة عن انهيار عصبي شديد أدى إلى حدوث الوفاة، وبالفحص المعملّي تبيناً آثار كحول بالدم ولا توجد أي مواد أخرى سامة أو مخدرة.

الصراخ بيزداد عنف في الخلفية والصداع والنفرة بتزيد، يلا يا شعبان في درج لوحدها، وهات الأجنبية الثالثة.

«الجثة لأنثى في منتصف الأربعينات من العمر متوسطة القامة والبنية شقراء، وطول الشعر متوسط، ترتدي ملابس سهرة سوداء دون ملابس داخلية، بها إصابات عبارة عن: سحجتين بيسار العنق متوازيتين، وسحجتين بالساق اليسرى، وكسور بعظام الوجه والفكين؛ أدت إلى تغيير مواضع الفم والأنف والعينين، وكل هذه الكسور دون إصابات خارجية مقابلة لها!!!!

كما تبيناً على الوجه ذات المادة للزجة حمراء اللون؛ ثبت أنها ليست لدماء بشرية، ولا يمكن إزالتها بالماء والغسيل، كما تبيناً الفم أيضاً مفتوح ومعوج، ويدخله نفس المادة بنية اللون للزجة لا يمكن تحديد هويتها تشبه السكر المحروق.

بالفحص التشريحي تبيناً سبب الوفاة سكتة قلبية مفاجئة نتجت عن انهيار عصبي وصدمة عصبية شديدة ولا توجد إصابات كفيفة بإحداث الوفاة، حتى كسور الوجه لم يصاحبها أي نزيف داخلي، وبالفحص الكيميائي تبيناً بالدم آثار كحول مع عدم وجود أي مواد أخرى سامة أو مخدرة» خيط وشيل يا شعبان وفي درج برضه على ما اشوف الشيخ سعيد يعمل قهوة، معدي من جنب الأدراج مفيش أي صوت منها، حتى من اللي اتحلوا منهم، والصوت البشع كله طالع من التلاجة الكبيرة، أفتح بابها يسكت، أقفله يشتغل! مينفعش أسيب الباب مفتوح عشان حفظ الجثث، بقيت أسكت وأجي فأنعه مرة واحدة وأقولهم بخ. برضه مفيش فايدةة. ميتين بصدمة عصبية يبقى عمر بخ ما هنجيب نتيجة معاهم؟

طلعت، لقيت الشيخ سعيد قاعد عن الباب وبيقرأ قرآن، قال: أنا قربت أخلص المصحف يا ريس وبرضه مش راضين يسكتوا، قولتله: أنت بقالك كام سنة هنا يا شيخ سعيد؟ قال: (٢٨ سنة) قولتله: مرت عليك حاجة زي دي؟ قال: آه تلت مرات ولسه هيحكى لقينا الصريح زاد جدًا، قولتله: طب اعملي قهوة على ما أشوف شعبان بيضربهم جوة ولا إيه؟ رحت لقيت شعبان واقف في نص القاعة وبيضحك، قولتله: أنت عملت إيه؟ قال: جيت الجنة الرابعة وضربت الخامسة بالقلم.

مبقيش عارف أقوله إيه ده؟ معاه شهادة معاملة أطفال، وواقف سعيد جدًا كأنه عمل مقلب في واحد صاحبه، بداننا الجنة الرابعة.

«الجنة لأنثى في العقد الثالث من العمر، طويلة القامة، متوسطة البنية، سوداء الشعر، والمادة الحمراء اللزجة مركزة كلها على العنق من الخلف، والشعر من الخلف وأعلى الظهر، حيث يبدو أنها كانت في حالة سجود، والفم يحتوي على ذات المادة البنية اللزجة الغير معروفة، وترتدي ملابس سهرة سوداء دون ملابس داخلية، وقد تبيّن بها ما يلي: عشرة جروح طعنبة بيمين العنق نافذة إلى الداخل، كل منها له طول مختلف، وعرض مختلف، وعمق مختلف، وشكل مختلف، بعضها خطي، وبعضها دائري، وبعضها يضاوي، وبعضها مستطيل، من المؤكد أنها أحدثت بواسطة أدوات حادة مختلفة الأبعاد والأشكال والأطوال، وليست أداة واحدة، والمتوفاة كانت في حالة حيض وعثرنا بالدم على نسبة عالية جدًا من الكحول، ولا يوجد أي مواد أخرى سامة أو مخدرة، وسبب الوفاة تلك الطعنات، وما أحدثته من إصابة الأوعية الدموية الرئيسية بالعنق، وإصابة القصبة الهوائية والمرى، مع نزيف داخلي أدى إلى الوفاة» خييط وشيل يا شعبولا في درج لوحدها وهات الأخيرة النهار هيطلع خيلنا نخلص.

الشيخ سعيد كان جه وإحنا شغالين ماسك القهوة في إيد، والمصحف بإيد وبيقرأ بصوت عالي ومفيش فايدة، قعدت أشرب القهوة في الكوريدور وشايف شعبان جاي جايب الجنة الخامسة، وبرضه بيضحك ومش عاوز يجيب عينه في عيني ومش عارف هو عمل إيه جوة! فضلت أضرب كف على كف ودخلت وراءه، الصوت وقف لما الشخ سعيد قفل المصحف، وطلع وعلى وشه ابتسامة رضا وحاسس إنه التمر عليهم بالنقوى والصلاح بتاعه، وأنا قولتله الله ينور يا شيخ سعيد، وابتسامته تزداد انساعًا وثقة، وماشي

في خشوع ولا كأنه الشيخ ميزو وهو ماشي، ومرضيتش أقوله إن الصوت وقف أسان في التلاجة عشان طلعتاهم كلهم ومبقاش حد جوه، سييته يطلع المسرح.
نكمل...

«الجثة لأنثى قرابة العشرين من العمر، متوسطة القامة والبتية، ذات شعر أسود قصير، بملابس سهرة سوداء دون ملابس داخلية، والمادة الحمراء مركزة أيضًا على الشعر من الخلف، والظهر كونها كانت في حالة سجن، ونفس المادة البنية الغير معلومة موجودة في الفم، كما تبينًا بها جرح ذبحي عميق ييسار الوجه والعنق يمتد من أسفل الأذن اليسرى مباشرة، وحتى أسفل العنق محدثًا إصابات بالأوعية الدموية الرئيسية وهو سبب الوفاة، باقي الجثمان به إصابات عبارة عن قطع حاد في الأعضاء التناسلية أدي إلى تشويهها والمتوفاة في حالة حيض».

خُيَظ وشيل بقا يا شعبان وفي درج وحدها لحد ما نشوف إيه القصة الجامدة وراهم. الأدراج عندنا بيتحط كل جثة في درج، والدرج عريض عشان يسمح بدخول الجمالة اللي عليها الجثة فبتدخل الجثة بالجمالة بتاعتها وتطلع برضه بيها.

اتغسلوا واندفنوا على الطريقتين الإسلامية والمسيحية كل حسب ديانتة. الشيخ سعيد بيقول إنه لما نزل الثلاثة الأجانب في مقبرة لوحدهم وقفل بالأسمنت الصريخ اشتغل. ونفس الوضع حصل مع الجثتين التانين، والخمس جثث موجودين في مقبرة صدقة كبيرة بباب واحد متقسمة جزئين؛ جزء على اليمين للأخوة المسيحيين في توابيت، وجزء على اليسار للمسلمين في الأكفان فقط والدفن فوق سطح الأرض.

وبعدها ابتدا البحث والتفكير وربط المعلومات، لحد ما وصلت لشيء لا هو علمي ولا منطقي ولا ينفع يتكتب في تقرير أسان، مش هضحك على نفسي وأبرر لنفسي أكثر من كده، واضح إن دي كانت جلسة بطقوس معينة، ربما تكون عبادة شيطان أو تحضير أرواح أو سحر كابالا أو شيء بهذا الشكل.

بنات اقرا وأبحث عن نوع السحر اللي يستخدم الزنبق، لحد ما وصلتله، مكتوب بالحرف الواحد ما يلي: السحر الأسود وهو أعنف درجات السحر يبدأ بسحر التمايم، والتعويذات على عظام حيوانات، وهو سحر قوي يفوق كل درجات السحر السفلي،

عليه ثمانم وتعويدات على عظام آدمية، وهو من أعنف أنواع السحر المعروفة في العالم. ويملك صاحبه قوة خرافية مهولة. وأقصى درجاته وهو السحر الزئبقي وهو نوع من السحر الداوودي، ويتم باستخدام الزئبق الأحمر النقي، أو الزئبق الفضي المخلوط حيث تكتب بها الثمانم بعد الطقوس، وهو أعنف درجة سحريه عرفها عالم السحر الأسود حتى اليوم، ويشترط أن يملكه شخصين معا وليس شخصا واحدا، ويكون لذيها قدرات تمكنهما من هزيمة جيش بأكمله دون أن يتحركا من مكانهما. ولكن أي خطأ في الطقوس أو الثمانم يؤدي فورا إلى موت الجميع دون رحمة. حاولت أبحث وجبت كتب كثير جدا، ومواقع كثير جدا عشان أوصل لإيه الخطأ اللي ممكن يحصل، ولو الخطأ ده حصل، إزاي بيموتوا دون رحمة؟ وكنت دائما بلاقي باب مسدود ومفיש أي توضيح أو تفسير لحد النهارده. اللي وصلته بس إنه موجود في غينيا والنيجر في أفريقيا، وفي بعض دول أمريكا الجنوبية اللي منها البنات فعليا، وإن عدد من يمتلكوا طاقته على مستوى العالم لا يتجاوز عشرة أفراد، ولا يمكن توريثه بالعهود.

التقرير اتكتب بعد كام شهر ينتفس البيانات بتاعة الإصابات اللي فوق دي، دون تفسير أو توضيح لكيفية حدوث الواقعة، أو إجابة الأسئلة اللي ملقيتهاش إجابة، واتساب فيه الباب مفتوح لأي شيء يظهر بعد كده، وتم حفظ القضية واتقيدت ضد مجهول، وما زالت من أكثر القضايا غموضا في تاريخ مصر، إن لم تكن أولهم. ومظيرش أي شيء جديد لحد النهارده. إلا شيء بسيط.

إن بعد شهور تقرب من السنة، جالنا استخراج جثمان اندفن في مقابر الصدقة من سنة ونص؛ عشان بعد سنة ونص ظهرت أدلة إن مماتش طبيعي وممكن يكون اتسمم، والسموم بنلاقيها ولو بعد عشر سنين. مقابر الصدقة كل قين وقين لما بيندقن فيها حد، ويتفضل مقفولة بالشهور وساعات بالسنين، المهم أخذت شعبان والشيخ سعيد ورحنا نعمل الاستخراج. افتكركنا القصة دي وإحنا في الطريق، وفضلنا نضحك، شعبان اعترف لي إنه لما ضرب الجثة بالقلم كان عشان لقاهم حاضنين بعض، والشيخ سعيد قال إن مقابر الصدقة متفتحتش من يومها، وصلنا، مفيش صوت صريخ ولا أي شيء، فتح القفل، وكسر الأسمنت اللي حوالين الباب، نور كشاف ودخلنا، كل جثة بيقي محطوط جنبها كرتون عليه بياناتها ومربوطة بالكفن بتاعها، طلعتنا الجثة المطلوبة وكانت عبارة عن هيكل عظمي. أخذنا العينات من البقايا ومن الكفن ومن التراب اللي تحت الجثة عشان

ندور على السموم المترسبة، رجعتناها مكانها، هدوء رهيب، قلنا نبص على الثانيين وكان الفضول هي موتنا، دخلنا غرفة المسيحيين لقينا تابوت في هيكلين عظيمين حاضنين بعض التابوت فيه هيكل واحد متكوم كله في ركن، وتابوت فاضي، وبدون كلمة رحنا الغرفة المسلمين لقينا هيكلين حاضنين بعض وملقوفين بكفن واحد والكفن الثاني فاضي، بمقتضى الهدوء طلعتنا، محيطناش حتى غطيان التواييت عليها، الشيخ سعيد قفل، وحط الأسمنت. وبتحرك، الصوت اشتغل، نفس الصوت بتاع أول مرة في المشرحة، مشينا سرحان أنا والشيخ سعيد، وشعبان بيضحك.

بعد كده عرفنا من حارس المقبرة بالصدفة إن مقبرة الصدقة كل كام شهر بيطلع منها نفس الصوت بالليل، ويختفي فترة طويلة ويرجع، الجيش الخمسة موجودين بمقبرة الصدقة، مقابر الغفير، السيدة زينب، القاهرة.

الحكاية التاسعة عشر

أثارتني نقاش عن تناسخ الأرواح وتلبس القرين لشخص، فقررت كتابة هذه الحكاية، ربما يزيد الأمر تحقيقًا ظهور روح تبحث عن الجنة وتسلمك صك الإدانة وترحل.

الزمان: سبتمبر ٢٠١٦.

المكان: بين مدينة ٦ أكتوبر ومشرحة زينهم.

التوقيت: الثانية صباحًا بتوقيت مشرحة زينهم.

في الواحدة ليلاً دار هذا الاتصال.

- الووو، ازاي حضرتك يا معالي الدكتور.

- أهلاً وسهلاً مين معايا.

- أنا ***** عضو مجلس النواب عن دائرة ٦ أكتوبر.

- أهلاً بيك، خير.

- أنا بعذر والله عن الاتصال متأخر بس عندنا (٣ حالات وفاة) ماتوا في حريق طلعتناهم

مذكرة تشريح وعاوزين حضرتك عشان ندفنهم

- أولاً البقاء لله، بس أنا مش هقدر أنزل غير الصبح وأوعدك هنشغلهم الصبح على

طول

- يا دكتور عشان خاطري دول أقارب شخصيين.

- والله على راسي بس فعلياً مش هقدر أتواجد غير الصبح.

- دول (٢) إخوان وكانوا لوحدهم وأمهم في الحج وأبوهم متوفي، والبيت ولع بيهم والحالة مأسوية والله.

- أممم، طيب حضرتك جيت رقمي متين؟

- قالي: من واحد عندكوا هنا في المشرحة معرفش اسمه.

- شكله إيه طيب؟

- والله شكله غريب كده متعرفش توصفه.

- عرفته، قوله بيقولك: دكتور محمد جهز الحالات عشان هيبجي يرفعك معاهم.

- رد يعني إيه يا باشا؟

- قولته قوله: بس كده وهو هيفهم دي حاجة عندنا في الشغل هو فاهمها.

- أشكرك يا معالي الباشا، في انتظار حضرتك.

- بإذن الله، مع السلامة.

- مع السلامة.

متعرفش توصفه، هو شعبان ابن ***، وهروح أطلع ميتين أهله، أنا لسه هستني لما أروح.

- ألوازيك يا معالي الرئيس، صحيت ليه إنت مش قلت هتنام؟

- مين ادي رقمي لبتاع مجلس الشعب يا شعبان؟

- والله يا معالي الرئيس دنا جت حالات وقلت مش هكلمك عشان إنت هتنام، إيه صحاك بس!

- بصوت أعلى؛ مين ادي رقمي لبتاع مجلس الشعب يا شعبان؟

- أنا طبعاً يا معالي الرئيس، بس قولته: إنك هتنام.

- إنت ابن *** يا شعبان.

- صحيح يا معالي الرئيس.

- وهاجي أطلع ميتين أهلك.

- تسلم يا معالي الرئيس.

- بانفعال أكثر، وهاجي أحولك للتحقيق يا شعبان

- يعني هتيجي في انتظارك يا معالي الرئيس

- قفلت، وأنا بتنظط من برود أهله.

لبست ونزلت، طائر على الطريق، في ربع ساعة كنت هناك.

شعبان يفتح باب المشرحة الكبير الخارجى عشان أدخل العربية، دخلت بعنف وتعمدت أخبطه وأنا داخل بجانب العربية، ابتسم وقال: تسلم عربيتك يا معالي الرئيس.

مش هنزل أفشخه قدام الناس أكيد، ركنت، راح جري فتح الباب المصفح، دخلت وقفتله، دخل وقفل الباب ولف ليا، وقال: اضرب يا معالي الرئيس، اضرب عشان أعملك تقرير طبي وأوديك في ستين داهية، اضرب.

فقدت السيطرة وهيسستيريا ضحك، وهو بيقول: أصلك بتوحشني يا ريس.

طلعت المكتب، غيرت هدومي، ونزلت، شعبان مقابلني بالقهوة ويضحك!

دخلنا القاعة، الجثث الثلاثة على ترابيزات

ثلاث جثث، بنت كبيرة وولدين صغيرين. واضح إن الولدين إخوات، وواضح إنهم ماتوا في مكان الواقعة؛ لكن مش بالحرق؛ بل بالاختناق! إنما البنت واضح إنها اتعرضت لحروق شديدة جدًا، أخذت جسمها بالكامل تقريبًا، أوك، بصيت لشعبان اللي مش طايقه، وقولتله بأرف: يلا يا أخويا، رد بنفس البرود شرف ليا معالي الرئيس.

بدأ شعبولا يجهز الجثث وأنا بقرا مذكرة النيابة بسرعة، ملخص الحادثة إن جه إخبارية باشتعال النار في أحد المنازل، وإن سيارات الإطفاء بدأت بسرعة التعامل وبعد انطفاء النيران تبين إن الأخت الكبيرة محروقة بالكامل وجثتها متواجدة على باب غرفة محرق، واضح إنها دخلت الطفلين للغرفة أثناء الحريق ووقفت عند الباب تحاول تطفي النيران

بيطانية لكن النيران التهمتها، وتم إخماد النيران قبل وصولها لجنة الطفلين ولكن للأسف كانوا ماتوا بالاختناق. تقرير الأدلة الجنائية قال: إن السبب تسرب غاز واشتعال نيران من المطبخ انتشر لعموم الشقة، وكمان واضح من الأبواب إنها مغلقة جيداً من الداخل وإن مكانش فيه أي دخول غير شرعي يشير إلى شبهة جنائية، وإنهم هيكملوا الفحص فيما بعد.

(ويدأنا الريكوردينج)

«الجنة لأنثى (١٦ سنة) متوسطة الطول زائدة الوزن بشكل نسبي جسمها مغطى بالحروق بدرجاتها الثلاث، وبعض الأجزاء واصله لدرجة التفعم، يظهر من الحروق أنها حيوية، أي تمت أثناء حياة المجني عليها. ولا توجد أي إصابات أخرى ظاهرة خارجياً. بإجراء الصفة التشريحية تبينا آثار ترسب كربون في الجهاز التنفسي وهذا يؤكد استنشاقها للدخان الشديد قبل وفاتها، وأن الحروق على جسدها حيوية، عدا ذلك لم نبتين أي شيء غير طبيعي، إلا كدمة مستطيلة الشكل في مؤخرة الرأس، من الممكن أن تكون حدثت جراء سقوط على الأرض، وكذلك لم تؤد إلى أي نزيف داخلي ولا دخل لها بإحداث الوفاة. وتُعزى الوفاة إلى صدمة عصبية شديدة نتجت عن إصابات حرارية بدرجاتها الثلاث وواصله لدرجة التفعم في بعض الأجزاء مما أدى إلى توقف المراكز الحيوية بالمخ عن العمل وحدوث الوفاة»

- خيط يا زفت.

- أولمرك يا معالي الرئيس.

- قولي يا شعبان: هو إنت ميتحسش؟

- هو أنا مش قايلك أنا تعبان يا شعبان هروح أناام ومتصحنيش أبداً!!! إلا لما أصحى! قال: حصل، وأنا فعلاً عملت اللي قولتلي عليه يا معالي الرئيس.

- قولتله: حلوه ليه بقا اديت رقمي للراجل؟ قال: يابتسامة عريضة، مش عارف.

- پس ممكن يكون عندي نقص في الإحساس يا معالي الرئيس.

- قولتله باستنكار: ممكن؟

- قال: أمي الله يرحمها كانت دائما تقولي: إنت جبلة. أه والله يا معالي الرئيس.

- طب يلا، الجثة الثانية يا جبلة، أبدًا.

(ريكوردينج الجثة الثانية)

«الجثة لذكر يبلغ من العمر حوالي (٧ أعوام) متوسط القامة والبنية لمن في مثل سنه، يبدو على وجهه مظاهر الاختناق بأول أكسيد الكربون مع زُرقة سيانوزية بالشفاه والأظافر، والرسوب الدموي بلون أحمر في خلفية الجثة والتعفن الرمي لم يتضح ظاهريًا بعد، بإجراء الصفة التشريحية، تبينًا آثارًا للكربون والفحام مترسبة في ممرات الجهاز التنفسي، ويعمل الفحص الكيميائي تبينًا حالة التسمم بأول أكسيد الكربون، وتُعزى الوفاة إلى التسمم بأول أكسيد الكربون مما أدى إلى توقف المراكز الحيوية بالملخ عن العمل وحدوث الوفاة.

- خيُط يا بيه، عنيا يا معالي الرئيس».

(الجثة الثالثة)

كيوت خالص، لا حول ولا قوة إلا بالله.

(ريكوردينج)

«الجثة لذكر يبلغ من العمر (عامًا وبضعة أشهر) عارٍ الملابس، يرتدي فقط حفاضة طبية للأطفال ويظهر عليه آثار الاختناق بأول أكسيد الكربون، والرسوب الدموي بلون أحمر بخلفية الجثة وبالصفة التشريحية تبينًا آثار ترسب الكربون والفحام بالجهاز التنفسي، وتُعزى الوفاة إلى التسمم بأول أكسيد الكربون مما أدى إلى توقف المراكز الحيوية بالملخ عن العمل وحدوث الوفاة».

تمام، خيُط.

كده كله تمام، ثلاث حالات في ساعة إلا ربع وبارك الله فيما رزق.

غيت هدمي وركبت عربيتي، بصيت لشعبان وابتسامته العريضة بأرف، لحد ما طلعت من المشرحة وافتححت في الضحك وهو ماشي ورا العربية يقول: أحلام سعيدة يا معالي الرئيس.

لحد كده أحداث عادية جدًا، وحالة منتية تمامًا.

(٢ إخوان) أمهم في الحج، حصل حريق في بيتهم، ماتت أخت محروقة والأتين الصغرين اختناق، الأدلة الجنائية قالت: مبدئيًا إن مفيش شبهة وإنها هستكمل التقرير، والموضوع منتهي.

لحد بعد الواقعة بيومين تقريبًا، الواقعة كانت ليلة الجمعة ودلوقتي الأحد العصر، أنا في المكتب، والأمن بتاع البوابة الرئيسية بيتصل بييقول: إن فيه ست تحت منتقبة وقصرة تقابلني. سألتهم مين؟ قالت: أم الأولاد اللي ماتوا في حريق من يومين، قتلهم؛ دخلوها وحده يجيبها لي.

الباب خبط، ودخلت الست، مش منتقبة ولا حاجة، متوسطة القامة قمحية البشرة محجة وأكثر شيء كان مميز فيها إن فيه عين ثابتة مبتتحرکش وبالتدقيق اكتشفت إنها عين زجاجية، محطيتش في بالي.

قولتلها: أولا البقاء لله وحمد لله على السلامة حضرتك، رجعتي مكملتش الحج؟

قالت: أه مقدرتش أكمل. أنا كنت بعج عن زوجي المتوفي من كام شهر في حادثة، كانت متباسكة نوعا، قولتلها: طيب أؤمريني فيه أي حاجة ممكن أقدمها لحضرتك؟ قالت: أه، كثير، قولتلها: تحت أمرك، عاوزة إيه؟ قالت: تصدقني! بصيتها باستغراب وقولتلها: وهو واحدة في ظروف حضرتك هتكذب ليه أساسًا؟ قوليلي بس اللي عاوزاه، لسه هستكلم؛ دخلت أم عاطف تشوفها هتشرب إيه، بالحاح طلبت مية بس، قولتلها: قولي أنا سامعك، ردت بكل هدوء، ولادي ماتوا مقتولين! كلمه ببقى غالبًا متعود أسمعها في الحالات المشابهة، فقولتلها بكل هدوء: طيب حضرتك عندك دليل على كدة؟ قالتلي: أه، حلمت بيهم وأنا في مدينة رسول الله، قولتلها: عليه الصلاة والسلام، مش عارف أقولك إيه بس؟؟ إيمانك شيء، والأدلة الحقيقية شيء، وبدأت محاولة إنهاء اللقاء، قلتها عموما أنا لسه بجهز التقارير ولسه الأدلة الجنائية مكملتش تقريرها وربنا يسهل، شربت من

كوباية الحية اللي قدامها، وقالتلي بكل هدوء، وبالعينين ثابتين المودة دي وبصوت عميق:
حق ولادي في رقبته، وأنا هرجعك ثاني لما أعرف إيه اللي حصل بالظبط، لأنني حاية من
المطار عليك، وسابتني ومشيت من غير ولا كلمة.

قضت ساكت شوية وأنا بتخيل كم المعاناة الرهيبة اللي بتعمر بيها الست دي زوج
متوفي من شهور، راحت تعمله حج، فرجعت ولادها الثلاثة ميتين، حاجة معيبة، حاجة
تجنن، مشغلنيش الموضوع كثير، خلصت شغل. ورايا شغل كثير لازم يخلص عشان
مسافر، وهيات في الشغل النهارده.

الساعة تسعة بالليل، اتصال ثاني من أمن البوابة بيان فيه ست مصرة إن فيه معاد معاهما
دلوقتي، وهما بيكلموني أخذت الساعة وقالت: يا دكتور أنا مامت الأولاد اللي ماتو
معروفين وجيتلك النهارده، قولتلها: أهلا بحضرتك بس هتأذنك تجيلي الصبح. قالت:
أنا جاية عن سفر النهارده زي ما قولتلك وتعيانة مش هاخذ من وقتك غير دقيقة
واحدة، طيب، اديني الأمن، أيوه يا محمود، مين عندك من الستات؟ قال: مدام مني،
قولتله: طيب خليها تطلع معاهما.

دقايق وأنا في المكتب لابس تريننج سبور الباب بيخبط مدام مني، دخلتها واستنت بره،
من غير ما أتكلم قعدت وقالت: عرفت اتقتلوا ازاي! قولتلها بهدوء ازاي؟ قالت: للأسف
أخويا اللي قتلهم، حسيت إنها بقيت مريضة نفسية والموضوع بدأ يوسع منها، وفي
الحالات دي مينفعش تهاجمهم أبدًا، لازم تطببط عليهم، قولتلها: ممكن تهدي بس،
انتي عارفة إن بعد أي حادثة كبيرة أو صدمة بنتعرض ليها بيبقى بعدها فيه اختلال
عصبي لجسمنا بيخلينا نتخيل حاجات مش حقيقية، وحاولت أقنعها أكثر قولتلها: أنا
نفسي تعرضت لحالات زي كده وكمان، قطعت كلامي بكل ثقة وينفخ الصوت العميق،
والعينين ثابتين تمامًا مبيرمشوش مش العين الزجاجية بس وقالت: بقولك: أخويا اللي
قتلهم، ووقفبت بحركات تمثيلية. وقالت: كان واحد مخدرات، راح قالهم: إنه جاي بطمن
عليهم، وبعدين قالهم: هيات معاكم، وحاول يسرق المجوهرات من أوضة تومي، بنتي
الكبيرة شافته، قالتله: إنها هتقولي: خبطها على راسها من ورا بفازة وقعت على الأرض.
وحاولت تزحف عشان تروح عند إخواتها، وهو مش عارف يعمل إيه!! راح قطع خرطوم
الغاز وولع كبريت ورماه وخرج من شباك المنور اللي على السلم الخلفي وقفله وراه

ومشي، البنت حاولت تحمي إخوانها النار مسكت فيها، ماتت محروقة، وإخوانها متو
مخوفين، أنا قولتلك وحققهم في رقبتك، وجات ماشية، مدام مني أخذتها ونزلت.

سكت، وعندي يقين إنها مقتنعة بالهلاوس اللي شايفهاها، رغم إنها رواية منطقية جدًا
تفسر الغاز اللي جاي عن المطبخ. وإن الباب مقفول من جوه، بس مجرد هلاوس.

طلعت ملف القضية أقراء، قعدت أقلب في الورق، فضلت أقلب في الورق ورقة بعد
ورقة، لحد ما عيني اتسمرت مكانها، من كلمة أنا اللي كاتبها بخط إيدي في ورقة
التشريح، كدمة دائرية الشكل بقطر ٣ سم بخلفية الرأس لم تؤد إلى حدوث كسور
بالجمجمة أو نزيف داخلي، ويرجح لأنها بسبب السقوط على الأرض.

فضلت أبص للجمجمة وأفكر كلام الست الهادي الوثاق عن أخوها اللي ضرب بنتها بفازة
في رأسها من وراء، معقول؟

رجعت لورا في الكرسي وأنا بضحك، هتشتغل بالأحلام ولا إيه يا أبو حميد، وهتكتبليهم
إيه في التقرير!

(يحلم بيك أنا يحلم بيك)

أنا، كملت كتابة، دخلت الاستراحة غمت ومفكرتش في شيء، لكن الست كلامها
ميروحش من بالي، قمت الصبح، كملت نيابة أكتوبر، سألت القضية دي مع مين من
البهوات؟

قال: مع إسلام بيه، تمام، كملت إسلام بيه، إيه يا باشا اخبار القضية دي؟ قالي: متريحش
خالص يا دكتور والله، قلبي بدأ يدق، إيه بس؟ قال: الأدلة الجنائية جابت تقرير تكميلي
بتقول: (إن خرطوم الغاز مقطوع بآلة حادة، وإن الحادث بفعل فاعل). كأن صاعقة
نزلت على رأسي! كمل الكلام، وكمان فيه درج مكسور في دولاب غرفة النوم وعلبة
مجوهرات قاضية وفازة مكسورة، فيه قلق كده، هو بيتكلم وأنا في عالم ثاني، تفتكر يا
دكتور حد من الأولاد اللي قطع الخرطوم؟ رديت بسرعة لأ، الأولاد الصغيرين قوتهم
أضعف والكبرة أعقل من إنها تعمل كده. قالي: عموماً هنستنى لما أمهم تيجي من
الحج وهمحل كل اللغز ده، قولتله: أمهم جت امبارح وجاتلي المكتب. قالي: مجاتش

عندنا. يبقى غالبًا هيجيبوها النهارده. قولته: طيب أنا هروح أبص بصة على البيت كده. أنتو سايين عليه حراسة؟ قال: آه طبعًا. سلام سلام.

قفلت ومعدل دقات قلبي فعليًا وصل ١٥٠، الست دي عرفت مين؟ هل راحت الشقة مثلاً وتخلت اللي حصل؟ هل أخوها اعترف لها؟ ولا إيه بالظبط!! نزلت ركبت عربيتي وطلعت على ٦ أكتوبر، أخذت العنوان في الطريق من المباحث وعرفتهم إني رايح. على باب الشقة اللي في الدور الأول علوي، قابلت طقم الحراسة، كان أول سؤال سألته، هو فيه حد جه دخل الشقة. قال: لا يا ريس محدش دخل غير المباحث والنيابة، متأكد؟ طبعًا يا ريس ممنوع حد من الأهالي يدخلها أصلاً ولسه بالشمع الأحمر أهه، اتأكدت من الختم على الشمع. فكيتته ودخلت، ريحة الدخان واللحم المحترق لسه في كل مكان، دخلت أول غرفة متفحمة. الغرفة الثانية نصها بس المتفحم، واضح إن دي اللي كان فيها الأطفال، واضح من اللعب الموجودة على الأرض. الغرفة الثالثة غرفة نوم الأم، الدولاب مفتوح، واضح إن فيه درج مكسور، وأمين الشرطة قالي: إنهم أخذوا علبة المجوهرات والغاية يمكن يلاقو بصمات رغم إن تلت أرباعهم محروق. دخلت المطبخ، تفحم كامل، تركيزي على حاجة واحدة بس، شباك المنور، لقيته متفحم، وقفت على حاجة فتحته، بيبض على المنور، المسافة للأرض حوالي ٦ متر، صعب شوية النط منها لكن ممكن والشباك واسع يخرج حد بمنتهى السهولة، مشيت أكثر ارتباكًا من قبل ما آجي، ازاي واحدة تشوف في حلم طريقة قتل أولادها وبالدقة دي!!! بالتفصيل ده!!!

رجعت المكتب، طلبت غدا وأكلت، الساعة أربعة العصر تقريبًا لقيت اتصال من إسلام بيه، قالي بسخرية: أم مين يا دكتور اللي جاتلك. قولته: (أم ٤٤) ليه؟ قالي: كنا بعتنا خطاب لبعثة الحج عشان يهتموا اهتمام مضاعف بالست دي للظروف اللي بتمر بيها، وإخطارنا بموعد رجوعها، جالتنا فاكس حالا، إن الست دخلت في انهيار عصبي ليلة الجمعة فور علمها بالخبر، ودخلت مستشفى سعودي وتوفيت الجمعة بعد الظهر، وتم إنهاء الإجراءات وحجز شحن الجثمان اللي هيوصل للمطار النهارده الساعة (١٢) بالليل، وهيطلع عندكوا على المشرحة عشان تعملولها شهادة وفاة، سكت، وبعدين قولته: أكيد حد قريبهم وقال: إنه أهمهم، قفلت وأنا في حالة صدمة، ويحاول أقنع نفسي باستماتة إن اللي جت قريبتهم. شوية تفكير، اتصلت تاني بإسلام بيه، قولته: معلى ادبني الاسم والرقم القومي بتاع الأم كده، قالي: يا عم بقولك: ماتت في السعودية، قتلته

معلش، اداني الرقم والاسم، اتحركت على الأمن قابلووني بترحاب جميل، نورت الإدارة يا ريس، سألت مين كان هنا لما الست جاتلي امبارح الساعة ٩ بالليل؟ قالوا: محمور وعصام، طب هاتوا كشف الدخول.

دورت في كشف الدخول على المعادين اللي الست جت فيهم، أي حد بيدخل بيتاخذ إثبات شخصيته ويتثبت بياناته، الأحد عصرًا، الاسم والرقم القومي متاخذين من جواز سفرها ومتطابقين تمامًا، الأحد ليلا، الاسم والرقم القومي متاخذين من نفس الجواز متطابقين تمامًا، مشيت مش مركز إطلاقا، وبحاول أقنع نفسي إن حد قريبها هو اللي كان معاه باسبورها ودخل بيه، بس باسبورها ازاي وهي مسافرة وأكيد جواز سفرها معاه، هتجنن!

طلعت على المكتب، طلبت قهوة، أم عاطف الست الجميلة جاية بتضحك، ويتقول: إيه يا دكتور محمد هي الست اللي كانت عندك دي بتعط إيه؟ ماية ناراً قولتلها: وأنا مش مركز ست مين؟ قالت: اللي جاتلك امبارح ومرضيتش تشرب غير مية، انتبهت فجأة، قولتلها ليه بتقولي كده يا أم عاطف؟ قالتلي: بص، وطلعتلي الكوباية، مكان شفايفها معلم مكان الشرب بشكل أبيض تام كأنه لبن.

وأم عاطف بتكمل وتقول: غسلتها (١٠٠) مرة بكل حاجة مش راضية تطلع أبدًا!! شكلها غريب فعلاً كأنه دهان أبيض، اديتها لها بذهول وأنا بقولها كانت ناقصاكي يا أم عاطف، ضحكت وخرجت، وهي على الباب سمعت صوت حاجة بتتكسر، طلعت بسرعة لقيت أم عاطف بتلم إزاز، ويتقولي: أسفه والله يا دكتور الكوباية انكسرت، وكملت وهيا بتضحك، كده كده مكافتش نافعة أساسًا، دخلت شربت قهوة، دماغني هتشت من التفكير.

دخلت الاستراحة، حاولت أنام ساعتين معرفتش، (٢ ساعات) بتقلب على السرير مش عارف أنام من التفكير، ومنظر الست مبيوحش من بالي إطلاقا. الساعة بقيت ثمانية وشوية بالليل، ليست ونزلت المشرحة أستنى الجثمان، وقلبي بيدق، لقيت إشارة فعلاً من النيابة إن الجثمان ميوصل الساعة اتين بالليل، فضلت هستني، قهوة هورا قهوة، شعبان بيرغي وأنا مش فايق ليه، والشيخ سعيد قدام بيقتنع واحدة اسمها مدام هدى إنه بيحط على الأكفان مسك الرسول، رغم إن أزابز كولونيا خمس خمسات مالية الأوضة

بتاعته، مكانش ليا نفس أضحك، الساعة اثنين وربع، جه الجثمان، ومع الجثة أخوها،
أخوها؟!!!! دخلوا الجثمان، أخوها جه على الشباك، اداني جواز سفره وجواز سفرها،
سألته إنت كنت معاها في الحج؟ قال: آه، لكن رجعت قبل عرقة أجيب جثمانها، ملناش
نصيب، قولتله: إنتوا ليكوا إخوان تانيين؟ رد قال: أخ واحد ربنا يهديه عنده (١٩ سنة)
ومطلع عينا، قولتله: مكانش معاكوا في الحج؟ قال: لأ، سينا هنا، دقات قلبي بتزيد،
قولتله: ليكو أي قرايب تانيين؟ قال: إحنا الثلاثة مالناش غير بعض مقطوعين من شجرة
لا أب، ولا أم، ولا خال، ولا عم، واهو بقينا اتين، سيبته ودخلت أناظر الجثمان قبل ما
أوقع شهادة الوفاة، بقرب من القاعة ودقات قلبي بتزيد بعنف، دخلت، الجثمان
ملفوف في أكياس وقماش، ومحمد، فتحت الأكياس، شيلت القماش وبصيت على وشها،
يا الله، هيا الست اللي جاتلي!!! لابسة إسدال صلاة ونائمة في خشوع، ملامحها هادية
رغم إنها مجمدة من ٣ أيام!! حسيت إني دايع، سندات على الترابيزة، مديت إيدي،
فتحت عنيتها، بهدوء. دقات قلبي تجاوزت الـ (٢٠٠) من اللي حصل. وفجأة لقيتها
ابتسمت ابتسامة عريضة جدًا جدًا حتى بانت كل أسنانها لحظة ما فتحت عنيتها، نقيت
واحدة فيهم عين زجاجية ومكان عملية قديم، والثانية سليمة، أخذت خطوتين، شديت
كرسي، وقعدت، خلّيت شعبان صورها، دقايق وطلعت لأخوها، قولتله بكلام متقطع
عنيتها، قالي: آه كان فيه عين فيها كانسر ومتشالة من ٥ سنين ومكانها عين إزاز، حركت
راسي ومشيت، مضيت شهادة الوفاة وطلعت.

منمش طول الليل، وصوتها في ودي، حق ولادي في رقبتك، وهشيت إزاي إن أخوها اللي
قتلهم؟ هقولهم إيه؟ جاتلي في المنام، ولا جالي الإلهام؟! الساعة بقت سبعة الصبح،
انتظرت فجأة، افكرت حاجة، عندنا كاميرا واحدة مسلطة على بوابة المبنى الرئيسية
من الداخل. بتصور بس اللي داخل واللي خارج، مقيش أي كاميرات تانية، هشان
مينفعش يكون فيه أي كاميرا داخل المبنى، لبست ونزلت بسرعة، سألت مين مسئول
عن الكاميرا؟ قالوا: مهندس ياسر، اتصلت جيبته في نص ساعة، فتح تسجيل الكاميرا،
شفت معادين دخولها المسجلين في دفتر الدخول يوم الأحد، المعاد الأول البوابة بتتفتح،
محدث بيدخل، بعدين البوابة بتتقفل، بعد ربع ساعة البوابة بتتفتح ثاني وتقفل من
غير مخلوق ما يظهر، المعاد الثاني البوابة بتتفتح، بتدخل (منى) لوحدها، وبعد عشر

دقائق بتخرج (منى) لوحدها، مفيش مخلوق دخل معاها ولا خرج، جبت (منى) سألها فاكدة الست اللي طلعتها بالليل؟

قالت: أه دي ست غريبة، قولتها: غريبة ليه؟ قالت: بكلمها مبتردش عليا ولا بتبصلي حتى!! وريتها الفيديو. بلّمت قدامه، قالت: ازاي ده!! واقفتحت في العياط. واضح من الفيديو إن منى بتحاول تكلم فراغ موجود جنبها، هديتها. وهي بتقولي يعني دي كانت شبح؟ هديتها، فهمتها إن تقفل الموضوع ومش عاوز أسمعها تاني، طلعت المكتب، الساعة عشرة اتصلت بإسلام بيته، قالي: كنت لسه هكلمك، تقرير الأدلة الجنائية جه بالليل إن بصمات خال العيال على علبة المجوهرات والفازة واعترف في المباحث إنه هو اللي ولع في البيت، وضرب بنت أخته بالفازة على دماغها، قولتله تمام وقفلت، دخلت الاستراحة، قفلت، وحالة انهيار على السرير، حالة ما بين الإيمان واليقين والثقة في الله والحمد والشكر والفرح والحزن والبكاء والضحك، حالة لا يمكن تفسيرها، بس كانت مريضة جدًا... مريضة بجدة.

«وتبقى مشرحة زينهم مكان خارج الإطار الطبيعي للحياة، بأبعاد استثنائية للزمان والمكان والأشخاص، بوقائع لم يشهدها البشر العاديين يوما، ولن يشهدها أبداً».

الجنانين الثلاثة عند راسهم بالظبط. المهم خرجت وقولت لهم: تمام ومرضيتش أنكم إطلاقاً، وطلبت التري عشان يبجي يطلع الجنان بره عشان أشرجه.

جه هو والمساعد بتاعه. دخل أصريت أدخل معاه، حاول يشد الكفن عشان بسحب الجنان للخارج عش راضي يتحرك أبدا وده شيء غريب، حاول كذا مرة عش يتحرك، وقال: كلمة عش هنسأها. قال: إيه ده؟ دا كاتي بشد في قطر!

نادى على المساعد بتاعه، وقاله: أنا هدخل أرفع الرأس وأنت تشد من عند الرجل.

وبزحفت على ركبته وبيتجه للرأس عند الخيال بالظبط، وأنا كل تركيزي هو الخيال، وبمجرد ما وصل عند الخيال، وركبته جت عليه، أنا شفت اللي عمري ما شوفته في حياتي، صرخة من التري عمري في حياتي ما سمعت صوت بالقوة دي، ولا بالألم ده وبيتجه بسرعة فوق الجثث ناحية الباب ولسه يبصرخ.

المساعد خرج فوراً وأنا انسحبت للخلف عند الباب، وهو جه ببص في وشه شفت ملامح لن أنسأها طول عمري، عينه بارزة تماماً عن تجويفها قرابة (١٥ سم) بشكل مستحيل تتخيله، حمرا كالدم، شعره أبيض مع إنه شاب (٣٠ سنة)، تجاعيد الوجه وحدها ترعبك، وببصرخ في اللحظة اللي كل اللي بره خايقين يقربوا من الصوت!!

طلعت بره خرج ورايا وحط إيدته على وشه، وصوابعه جوه عنيه، وفضل يجري بسرعة مهولة، والعربية ماشية على سرعة (٢٠٠)، وكانت أرض فاضية محاطة بزرعات لحد ما اختفى، محدش بره فاهم حاجة، محدش عمومًا فاهم حاجة غيري أنا.

سألوني في رعب: فيه إيه؟

ردت وأنا مذهول قلت: معرفش.

جانب واحد تاني يطلع الجنان لأن المساعد خاف يدخل. سحبه من رجله طلع بمنتهى البساطة. بسلاسة تمام، وأجريت عملية التشريح في ذهول وشرود رهيب، كل فترة كنت بتصل بظابط المباحث أسأله على الواد ده. فات على الواقعة (٥ سنين) واحد اليوم الراجل ده مظهرش ومتحررله محضر غياب.

الحكاية الحادية والعشرون

قبل كل شيء، أود أن أخبركم أن تحتفظوا بكتاباتى هذه، أنا ساموت خلال خمس سنوات على الأكثر. كل الحقائق تقول ذلك، وربما تكون حكاياتى وقتها كرسومات (دافنشي) تباع في مزادات (كريستي) بلندن لكل الموجهين والمحزونين، وبآلاف الدولارات.

طبيب القصة دي حصلت في قرية تابعة لطنطا برضة، اسمها محلة مرحوم، وكانت يوم الوقفة بعد المغرب وصايع العيد.

قبل ما أبدأ فيها، أكيد طبعا كللكوا شفتو فيلم (أدرينالين) وأكيد شدتلكوا الحنة بتاعة إن الجثث بتكلم الطبيب الشرعي ويتوجهه لسبب الوفاة، الكلام ده كلام فاضي، أو بمعنى أصح كنت بعتبره كلام فاضي لحد الحالة دي، إخبارية عادية جدًا من رئيس مباحث مركز طنطا؛ إن فيه جثة بدون رأس وجدت في الماء وتم نقلها لمشرحة مستشفى الجامعة بطنطا. رحلت المشرحة مع الفريق بتاعي اللي مكون من اثنين، السواق ومساعد التشريح.

المهم، بدأت (الريكوردينج) بتاعي كالتالي:

«جثة لأنثى في العقد الثالث من العمر؛ مفصولة الرأس على مستوى الفقرة العنقية الثالثة، والرأس غير موجودة، ترتدي حمالة صدر برتقالية اللون، وينطال جينز أزرق اللون، وسليب حريمى برتقالي اللون، ولا توجد أي ملابس أخرى، والملابس جميعها خالية من القطوع والتمزقات، والجثة في حالة تيبس رمي وبدأيات تحلل، وأثار غمر في الماء لفترة تقارب يومين».

بدأنا الشغل.

طعنة في أسفل يسار الصدر واصله للثة اليسرى محدثة نزيف داخلي، غالبا هي سبب الوفاة. لكن استثنى، بفحص الجرح غير المستوى بالرقبة تبين أنه حيوي، يعني بدأت عملية فصل الرأس عن الجسد أثناء حياة البنت. مكانتش لسه ماتت.

الإيدى في حالة اسمها توتر رمي، ودي حالة بتحصل مع الوفاة اللي تحت ضغط عصبي رهيب زي الخنق أو الغرق. ضوافر البنت مقصوصة كويس جدًا وبالتالي صعب نلاقي فيها أي أنسجة بشرية أثناء المقاومة. الإيدى في حالة تخشب، والأصابع محيطية بجرح الرقبة بشكل غريب، وكأنها كانت بتحاول تحمي نفسها وتخشب بعد الوفاة على الوضع ده. التخشب ده شيء طبيعي وعلامة من العلامات اللي بتحدث بعد الوفاة، وينقدر نفكه عن طريق الشد القوي للذراع من عند المرفق وتحريكه في أكثر من اتجاه، لكن ده الطبيعي.

غير الطبيعي بقى، إن أنا والمساعد أخذنا مجهود رهيب عشان نبعد إيديها عن رقبتها وكأنها مُصرّة إن فيه حاجة هنا. وقتها الصراحة ملتفتش لكده واعتبرته تخشب عادي مع التوتر الرمي فزيادة شوية.

كملت التشريح، البنت غير عذراء، من فترة قصيرة، تقريبا شهر، وبتفتح الرحم تبين أن فيه حمل في نهاية الشهر الثاني.

أوك، كده حددنا سبب الوفاة، أخذنا عينات للـ (DNA) من البنت والجنين أخذنا عينات ثانية عشان تدور عن السموم والمخدرات؛ لو كان تم تخديرها قبل الجريمة لقينا كل ده سلمي.

لحد كده القصة بالنسبة لي كطبيب شرعي منتهية، والباقي شغل مباحث.

روح عادي جدًا. وكنت وقتها مقيم في فندق اسمه (بانوراما) في طنطا. في شارع النحاس أخذت شاوور وقلت: هنام شوية وأقوم انزل البلد عشان العيد.

أنا بطبيعتي مبعلمش، نادر جدًا جدًا لما أحلم بشيء. وبعتبر ده نعمة من ربنا خاصة مع طبيعة شغلي. لكن حلمت بالبنت دي، وده كان في حد ذاته شيء مبهّر، ولابسة فستان زفاف لكن بسيط جدًا، وعليه بقع دم كبيرة وجسمها كامل بالرأس وبتشاوري على رقبتها، قمت مستغرب جدًا. حاجة بالنسبة لي غريبة إن أحلم أساء، واشمعني

الحالة دي؟ وقصدها إيه بمشاورتها علي رقبته؟ هل عاوزة تعرفني إنها اندبعت وهيا عايشة؟ ما أنا عارف! مفهمتش! كملت نوم. حلمت نفس الحلم وقمت. كملت نوم حلمت نفس الحلم. قمت متكدر جدًا كوني بحلم أساتأ. ده شيء مكدرني. نزلت اللوي شربت قهوتي وقررت أنزل البلد. وفي نفس الوقت صورة البنت مش بتفارقني وده خائفني! لأن عمرها ما حصلت. ويعدين بالنسبة لي الجثة اتشرحت وانتهت. وحددت سبب الوفاة. وقاريخها. والموضوع انتهى.

ركبت عربيتي وبدأت أتحرك والموضوع مسيطر على دماغي. وفي نص الطريق قررت أرجع أبص على الجثة دي ثاني. كده كده الجثة هتفضل في التلاجة فترة لحد ما نعرف بتاعة مين. قعدت أقنع نفسي إني بعد العيد أروح. لكن إحساسي إني عاوز أتخلص من القصة دي خلاني أرجع المشرحة.

دخلت.

عم مصطفى طلعي جثة البنت بتاعة النهارده اللي من غير رأس.

- خير يا باشا ما نأنا شرحتها!

- لا عاوز أبص عليها ثاني.

الراجل استغرب وراح طلعتها وحطها على تراكيزة التشريح. رايح أبص عليها وأنا دماغي كلها في صورة البنت. وإشارتها لرقبتها. ودي بس اللي أنا جاي أبص عليها. بصيت على الرقبة بتركيز أوى المرة دي. لقيت شيء غريب جدًا!!!.

الجلد عند موضع الذبح مشرشر تمامًا بشكل دقيق أوي. وكأنه مقطوع بسكينة مشرشرة مش سكينة عادية. بدأت أركز مع الجرح وأصوره من كل الاتجاهات. وطلعت برضه مش فاهم حاجة. فكلمت رئيس المباحث.

- سامي بيه إزيك؟

- حبيبي يا دكتور كل سنة وأنت طيب.

- البنت بتاعة النهارده ظروفها إيه؟

- والله عندنا من يومين محضر تغيب لبنت، بتنطبق عليها نفس المواصفات. وبعثنا نجيب أمها عشان تحاول تتعرف عليها من لبسها.

- طيب عرفني ضروري وصلت لإيه.

- استنى خليك معايا، تمام يا باشا هي البنت بتاعة محضر التغيب. كده عرفنا هي مين وهتبدأ تشتغل بقا.

- هتبدأ امتي؟

- بكرة الظهر.

- طيب أنا جاي.

- تتورني؛ بس اشمعني الجثة دي يعني؟

- لا عادي بفكر في كام حاجة بس.

- تمام في انتظارك.

تالي يوم نمت شوية بعد صلاة العيد. محلمتش.

كنت قايم مبسوط جدّا ص موضوع إني أحلم أساسًا موترفي جدّا.

قعت بعد الظهر، رحت قسم الشرطة، قابلت رئيس المباحث.

- احكي يا شهرزاد.

قالي دي بنت مخطوبة والمفروض هتتجوز بعد (٧ شهور) نزلت من البيت العصر من (٢ أيام) قالتلهم: هشتري حاجة، والأم قالت: إنها كانت لابسة كل ذهبها، وبما إنك بتقول: إنها حامل فإحنا شاكين في أبوها، أو واحد من إخواتها الاثنين يكون قتلها بداعي الشرف.

طيب، سألته وأنا محدد أنا عاوز إيه بالضبط، عاوز أعرف إخواتها وأبوها بيشتغلو إيه.

كلهم بيشتغلوا في مصنع مواد غذائية صغير بتاع حد قريبهم، اممم.

وخطيبها يشتغل إيه، قال: خطيبها مستبعد جدًا لأنه منهار عن ساعة ما عرف تمامًا
وكمكان مكانش موجود وقت اختفاءها، ده شغال في القاهرة.

- تمام، بس هو شغال إيه؟

- نجار مسلح.

حبيبي، ابعت بقى هاته عشان هو القاتل، قال: ازاااا؟ قولته: هتشوف دلوقت.
بعث جاب الولد من تحت، كانوا محجوزين كلهم، دخل في حالة انهيار مش قادر يقف،
قولته: اقعد، وطلبتله لمون يهدي أعصابه

منظر الولد فعلا كان بدأ يخدعنى، قولته: أنت شغال إيه؟

قال: نجار مسلح، وهو بيتشحتف.

قولته: كويس، وإيه الأدوات اللي بتشتغل بيها؟

قال: أسماء أدوات كتير جدًا وأنا مستني يقولي: المنشار، مبيقولش.

أسأله وإيه كمان؟ قال: أي حاجة ثانية، وميقولش المنشار.

قولته: والمنشار؟!!

ارتبك، وقال: آه والمنشار.

قولته: ودي حاجة تنسي، حلو جدًا، المنشار بتاعك فين بقى؟

قال: أنا سيبتته في الشغل في القاهرة.

فرد سامي بيه قاله: أنت مش جاي ياد ومعاك شنطة الشغل بتاعتك على كتفك؟ بدأ
يعرق، وبيقول: آه بس المنشار سيبتته هناك، قاله: طيب إحنا هنطلع على هناك دلوقتي
يا روح أمك نجيب المنشار من هناك.

- فين اللمون يا سامي بيه؟

جه اللمون حاطه قداده، وأنا فتحت صورة رقية البنت على الموبايل. وروحت للولد. وقولته بصوت واطي: أنا عاوزك تفهمني أنت ازاي قدرت كنشر فكرة يا مغاري! الاله انهار تمام، قلم كده على قفاه من معاون المباحث، قال: يا باشا أنا هقول كل حاجة، قاله: طب اهدي بس واشرب اللمون وإحنا معاك متشافش، وبدأ الكلب يحكي: خطيبته كانت حامل منه، ولما اكتشفت الحمل طالبتة بإله يتجهزها بسرعة ومينفعش تستنى كل ده، بطنها هتكبر وأهلها هيموتوها.

يوم اتصل بيها، قالها: أنا هاجي بس متقوليش لمخلوق إن أنا جاي عشان همشي على طول! ولو أهلي عرفوا إلى جيت ومشيت من غير ما أروحهم هيزعلوا، وهاني الشبكة بتاعتك معالي: عشان أنا معايا شبكة واحد صاحبي كان خاطب وفركش، وشبكته جصيلة أوي، وأكثر من بتاعتك فلو عجببتك خديها واديله بتاعتك، المهم نتقابل في الأرض اللي بنتقابل فيها، أرض زراعية مقطوعة كده، البنت راحت قابلته، مارس معاها الجنس الأول، وبعدين والبنت بتلبس ملابسها طلع مطاوة وطعننها في صدرها، البنت وقعت وفضلت تستعطفه بسببها، فضل بكل برود واقف وهي بتنزف وولع سيجارة ومستنيها تموت، لحد ما البنت أغمى عليها، فكرها ماتت. طلع المنشار من شنطته وبدأ يفصل راسها عن جسمها، فضلت تتحرك وحاولت تقاوم لكنه كمل الدبح لحد ما سكنت وفصل الراس وحطها في كيس بلاستيك، وقفله وبعدين حطها في شوال، وحط معاها المنشار وباقي لبسها، ورماهم في مجرى مائي اسمه (الملاحات) ورجع بالليل شال الجنة في شوال ورمها في الملاحات، الجنة ظهرت لكن الراس مظهرتش، قالوله: وأنت عارف المكان اللي رميت فيه الراس؟ قال: آه، طب قوم يا ابن *** (وشوية شتايم كده مصحوبة بأصوات غريبة والفاظ أكثر غرابة).

اتحركنا للملاحات، شاور على المكان، نزل ناس، طلعو الشوال، وكان فيه نفس اللي قاله، والرأس موجودة في كيس بلاستيك مقفول. نقلنا الرأس واللبس للمشرحة والمنشار للنيابة، فحصت اللبس عباية سوداء وبودي وحذاء، وبعدين فتحت الكيس بتاع الرأس، وطلعتها. كل ده عادي وبتقابه كل يوم.

اللي مش عادي إن وش البنت يطلع نفس البنت اللي شفتها في الحلم، وبنفس الابتسامة.

الحكاية الثانية والعشرون

أما أنت أيها المات.

لي إثنى عشرة عامًا لم أفعل شيئًا مهمًا سوى البحث عنك بين العثث والمشاريح. في
النهارات والليالي، في الضوء وفي العتمة. وحتى اليوم لا جديد يذكر فيشكر. أين أنت أيها
المخادع !!!

فكرت أن السحب من بين العثث قليلًا، كي تظمن لي. لتتمكن من رؤيتي بوضوح أكثر.
فقد تعبت من اللامحدوي ولم يبق لي ما أقوله لحياة قلقة. لا أنا أبه لها كثيرًا ولا هي
تذكرني إلا بمزيد من الحاسي. تعالى، تقدم، أنا صدقا توأمان لمشيئة واحدة. توأم ملتصق
لا يستطيع كل كتاب الجراحين في العالم فصله دون فاجعة الرحيل، فاقترِب، لقد لقد
صبري في انتظار كبرياء النفس الأخير.

أما أنت، دعيني أقول لك: أولا وأنت غائبة عني منذ سنوات. أحبك بحجم السماء، أحبك
يا حبيبتي. دعيت للفرح والسعادة. اعذريني على موتك. أنا السحب، دائما أنا هكذا.
الحياة معي متأخرة دائما عندما يتعلق الأمر بالمواعيد الحاسمة.

المكان: مشرحة (ينهم).

الزمان: يناير ٢٠١٦.

التوقيت: الثانية عشرة ليلاً.

- طب اصيلنا كاسين طاه.

- انفجار ضحك.

اسمع، سيب الكتاب ده هنا. سيب، وانزل يلا فيه حنة جاية من المقطم يقولوا أشلاء، جهزها أما نشوف إيه قصتها، قال: دول اتنين يا معالي الرئيس، قولتلها: بابني المذكرة بتقول: أشلاء في شقة، قال: لقيو أشلاء ثانية في الشقة اللي قصادها على طول، هما بعد ما فتحوا الشقة الأولى، ادولها رقم قضية وبعثوها، وبعدين فتحوا الثانية لقيو أشلاء برضه ادوها رقم ولسه جاية كنت هجيبالك معايا.

امممم، ياما جاب الغراب لأمه يا أخويا، طب جهزهم يلا وأنا جاي وراك أه، بيسحب ايده ياخذ الكتاب، سيب الكتاب.

طلع أرفان مقابل الشيخ سعيد جاي جايب قهوة يقول: أه خذ الكتاب يا بومة، دنا يا دوب لسه بقوله قصيدة لا تضربيني دي خده، أمال لو كنت قولتلها قصيدة ثورة نهد كان خدني أنا بقا ورا مصنع الكراسي، وبيعلي صوته كالعادة يسمعي ويقول: ربنا على الظالم يا ريسسس، طلعت بسرعة قولتلها: بتقول إيه يا شعبان؟ قال: لا يا ريس ده الشيخ سعيد بيسألني عامل إيه؟ بقوله أنا تمام. كويسسس.

شربت القهوة، لبست، ونزلت، الجنتين كل واحدة في كيس، جثث ومخطوطة على ترابيزة، فتحنا أول كيس، وبدأنا، وده أي يا شعبان؟ قال: مكانش في الكتاب يا معالي الرئيس، بصيتله بزغرة كده.

(ريكوردينج)

«أشلاء بشرية محترقة واصلية لدرجة التفحم، عبارة عن عظام الحوض والجزء العلوي من عظام الفخذين، محاطة بعضلات متفحمة ولا يمكن الجزم بهويتها، عما إذا كانت لذكر، أم أنثى، ولكن يشير شكل عظام الحوض أنها لذكر بالغ كبير السن، وعظام الفخذ محطمة، ومقطوعة على مستوى أسفل رأس عظمة الفخذ بحوالي (٢٥ سم) على الناحيتين بينما عظام الحوض سليمة، حيث تم أخذ عينة عظمية لإجراء أبحاث الـ (DNA) للتأكد من الجنس وتمهيداً لإجراء أبحاث المقارنة»

رد بتدريج وقال: الله ما هو لازم. وبدأت خطوته تبقى أثقل. وأنا مستنيه يعترف ويقول: أنا خايفه. وأنا طالع خيطة غصب عني في خشية على الأرض عملت صوت جامد وسط السكون ده. لقيت بها. حاضن فيا. ضحكت جامد. قال: بقولك إيه يا دكتور. امسك كده المفاتيح دي يا دوبر جيت الكشف على المفاتيح ومسكتها من إيد. ملقيتش بها. كملت. واضح إن مفيش أصوات صرخات ولا شيء. وصلت لأول باب.

جريت في المفاتيح لحد ما فتحت. بمجرد ما الباب افتتح سمعت صوت صرخة قوية جدا كأن حد يتعذب طالعة من آخر الشقة. وقبضة قلب لا أخطئها. بتعرفني إن ثمة شيء. ما ورائي سين هنا. قرأت آية الكرسي ودخلت. الصراخ بقا أعلى. كل نص دقيقة صرخة ومن أماكن مختلفة في الشقة. حاولت أشغل النور. واضح إن الكهرباء مفصولة عن الشقة. الجو كده ازداد شاعرية. كنت مبسوط لكن ندمان إني مجييتش شعبان معايا الحفلة دي. بدأت ألف في الشقة معتمد على كشف الموبايل. الأثاث كله محطم. بس من رأيي دي مش آثار معركة. ده حد تعمد يحطمه بالشكل ده. لأن فيه أجزاء منشورة بالكامل نشر حاد. كمان الكتب مشقوق ومطلع القطن اللي جوده. وكمان المراتب. مش معركة خالص دي. الصراخ شغال وبمعدل أعلى. وبقي صوتين مختلفين مش صوت. وواضح إنهم جاين من المطبخ والحمام. بدأت أنحرك ناحيتهم وأنا برده (ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) الصراخ بيزيد كل ما أقرب. لكن مش دي المشكلة الأكبر. المشكلة في رائحة لا تخطئها أنف طيب شرعي أبدا. أبدا. جثة متعفنة. بدأت أنحرك جوه الحمام. اضطريت أوقف الآيات. وميقاش شاغلني الصراخ اللي حسيته جاي من قاعدة الحمام نفسها. إنما شاغلني ريحة التعفن اللي زادت جدا جدا أول ما قربت. وكل ما أقرب بتزيد أكثر. بدأت ألف بالكشاف في المكان يكون فيه فار ميت أو شيء. مفيش حاجة. والباليو واضح إن هو اللي تم فيه حرق الأشلاء اللي جائلنا. آثار الحريق واضحة فيه. والرائحة البشعة جاية من القعدة. بصيت جواها. مفيش مية. لكن الرائحة مقبلة. وحسيتها متحركة من مكانها. والصراخ بيضعف شوية ويتقوى شوية. لكن الغريب لما أقرب من مصدره يقف ويشغل من مكان تاني. يعني أول ما قربت من قاعدة الحمام. ميقاش فيه صوت في الحمام والصوت أصبح جاي من المطبخ. حسيت قاعدة الحمام مخلوعة أساسا مش ثابتة. بزقها برجلي اتحركت. وإذا برائحة لا يمكن لبشر تحملها على الإطلاق. أسوأ رائحة لا يمكن أسا إنك تكون اتعرضت لها في يوم. زقيتها برجلي أكثر

وصراخ المطبخ بيزيد، ولقيت الماسورة الكبيرة فيها شيء غريب جدًا، شيء غريب ما حد
 يتخيله، أجزاء من رجل بني آدم، منقوعة في المياه جوة الماسورة، أو بمعنى أدق، هيا
 سنت الماسورة ففضلت المياه معجوزة فيها، ومحاطة بالفضلات، ورائحة لا يمكن وصفها،
 الفضول هي موتني، نفسي أشوق إليه ده؟ طلعت البلكونة، لاديت على بهاء، فتحت
 العريية بالريموت، وقولته: في جواناتيات في شنطة العريية حد يطلعني واحد، أنا بتكلم
 وصوت الصرخ شغال ورايا، وكمان تخبيط، بهاء طلع جواناتي من العريية وفي لهجة
 حازمة قال للعسكري، بلا طلع ده للدكتور بسرعة، العسكري موثيش بهاء فضل يهدده
 بانه هيديله جزاء تلت أيام، والواد يقوله: إنشالله (٢ سن) حتى اطلع الت، ربع ساعة
 مناقشات وصلوا لحل، إن الخضر يطلع لحد الدور الثالث بس، وأنا القابلة وياخد (١٠٠
 جنيه) من بهاء، قابله وأخذت الجواناتي، ليستة ورحت، وشديت، لقيت المنظر اللي
 هتشوفوه تحت ده، أجزاء من رجل بني آدم، تلت أجزاء، ورا بعض معشورين جوة
 الماسورة، مهترئين بشعل المياه، طلعتهم، كده مش صلاحياتي، اتصلت بأحمد بيه، قولته:
 لازم تجيلي حالا، قالي: يقولك إيه أنا لا كنت هنام ولا روحت ولا هدخل الشق دي
 من الآخر كده، بعد الحاج قالي: أما النور يطلع، الساعة كانت بقيت أربعة الفجر،
 فضلت مستني في البلكونة، شعبان اتصل، قال: إن فيه (٣ جشج وصلوا من العياط،
 قولته: أنا له قدامي شوية، وهجيب الخير معايا، قالي: ماشي بس إذا جيت لقيتي
 نمت لا توقظيني، الساعة بقيت ستة، جه أحمد بيه ومعاه عضو نيابة صديق ليه، بدأنا
 وطلعت القطع، ثلاثة كبار وحتت صغيرة، حنت الرجل طالعة يحنت البنطلون بناهما،
 والصراخ شغال في المطبخ، والراجل بتاع النيابة قلبه جامد للأمانة، فضل واقف بس من
 غير ما يبص، و(٥٠ منديل) على مناخيره، وأحمد بيه على باب الشقة، والصرخ شغال
 في المطبخ، طلعت كل اللي قدرت عليه، رحت المطبخ، عارف أنا رايح فين، تحت الحوض
 شفت الماسورة، نفس الوضع، ابدین وقطع تانية، بسرعة رحنا على الشقة الثانية اللي
 كان صراخها بدأ يهدى كثير، مع طلوع النور، كنت عارف رايحين فين، الحمام، والبانيو
 كمان واضح إن هو اللي تم فيه الحريق، وبنفس الطريقة، زقت القاعدة، طلعت بقايا
 الست، رجلين وقطع، ومن ماسورة المطبخ طلعت الباقي، النيابة استدعت الأدلة
 الجنائية، بدأوا يدوروا كويس جدًا، لقيو آثار دم على كرسي، أخذوا عنها عينات، وتم
 نقل البقايا للمشرحة، داخل على شعبولا والأشلاء في عريية إسعاف ورايا، كل دقيقة
 تقف وينزل السواق والمسعف يرجعوا من الرائحة، ويكملوا ثاني، دخلت قدام باب

المشرحة، الإسعاف جاية ورايا والريحة قلبت المنطقة كلها، شغلت السارينه، شعبان طلع وقف قدام الباب، وأنا ببصله وببتسم وهو بيكلم الشيخ سعيد، بيقوله: أنا قولتله لا توقظيني فقرر يطلع ميتيني، أخذنا القطع، ركبناها زي الـ (puzzle) على أد ما قدرنا، وشعبان قاعد ينقل القطع اللي ليها رائحة محصلتش عندنا قبل كده وبيقولها: أرجوي لا تقرفيني، إنما الرأس بتاعة الجثتين فين؟ مش عارفين، خلصنا وحطينا كل جثة في كيس، ودخلوا التلاجة الكبيرة، كانوا هاديين ومؤدبين طول النهار، ومع بداية الليل قلبوها مدعكة، دار الأوبرا، بس على فترات طويلة، تقريبا كل ما يفثكروا اللي حصل، فضولي قاتلني، عاوز أعرف، نتيجة الـ (DNA). أثبتت فعلا إن ده راجل ودي ست، لكن مفيش حد من أهل نقارن معاه عشان نعرف مين دول، الأدلة قدرت تطلع عينة (DNA) من الدم الناشف على الكرسي بكفاءة للأمانة، كان مقرر إن القضية دي تفضل غامضة للأبد، جثتين مجهولين بدون رأس، مفيش أي أوراق، أو أي موبايلات، أو أي حاجة تثبت أي شخصية في الشقتين، عملنا مقارنة للـ (DNA). طلعت عينة الدم الناشف، لشخص تالت تمامًا، لا هو الراجل ولا الست، لحسن الحظ الرهييب، العينة كانت متسجلة في الأدلة لشخص من بلبيس كان متهم قبل كده في جريمة قتل فاتعمله (DNA) قبل كده، لكن طلع منها براءة، لكن كان قدر رباني تام إنه يتهم في قضية سابقة عشان نتحفظ نتيجة الـ (DNA) بتاعته على الجهاز، وتكشفه لما لقيوها نفس الدم الناشف، طبعا في ساعات الشرطة جابته، وقعد يحكي:

الراجل والست كانوا بيعملوا بالسحر والدجل والأعمال، والبيه كان بيتعامل معاهم، وكان بيروحلهم لما يحب يأذي حد، البيه قرر يتجوز، أقرب صاحب ليه حب يديله تذكارات الصداقة، فراح للراجل والست وخلاهم يعملوله سحر بالربط، البيه في ليلة الدخلة طلع مبيعرفش، صاحب تالت ليهم راح قاله: إن صاحبه التاني هو اللي عمل فيه كده عند نفس الراجل والست، فقرر ينتقم منهم، عشان إزاي يعملوا سحر للزبون بتاعهم، دي مش أصول دجل ولا أصول كُفر دي، راح البيت غافلهم وقتلهم بطعنات سكين في الرقبة، عند جثة الراجل الأول قطعها بساطور، حط اللي حطه في الماسورة، منطقة الحوض مرضيتش تدخل ومعرفش يقطعها، حرقها في البانيو، بعدين نقل جثة الست الشقة الثانية، وعمل نفس الطريقة، لكن قدر يقطع الحوض ويدخله، الصدر كان تعب، فحرقه برضه، بدأ يدور على الأسرار. هو عارف إنهم بيحطوها عندهم، دور في كل مكان داخل

البيت حتى الكنب فتحه والمراتب، كان كل سحر معطوط في كيس عليه اسم صاحبه،
لقي أكياس بالآلاف لكن ملقيش أبدا أبدا الكيس بتاعه اللي عليه اسمه، أخذ كل الأسحار
وكل الورق اللي في الشقة حرقهم في البانيو، وأخذ الرأسين في شنطة رماهم في منطقة
جبلية غير معروفة، السحر بتاعه بالذات مقدرش يوصل ليه، وفضل ميعرفش لحد يوم
ما اتقبض عليه، يعني إعدام وميعرفش، الاتنين مع بعض.

الجنتين فضلوا مجهولين فترة طويلة، قرابة ٨ شهور محدش عارف مين دول، وورقهم
اتحرق، والواد اعترف اعتراف كامل بالقتل مش محتاج يكذب في أي تفصييلة صغيرة،
بعد (٨ شهور) كاملين الرأسين اتلقوا، في كيس مشمع أسود مش شنطة، ولقيوهم في
مصرف صحي، مصرف مياه مجاري، وفين، في أسوان، رغم إن الولد عمره ما سافر في
حياته أسوان ولا جاب حتى أول خط الصعيد، اتأكدنا إن الرأسين بشوع الجنتين، لكن
للأسف فضلوا مجهولين حتى اليوم، بكل الغموض مين دول؟ وازاي وصلوا مصرف صحي
من منطقة جبلية، وف أسوان؟

وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ
رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

[الأنعام: ١٢٨]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَضَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَضَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩)

[النساء]

أما بخصوص حسن الخاتمة لمحييها، فهاكم صورة ليد جثة مستخرجة من القبر بعد
دفنها بخمس أيام ترفع إصبعها بعلامة التوحيد. لا إله إلا الله.

لمثل هذا اليوم فأعدوا، والله لا مال ولا بنون، إلا من آتي الله بقلب سليم، أصلحوا
قلوبكم من الداخل، طهروها، انزعوا منها الغل والحقد نزعا، والله إنهما آفة القلوب،

لجنة مصر

يحولان بينك وبين أن تأتي الله بقلب سليم، قد تكون عاصيا، أو مذنباً، أو مقصراً، لكن ربها وحده قلبك السليم الخاشع لله والموحد له، ينجيك
أخيراً، كل هذا الذي شاهدته من مواقف قد ترعب البعض، وأخرى تدهشهم، لم يكن
نتاج قوة إيمان وصبر وخشوع مني، لا والله، إني أعصاكم الله، وأكثركم هنا دنيا بأوزار
كالجبال، ولكن قذف الله في القلب بعض محبة له ويقين فيه، فحماني منهم ونجاني.

وسبحان من خرد لهيبة ملكه *** جن البرابر وانجلت أحرابه

فكأنني بالرمح أضرب قالاً *** الأرض أرضي والزمان زمانه

[ناصر الفراعنة]

الحكاية الثالثة والعشرون

ورحلت سيدتي كما يرحل كل الموق.

في حضرتها كان الأمان يبدو جميلاً، أسطورياً، وكنت لجماليتها أريد أن أحتفظ بتفاحيه
متقدة في ذاكرتي.

كان رحيلها يشبهني، يشبه قصاص حياتي، قليل الاستعمال جداً ومهيأ دائماً لزيارة لن
يأتوا، كقلبي، قلبي الذي يذكرني بابه كلما أفتحه أن الرفاق من حولي انقضوا، قلبي الذي
به رائحة وجع توقظ زمن الموق، وتفسد عليك زمانك.

حتمًا ثمة من ينال منك دون أن يقصد إيذاءك، إنما باستحواذه عليك حد الإيذاء، دائماً
هو أقرب الناس اليك، من يملك سعادتك يملك كامل الحقوق في أن يجعلك تعبتاً،
بحكم أنه شريك حياتك، والراعي الرسمي لك، ولن أغضب أبداً من شخص لم يؤذني، لم
يخني، ولكنه اغتالني ببطء، ببطء.

المكان: مشرحة زينهم.

الزمان: نوفمبر ٢٠١٤.

التوقيت: العاشرة ليلاً.

قاعد في المكتب بخلص شوية حاجات وناوي أسهر ومزاجي رايق، شعبان جي وماسك
ورقة في إيده ودار بيني وبينه الحوار التالي:

- باريس فيه إشارة جت.

= طب سيبك من الإشارة، واقعد يا شعبان أنا عاوز اسألك في حاجة، إيه رأيك يا شعبان في الستات؟

- بص ياريس الستات دول عاملين زي الموبايلات، في منهم زي الايفون كدة بمجرد لمسة بس منك تعملك اللي إنت عاوزة، وفي ستات زي مراتي كدة عاملة زي الثلاثة تلتعية وعشرة كدة لازم تخبطها في أي حيطه عشان تشتغل، بس ياويلك يا معالي الرئيس لو طلع حظك في ست بقا (antenna) هتطلع ميتين حضرة معاليك والله يا معالي الرئيس. فاصل من الضحك وبعدين كملت كلام.

- قولي بقا إيه الإشارة اللي جت؟

- قال: دا طلب للانتقال لمستشفى خاص ياريس لتشريح حالة وفاة لمريض إيدز منتحر.

- طيب قولهم: إن إحنا مينشرحش حالات الايدز بنكتفي بمناظرة الجثة بس.

- قلت: والله ياريس هو أنا مستجد، هو أنا سعاد قاعدة تحت، ردوا وقالوا: ماشي بس تناظروها.

- طيب شوفي يا شعبان ياسر وخليه يجهز العربية، وتيجي إنت معايا متجيبش حد ثاني.

- آجي قين يا ريس؟ بقولك حالة إيدز، تصحبك السلامة.

- بغضب زعقت، شعبان قلت إنت اللي هتيجي مش أي حد ثاني.

- حسبي الله ونعم الوكيل في كل ظالم والله، لو حصلي حاجة لأعوز نفسي وآجي الغوص المشرحة كلها دم، هنزل ياريس أجهز، وأجهز ياسر.

إدالي الإشارة وكان نصها كالتالي:

السيد/ مدير عام مشرحة زينهم.

«نفيد سيادتكم علمًا برغبتنا في انتقال أحد الأطباء الشرعيين إلى مشرحة مستشفى (أ) في مصر الجديدة لمناظرة جثمان المتوفى إلى رحمة مولاه (ب) وقد أفادت التحريات الأولية إلى أنه كان يعاني من حالة نفسية سيئة، دفعته جراء ذلك إلى الانتحار بواسطة قطع

شرايين يديه ولكن تم إنقاذه، وادعى حينها أن انتحاره له علاقة بالجن، ولكن هذه المرة انتحر بالقاء نفسه من فوق سطح أحد العمارات، وتم نقله ميتاً إلى المستشفى وتم الإداعة مشرحة المستشفى، الرجاء من سيادتكم تحديد سبب، وتاريخ، وكيفية حدوث الوفاة، وعما إذا كانت الوفاة تطابق هذه الواقعة من عدمه.

استعنا على الشقا بالله، لبست الجاكت ونزلت، ياسر جاهز وشعبان قالب وشه فتوجهنا إلى إحدى المستشفيات الخاصة في مصر الجديدة. واضح إن الأهل موجودين بالخارج في حالة حزن عميق فسألتهم كالعادة: هو إيه اللي حصل؟ أخته تبرعت بالحديث وقالت: إنه كان مسافر للعمل في إحدى دول الجنوب الإفريقي، وهناك تمت إصابته بمرض الإيدز بسبب علاقة مع فتاة، فرجع ومن يومها وهو يقول حاجات غريبة وأشياء غريبة وتصرفات أغرب، سألتها تصرفات زي إيه؟ قالت: إنه يقول: إن معاه جنية عاشقة وكان بيعمل حاجات غريبة، كان بيقدر يولج ورق عن بعد، كان بيقف بعيد ويبص لورقة لحد ما تولج وبيقول إن الجنية دي هي بتاعة البنت اللي كان على علاقة معاها في الدولة الإفريقية؛ لأنها ساحرة وإن نفسه يتخلص منها، بس هي قالتله: إنها مش هتسيبه غير بالموت، فكان لما بينطق بس إنه عاوز يتخلص منها كان بيحدد يتلوى من الألم على الأرض. أخذناه لكذا طبيب نفسي وكل أنواع العلاجات فشلت، والناس كانت بتهرب منه لما عرفت اللي كان عنده؛ لحد ما صحينا على خبط الجيران إنه رمي نفسه من فوق العمارة.

دخلت المشرحة، الولد نايم في هدوء وشكله شاب ملامحه معقولة ومفيش أي حاجة غريبة، لفيت حوالين الجثة كالعادة ومفيش أي حاجة والأمر طبيعي تماماً.

(بدأت الريكوردنج)

«جثة لشاب في العقد الثالث من العمر، متوسط القامة والبنية، يرتدي بنطال تريننج أسود اللون، وتيشرت أزرق اللون، وملابس داخلية رمادية اللون، والملابس جميعها عليها آثار أتربة وقطوع تتماشى مع تلك المشاهدة من جراء السقوط من علو، والرسوب الدموي بلون بنفسجي داكن بخلفية الجثة؛ عدا مواضع الاتكاء والتعفن الرمي، لم يتضح ظاهرياً بعد، والجثة في حالة تيبس رمي متداخل مع عوامل الحفظ بالثلجة، وقد تبيناً به الإصابات التالية.

وقفت الركوردينج وبدأت ألبس جوائتي وشعبان واقف عند الباب فبقوله: أنت مكسوف تدخل يا بيه ولا إيه. قال: لأ، عشان النفس بس ياريس وأسيبك تاخذ راحتك. بصيتله البصة اللي بيخاف منها فلبس جوائتي فوراً وجهه، بدأت أقلب في الجثة بحرص مش عاوز ألمس أي حاجة، وواضح إن الإصابات كلها إصابات رضية وكسور قتماشي تماماً مع واقعة السقوط من علو، ولكن في مشكلة كبيرة جداً إن الإصابات دي ليست حيوية!! الإصابات دي حدثت بعد الوفاة ومن المعروف إن البعض حين يسقطون من ارتفاعات شاهقة قد يموتون بسكتات قلبية أثناء السقوط، لكن تظل إصاباتهم محتفظة بحيويتها، أما الحالة دي لأ. كان في قاصد زمني مؤكد بين الوفاة والسقوط، لاتخطئه أبدا عين طبيب شرعي، ودي في حد ذاتها مشكلة كبيرة جداً، مشكلة لأن الجثة دي لازم تتشرح رغم إنها جثة مصابة بالإيدز، ورغم إن معندناش التجهيزات الكافية للتعامل مع حالات الإيدز، وبالتالي أنا أصبحت أمام اختيارين، يا أكتب الكلمتين دول وأقول للنيابة تطلب من المباحث تعمل التحريات، وغالباً النيابة هتبعتهالي المشرحة. يا إما نجيب من الآخر ونطلب إحنا التشريح، وقد كان وطينا نقل الجثمان إلى مشرحة زينهم وتشريح الجثمان لبيان حقيقة الوفاة.

رجعنا المشرحة وطول الطريق بنتناقش أنا وشعبولا عن الإيدز؛ مناقشة علمية لاتخلوا من بلاهة شعبان المصر إن أعراض الإيدز اللي أنا قلتها له كلها موجودة عند الشيخ سعيد، ولأزم نطلع قرار بحجزة في أي مصحة حجز انفرادي.

ساعة تقريبا من إرسال الإشارة للنيابة وفعلنا بعث الجثمان وانقلب الوضع رأسا على عقب، مش عارف ليه لو شفت ميت في أي مكان بيكون عادي وطبيعي؛ لحد ما يجي المشرحة. تقريبا وجود الجثث جنبه بيقوي قلبه ولا إيه؟ مش عارف فبيبدأ يأكدي إن العجائب لن تتوقف (وأن الموتى يتحدثون أيضاً) لبست لبس مختلف تماماً، جوائتي جلد وحاولت أخذ كل الاحتياطات اللازمة المتعارف عليها عالميا وفرشت الأرض وتراييزة التشريح مشمع، جهزت أدوات تعقيم ما بعد التشريح، وبدأت أشتغل بنفسي بدون مساعدة شعبان اللي كان واقف بس بينا ولني أدوات، كمان الأدوات اللي بتستخدم مع حالة إيدز لازم يتم التخلص منها تماماً بعدها.

واضح من التشريح إن مفيش إصابة قاتلة في حد ذاتها، وواضح أكثر إن الحالة دي ماتت بنوع من أنواع السموم دا مؤكد من واقع الخبرة بالنسبالي كطبيب شرعي، ولكن للأسف شرائط كشف المخدرات والسموم مش لاقية أي شيء في البول غير أدوية الإكتئاب، كتبت مسودة تقرير باللي عندي، وأنا واقف قدام الجثة وأنا عارف إن لو أجهزة المعمل ملقطتش سموم الأمر هيثير بلبلة كبيرة سواء في النياية، أو في المحكمة لإن في مناقشات مستمرة ليا في الاثنين؛ لإن من الطبييعي إن الطبيب الشرعي بيحسم القضية، وبيقول سبب الوفاة بكل وضوح، ومحصلش قبل كدة إن الطبيب الشرعي هو اللي يضيف للقضية الغاز، مش يحل الألغاز بتاعتها.

طلعت مكتبي بعد انتهاء التشريح، وأخذت شور وفكرت في الحالة كثير.

بعد بساعة شعبان طالع يخبط على الباب ويبضحك، بقوله:

- في إيه يا مجنون؟

= قالي مريض الإيدز عاوزك قاعد ينادي ويقول يا دكتور.

فكرته بيهرج قالي: والله بينادي عليك، ومن مميزات شعبان فعلا إنه مستحيل يحلف كذب.

نزلت مع شعبان تحت وإحنا بنضحك في الطريق مفيش أي صوت إطلاقاً، المشرحة هادية النهارده جداً على غير العادة، لكن شعبان بيقسم إن هو والشيخ سعيد سمعوا الجثة بتنادي وتقول: يا دكتور، وراحوا وقفوا قدام التلاجة وسمعوا الجثة بتقول: يا دكتور.

أنا كنت لافف الجثة في مشمع قبل الاستعداد للغسل على ما يبجي أهلها ياخذوها، فتحت باب التلاجة ودخلت بصيت على الجثة، لكن عين الولد اللي كانت مغمضة في المستشفى، وكانت مغمضة على ترابيزة التشريح أصبحت مفتوحة تماماً مفتوحة ومبرقة بشكل غير طبييعي؛ بالرغم إن عدى على الوفاة وقت انتهت فيه مراحل التيبس الرمي اللي ممكن تفتح العين. انتهى الوقت دا من زمان، لكن العين كانت مفتوحة مش بشكل عادي، لا دي كانت مبرقة ومبرقة بشكل يثير جواك الرعب، دخلت جوا التلاجة الكبيرة قربت من الجثة. عارف لما يجيلك إحساس إن حد بيصلك بكل قوة، ومثبت

عينه عليك وعاوز يلفت نظرك لشيء، بس إنت مش عارف هو عاوز يقول إيه بالضبط! العين مركزة فيا بكل قوة وفجأة كأن دبت فيها حياة غريبة، حياة دبت فيها مرة واحدة! رغم إن قبل التشريح عادة بفتح العين بإيدي، وأبص عليها خاصة في الحالات الجاية من المستشفيات، ودا لسبين الأول: إن ممكن يكون فيها أي إصابة، والتاني: إن ممكن تكون القرنية مسروقة وغير موجودة ودا بيحصل كثير في المستشفيات فلازم أثبت حاجة زي كدة، لما شفت العين وقتها سواء في المستشفى، أو على تراييزة التشريح كانت عين ميت طبيعية بقاله عدد من الساعات تجاوز (١٢ ساعة) ومتأكد إني بعد التشريح قفلت العين بإيدي، لكن المرادي العين مش مفتوحة لأ دي مبرقة وكأن فيها لمحة حياة غامضة وغريبة.

من شغلي عارف إن الجثث أحيانا بتديك إشارات، وأحيانا الإشارات دي متكونش إلهام، بس ممكن تكون حركة معينة أو أصوات معينة، تمام زي جثة البنت اللي كان عندها ثمن سنين، وجاية بتسمم غذائي عشان يتاخذ ليها عينات، وعمري ما فكرت لحظة إني أكشف على عذريتها بسبب سنه، وملابس وفاتها، لكن حركة رجلها غير الطبيعية، والغير مفهومة أجبرتني أكشف عليها، وكانت الصدمة اللي كشفت الجرعة الكاملة. المهم بصيت لعينه تاني من بعيد وخرجت، قلت: لشعبان والشيخ سعيد إن مؤكد إن حد بينادي من برا، وسمعتوه على إنه صوت جاي من هنا فأقسموا إنهم وقفوا قدام التلاجة وسمعوا الصوت دا بودنهم.

كانت الساعة بقت ثلاثة الفجر تقريبا. سيبتهم ومشيت لوحدي بين تلاجيات الجثث رايح المكتب لكن المرادي أنا اللي سمعت بودني كلمة "دكتور" رغم إنها جاية من مكان بعيد سحيق خربت ودني، التقت بسرعة لقيت شعبان والشيخ سعيد بيقلولي سمعت!! رجعت تاني رجعت لأنني سمعت فجلا ورجعت المرادي فتحت التلاجة بتصميم أكثر، المرادي أجزم إن العين كانت مبرقة بشكل أكبر كثير من المرة اللي كانت من دقيقة بس، مبرقة لدرجة إن مفيش جفون أساما والعين بارزة تماما في حالة جموظ غير طبيعية لكن أنا مش فاهم هو عاوز يقول إيه؟ خمس دقائق واقف قدامه وهو معايا مركز جدا، وباصص في عينيه. إحساس إن ميت يبصلك بكل قوة، ومركز معاك تماما مع لمحة حياة غريبة في عينيه حلت محل برود وعممة العيون الميتة. إحساس عجيب لدرجة إني لحد النهارده معرفش فعليا أنا كنت واقف جوه عشان بفكر، ولا كنت واقف منبهر برهبة موقف بين حي، وميت مركزين تماما في عيون بعض، وواحد فيهم مش بيرمش

أبدا، لكنه عاوز يقول حاجة مش قادر ينطقها، إحساس إن عنيه خلاص هتتكلم وتقول، كان إحساس غريب أول مرة أحسه، عمري ما ركزت جوه عين ميت بالشكل ده عمري ما قرئت شيفرة الموت جوه العيون، بردت جدًا من التلاجة خرجت جيت كرسي وقعدت في أوضة شعبان أشرب قهوة وأفكر وفجأة انتفضت!!

شعبان روح هاتالي سرنجة من أي صيدلية خمسة سنتي، شعبان راح جاب السرنجة وجهه، ليست جونتني جلد ودخلت، العين مبرقة بشكل غير طبيعي لكن راحت منها لمحة الحياة وتحس إن في جواها حالة رضا، مش وهم ولا تخيل، العين فعليًا المرة دي راحت منها الحياة، ولمحة القوة اللي كانت فيها، وبقي جواها حالة رضا وكأن شيفرة الموت اتحلت خلاص. هما بيعسوا للدرجة دي؟ دخلت الابرة جوا العين بتكتيك معين وأخذت عينة من سائل العين وقفلت العين بإيدي، لكن العين كان جواها رضا غير طبيعي، احتفظت بالعينة في تلاجة مكتبي، وبعث عينات الجثة من دم، ومحتويات معدة وكبد وكلى ومثانة للمعمل، والسبب غريب احتفظت بعينة السائل الزجاجي للعين. بعد ما طلعت العينات فوق كام يوم النتيجة جت، الأجهزة مش لاقطة أي سموم، أجهزة كشف السموم عامة لازم تكون محددها المرجع اللي على أساسه يتحددك نوع السموم، وتقولك دا السم الفلاني، ولو المرجع دا مش موجود البيانات بتاعته جوه الجهاز، فالجهاز مستحيل يكتشف نوع السم، تمام زي المخدرات زي مؤخرًا ما احتجنا مراجع للفودو والاستروكس وكل البلاوي اللي ملت البلد، دلوقتي أصبحت في معضلة رهيبه. الفحص الاكلينيكي والتشريح بيقول: إن الإصابات دي كلها غير حيوية وإن الوفاة دي ناتجة عن نوع سم غير معروف؛ بينما الأجهزة بتقول: مقيش سم (تخلوا العينات من السموم المعروفة). أول ما جت عينات الأجهزة بالسلبية أرسلت عينة سائل العين، وقد كان وجود آثار مركزة من الأتروبين، والهيوسيامين، وقلويات سامة مركزة في السائل الزجاجي في العين، وبيبحث سريع التركيبه دي متواجدة في نبات اسمه "بيلادونا" أو بيسموه "اتروبا بيلادونا" ودا نبات سام كان بيستخدم زمان في القتل وأشهر من كانت بتستخدمه في العصر الروماني هي زوجة الامبراطور "أغسطس" وأحيانًا كانوا بيعطوه على السهام للقتل السريع، ومن أهم اعراضه الهلوسة والهذيان والأرق.

كتب تقرير وبدأت التحقيقات واشتغلت المباحث الجنائية.

الولد كان شغال فعلاً في مجال طبي في أفريقيا، وعلم بوفاة والده رجوع واكتشف هنا في مصر إصابته بالإيدز عن طريق انتقال من شكة إبرة أثناء عمله، وليس عن طريق الجنس، والده كان رجل أعمال ثري للغاية، وكان ليه أخت واحدة من الأب، وأخته دي للأسف طبيبة نفسية طمعت في الثروة ليها كلها لوحدها، وبحكم عملها كان عندها المعلومة دي، بدأت تعطله في الأكل على مدار أربع شهور نبات البيلادونا بجرعات قليلة جداً، فالولد كان بيهلوس ويهذي باستمرار وهي اللي زرعت جواه موضوع الجن دا، اللي كان بيهذي بيه في كل مكان، الولد فعلاً حاول الانتحار قبل كدة بقطع شرايين إيديه والجبران لحقوه في آخر لحظة، بعد آخر أكلة الولد مات بعد ما كان تقريبا بقى هيكل عظمي فشالته ورمته من فوق العمارة ودخلت شقتها وقفلت الباب.

أكثر تركيز للبيلادونا بيكون في السائل الزجاجي للعين.

أوعى تصدق لحظة إن الموت نهاية، وإن الموت سكون، كل ميت ييموت وهو جواه سر مبرتاحش غير لما بيكشفه، و(هادي) وهو اسمه بالمناسبة كشف السر، كشفه تماماً، واضح إن بمجرد موتهم بيطلعوا على الأسرار كل الأسرار، واضح إن الحياة هناك مكشوفة وعنوانها الحقيقة، وبس مفيش هناك تلاعب، ولا تزييف ولا كذب ولا غش ولا خداع فيه وضوح تام لا مراء فيه، حتى الحقيقة في عالمنا نسبية وليها أكثر من وجه، لكن واضح إنها هناك ليها وجه واحد بس، الحقيقة المطلقة لما يموت ليكم حد بصوا أوي في عنيه، ولما تموتوا ركزوا بعنيكم مع أكثر حد بتحبوه، قولوا أسراركم حتى وانتو موتى، هتكتموش سر جواكم، انقلولنا الحقيقة من هناك، وأوعوا تتخيلوا إن الموت نهاية.

الموت يشيرون ويتحركون و... ويتحدثون أيضاً!

الحكاية الرابعة والعشرون

فرحانين، وأنا كما أنا، بحياتي المرتبة بفوضوية، وقصدي المتمرّد الذي لم يتعود يوماً على ربطة عنق. مفتوحاً دائماً بزر أو زرّين، وصوتي المميز دغلاً وحزناً، يوحى لك أنه يقرأ شعراً، حتى عندما يقول أشياء عادية، فيبدو وكأنه شاعر أضاع طريقه وأنه يوجد خطأ حيث هو.

في كل مدينة قابلتها قبلك، كنت على يقين أنني لم أصل بعد إلى وجهتي النهائية وأنتى لا زلت على أهبة سفر. حتى عندما كنت أجلس على محطات يمينها أشعر وكأنني جالس على حقائبي. لم أكن يوماً قبلك مرتاحاً حيث كنت، وكأن المدن التي كنت أسكنها محطات أنتظر فيها قطاراً لا أدري متى يأتي.

يا ميناء العشق الطاغى، والحنان الطاغى، والعينان التي لم يدقق فيهما رجل قبلي قط
والا سقط صريع عشق.

امرأة كمدينة فيها شيء من غزّة، من عمان، ومن بيروت، وموسكو، ومن الجزائر، وأثينا، مضافاً إليهم في لمسة ساحرة روعة باريس، ورجل كمستكشف فيه شيء من ميجلان، من بوشكين، من السيّاب، من الحلاج، من نزار، من غسان كنفاني، ومن لوركا وتيودورا كيس.

باعدت بيننا البلاد والأعمار والأقدار. ووحده الحلم الساكن فينا رغماً عنا ظلّ يجمعنا. ولذلك سيأتي حتفي يوماً ولم تزل لك في القلب مكانتك الأولى. حيث بدأت ذات يوم، ذات جنون.

الزمان: يونيو ٢٠١٦.

المكان: مشرفة زينهم.

التوقيت: التاسعة ليلاً.

نايم فالبيت وجالي الإتصال التالي من شعبان

- مساء الفل، يامعالي الرئيس، دكتور هشام قالي: إن أنت إيلي معايا النهارده.

- أه ياشعبان، لو في حاجة كلمني.

- أمال أنا متصل بيبك نراهه يعني ياريس، أنا وقتي ثمين.

- طب قول يا أبو وقت ثمين، عندك إيه؟

- أنا عندي جثة يا رياسه، محدش ينفع يشتغلها غيرك.

- اشمعني بقا؟

- علشان من الجثث، إيلي بتقول، بخخ وعووو وكدهون.

- ليه، إيه إيلي حصل؟

- من ساعة ما الجثة جات، وهي عاملة قلق في المشرفة، والجثث بدأت، تضايق من الدوشه، وخايف يعملوا علينا ثوره، ويحلفوا ما هم بايتين في التلاجات، وانت يارياسه إيلي بتعرف تتعامل مع الأنواع دي كويس.

- طيب، أنا نص ساعة وجاي، جهزها على ماجي، وبكرر عليك ياشعبان، وبأكد لأخر مره، متقعدش برا المشرفة، ياشعبان، مكانك في أوضتك، مش بره المشرفة، دي مشرفة مش قهوة، أقعد في أوضتك، أنت والشيخ سعيد.

- تعليماتك يا رياسه.

قومت لبست هدومي ونزلت داخل الشارع بتاع المشرفة شايف شعبولا من بعيد. قاعد برا هو والشيخ سعيد ولا كإني قولت شي..

دخلت بالعربية بعنف ركبت ونزلت رزعت الباب بناع العربية ولازل أزغق لقيت شعبان في وذي وقال: والله ما انت مزعق إدخل شوف الدوشه إلی جوه الأول، وبعدین إبقى زعق براحتك. بصيقله بقرف ودخلت وأنا داخل في صوت خبط في التلاجة الكبيرة، ودا غالبا بيحصل عادة، لكن مش هي دي الأزمة اللي تخليه يطلع يقعد برا يعني.

مریت من جنبها علشان أطلع المكتب أغیر هدومي، وعند آخر الكوريدور سمعت صوت حد بيصفر صفارة قوية جدًا وطالعه من التلاجة، رجعت تالي، فضلت واقف عند التلاجة مفيش أي جديد وأول ما أبعد يطلع صفارة من التلاجة تالي.

أحيانا الجثث بتحب تلعب، زي التصريح الشهير للشيخ سعيد في أشهر جريدة مصرية حاليًا، واللي عمل ضجة كبيرة جدًا وقتها لما قال: إله لما بيكون رايق الجثث بتنادي عليه وهو بيروح يزعلهم ويقولهم متشتغلونيش والتصريح دا حقيقي بالمناسبة.

طلعت المكتب شعبان طلع ورايا ومعاها إشارة التشريح قربتها بسرعة وكانت الإشارة مضمونها كالتالي:

السيد/ مدير عام مشرحة زينهم.

«نفيد سيادتكم، بوصول جثمان المتوفى إلى رحمة مولاه (...) في القضية رقم (...) وقد أقادت التحقيقات الأولية أن المذكور يعاني حالة نفسيه، وقد سبق أن قام أهله بإدخاله مستشفى للأمراض النفسية، لكنه خرج منها بعد فترة، وكان يتعاطى العديد من المواد المخدرة، وقد لقي حتفه جراء جرعة زائدة. رجاء من سيادتكم، إجراء الصفة التشريحية لجثمان المتوفى لبيان سبب، وكيفية، تاريخ حدوث الوفاة، وعما إذا كانت ناجمة عن جرعة زائدة من المخدرات من عدمه، وموافاتنا بالتقرير اللازم».

قولت لشعبان جهز حاله على التراييزة تحت لحد ما أنزل. لبست لبس التشريح ونزلت. الجثة على تراييزه التشريح وشعبان واقف يغني أغاني أطفال ذي نامي ننه هوووه. مفهمتش بدأت (الريكوردينج)

«الجثة لذكر في أوائل العقد الرابع من العمر، طويل القامة، متوسط البنية، يرتدي بنطال جينز أزرق اللون، وتيشرت أحمر اللون، وسليب داخلي أحمر اللون، والملابس جميعها خالية من التمزقات والقطوع والتلوثات المشتبهة. والجثة في حالة التيبس الرمي

المتداخل مع عوامل الحفظ بالتلاجة، والرسوب الدموي باللون الباهت بخلفية الجثة
 عدا مواضع الإتكاء، والتعفن الرمي لم يتضح ظاهريا بعد. وقد تبين أن الجثة خالية من
 أي آثار إصابية حيوية ظاهرة». وقفت الريكوردينج.

وبدأ شعبان يشيل الملابس، شوقت تحتها لوحة فنية، الجسد كله تقريبا مغطى بوشوم
 مختلفة باللونين الأخضر والأحمر، تملأ عموم الجسم أشكال غريبة وعجيبة، صور
 لشعابين، وصور لطيور جارحه وكتابات بالعربية، والإنجليزية، وأشكال غير مفهومة، أو
 واضحة. كل دا مش مهم، ماعدا وشم معين أو بمعنى أدق طلسم معين مكتوب أعلى
 الصدر بلغة غير مفهومة أشبه بالفارسية، لكن لما عرضتها على حد متخصص قال: إنها
 شبيهة فعلا بالفارسية، لكن مش فارسية. مكتوبة على هيئة (أسطور) فوق بعض
 الغريب فيها إنك بمجرد ما تبصلها عنيك تزغل وتحس بصداع رهيب وطاقة سلبية غير
 طبيعية، وخنقة، ولو دقت أكثر تحس بدوار وكأنك مش قادر تقف، حتى صور الكاميرا
 بتكون مزغله زي ما هتشوفها في الصور ودا شيء غريب جدًا. سببت كل الوشوم الباقية
 وركزت مع الوشم دا لكن للأسف لا عارف أركز فيه، ولا عارف أقراه أخذتله كذا صورة
 وحسيت إنه بارز شوية، وبمجرد ما لمستته بالجوانتي إتكهريت، بالظبط نفس إحساس
 الكهرباء اللي بيخلي جسمك يتنفض من مكانه، ونور المشرحة كله اهتز بشكل غير طبيعي.
 يقل ويريد أكثر من مرة لحد ما أثبت. وشعبان واقف يضعك ويأصص للراجل وبيقوله:
 الله ينور عليك إنت متور لوحدك مش محتاجين نور والله.

فضلت أضحك وأهزر مع شعبان فترة بعدها كنت أنا مَصْرَ إن الموضوع صدفة، وإن
 الاحساس اللي أنا حسيته دا بسبب تغير المجال الكهربائي فالمكان بقوة. وقاعد أوهم
 نفسي وأوهم شعبان بكدا وقولت أجرب تاني جربت تاني وحصل نفس اللي حصل فالمرّة
 الأولى، ويمكن أعنف كمان من المرة الأولى، أنا إتأكدت إن الموضوع مش مجرد وشم
 وإنه طلسم لشيء غريب جدًا موجود أعلى الصدر. بدأت التشرّيح بالشكل المعتاد
 الأعضاء الداخلية كلها سليمة، مفيش فيها أي مشاكل. المعدة تحتوي على سائل أصفر
 اللون أعتقد أنت المشروب. بفحصه تبين أنه مشروب كحولي. تم أخذ عينه بول من
 المثانة. وبفحصها وإجراء تحليل سريع للمخدرات تبين إحتوائها على أكثر من أربع أنواع
 من المخدرات، منها الحشيش، والترمادول، والهروين، والأفيون، وأنواع أخرى غير معروفة
 مع كمية كبيرة من أدوية المسكنات، وبجرعات عالية جدًا. قلعت الجوانتي وروحت

فجنب أكتب فورق كل الملاحظات اللي أنا شوفتها فورق القضية. فوجئت بشعبان بيصرخ جامد جدًا وبيقول آااااا. بصتله بسرعة وروحته قولته: في إيه يا شعبان إيه اللي حصل؟ قال: أنا حسيت إني إتكهريت وأنا واقف بعيد عن الجثة. قربت فعلا من الجثة واضح إنها عمله حواليتها مجال كهرياني، تقرب إيدك من شاشة التلفزيون تحس بحاجة ذي كدا. فمكانش غريب جدًا. شعبان بدأ يخييط الجثة بعرض وبعدين بعد ما انتهى من تخييط الجثة، وأكثر من مره يحس بكهرية خفيفة. حطينا الجثة فالتلاجة الكبيرة وروحنا أوضه شعبان نضحك ونهزر. واضح تماما إن سبب الوفاة هبوط عام وحاد بالدورة الدموية، وتوقف المراكز الحيوية بالمخ عن العمل ومن ثم حدوث الوفاة.

بمجرد دخول الجثمان للتلاجة بدأ وجود الخبط بالغرفة زي ما كان، ولكن باستمرار الوقت الخبط كان بيزيد بشكل ملحوظ، لحد ما زاد بشكل مبالغ فيه وقررت أروح أبص فالتلاجة فتحت باب التلاجة فوجئت بدم موجود في كل مكان، منتشر على الحيطان، وعلى الاستلستين بتاع التلاجات، وعلى الأرض وموجود في كل مكان دم. خليت الشيخ سعيد نضف الدم الموجود في التلاجة كنت لسه حاسس بالصداع مكاة تركيزي في الطلسم اللي شوفته دا.

ركبت عربيتي ومشيت طول الطريق عندي زغلله لحد ما وصلت البيت، طلعت البيت ثمت نص ساعة تقريبا صحيت مضايقي ومغتوق جدًا وفجأة أي مكان أبص فيه ألقى الطلسم موجود قدامي، موجود على الجدران، على التلفزيون على الانثريه، على السرير، على التسريحة، أي مكان أبص فيه ألقى الطلسم موجود، أي مكان أو أي إتجاه ألقى الطلسم موجود قدام عيني. وفي نفس الوقت عيني مزغلله جدًا ومش قادر أركز في الكلام المكتوب بأي شكل واضح. ولإني مررت بحالات شبيهه قبل كدا. كنت عارف بالضبط أنا هعمل إيه. دخلت الحمام اتوضيت بصعوبة والزغلله والصداع مخلي دماغي هينفجر. فرشت سجادة الصلاة وبدأت أصلي. أول ما قولت الله أكبر لقيت الطلسم موجود ومكتوب قدامي على سجادة الصلاة، ويقا بشكل أوضح قدرت أشوف خطوطه لغة غير مفهومه إطلاقا، وإتأكدت إنها مش لغة فارسية؛ لإني كنت شوفت حاجات مكتوبة قبل كدا باللغة الفارسية، وإتأكدت إن اللغة المكتوب بيها مش لغة فارسية. لكنها لغة غير مفهومه. الطلسم موجود الطلسم موجود قدامي في سجادة الصلاة. وعملي صداع غير طبيعي.

بدأت الصلاة بدأت أقرأ الفاتحة، وبعدها (وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ)، ودي كانت طقوس معتادة بالنسبالي لما بتعرض لأي حاجة بالشكل دا. مش قادر أركز في أي كلمة أنا بقولها الصداع رهيب بي فجر دماغني. حاولت أتماسك كملت صلاة وعند السجود وبمجرد ما راسي لمست المكان اللي كان موجود فيه الطلسم؛ حسيت نفس الإحساس لما لمست الطلسم في المشرحة. جسمي بيتنفض كإنه متكهرب، والنور عمل نفس الشكل اللي كان موجود في المشرحة، بدأ يزيد ويضعف بقوة رهيبية، لكن كان لازم أكمل، كنت عارف إن مفيش حل ثاني، وإني لو استسلمت وخرجت من الصلاة هتعب جداً. كملت سجودي جسمي بيتنفض، بدأت أكلّم ربنا وأدعي دعيت كثير وقولت جميع الأذكار اللي ممكن تفيد في الحالة دي. قولت: ربنا إن أنت الخالق، وإن أنا في حمايتك، إنت اللي هتحميني من أي شر، ومن أي أذى، احميني من شر جميع خلقك إنس وجن، احميني من إبليس، واحميني من الحسد، أنا في حمايتك ومفيش حد يقدر يحميني غيرك، وأنا لا حول ولا قوة إلا بك. فضلت أردد كذا مره الأذكار وآية الكرسي أكثر من مرة، لحد ما جسمي بدأ يهدأ، لكن كنت حاسس بتعب رهيب عضلات جسمي كلها بتوجعني. رفعت راسي من السجود لقيته مش موجود قدامي عرفت إن الحمد لله قدرت أتخلص منه.

رغم إن القصة هذه المرة قد تبدو عادية، ولكن بالنسبالي المرة دي خطيرة جداً لأن أنا اللي كنت هتأذي مش أي حد ثاني برغم جميع الأذكار، وبرغم جميع التحصينات اللي عملتها، ولكن محاولتي لقراءة الطلسم، ومحاولتي للمسه ممتعش إنه يحصل لي كل اللي حصل، الخطر المرة دي كان كبير جداً. كبير جداً عليا أنا شخصياً ممكن أنا تفاضيت عن حاجات كثير في وصفها حصلتلي؛ علشان الناس متأثرش كثير، ولكن أنا كنت حاسس بآلم ووجع غير طبيعي؛ برغم إن أنا بعتقد إن أنا قوي بما فيه الكفاية إن أنا أتحمّل حاجات كثير. لكن لو أي حد ثاني كان اتعرض لجزء من اللي اتعرضتله مكانش هيقدر يتجاوز بسهولة.

الي عاوز أقوله هنا أوعي تحاول تقرا أي ورقة إنت مش عارف، أو شاكك فيها طلسم موجود، أوعي تحاول تدخل على أي صفحة من صفحات السحر وتحاول تقرا أي حاجة مكتوبة، وأوعي أي حد يحاول يعرض عليك كتاب زي شمس المعارف، مثلاً أو غيره وتحاول تقرا المكتوب فيه، الأذى بيكون عنيف جداً، قراءتك للحاجات دي أخطر مليون

مرة من إن يتعملك سحر، أي سحر، أو أذى الأذكار بتحميك منه، لكن كونك مُضر إنك
تقرأ حاجة من دول، أو تلمسها إنت اللي فتحت جواك بوابه، وإنت اللي ادبت القدره
والطاقه للكائنات الما-ورائيه إن هي تاذيك! اوعى تحاول تقرأ أي حاجة من دول حتى
لو كان الكلام في بدايته قرآن.

حتى لو لقيت أول الكلام المكتوب قرآن حتى لو لقيت السطور مكتوبه بالمقلوب وحد
بيقولك حاول تقرأها، متحاولش إنك تقرأها اوعى الفضول يخذك لإن صدقني لو عملت
أي حاجة من دول هتتعب جداً، وممكن الأمر يتطور بشكل مش ممكن تتخيله، اوعى
تخدها بهزار، أو تهريج لإن الفضول فالوقت دا بيكون فضول قاتل والأذى ممكن يستمر
طول العمر، وفي طلاسم يجد ملهاش حل خاصة لو كان الطلاسم دا مع حد ضعيف، أو
حد مش قارئ الأذكار، يمكن الأذكار دي مش شويه، ولكن الطلاسم كان قوي بما فيه
الكفايه الطلاسم دي بتبقى عبارة عن إستعانه بالجن كونك تحاول تقرأها، أو تلمسها
بيعتبرها تدخل منك في شؤنه، وبيحاول ياذيك بأي شكل، قابعدوا الله يخليكوا عن أي
شكل من الطلاسم دي، اللي بتبقى موجوده على السوشيال ميديا لإن لما تابعتها
اكتشفت إن في فعلا منها طلاسم حقيقه!

تمت بحمد الله

د. محمد الشيخ

ملحق الصور



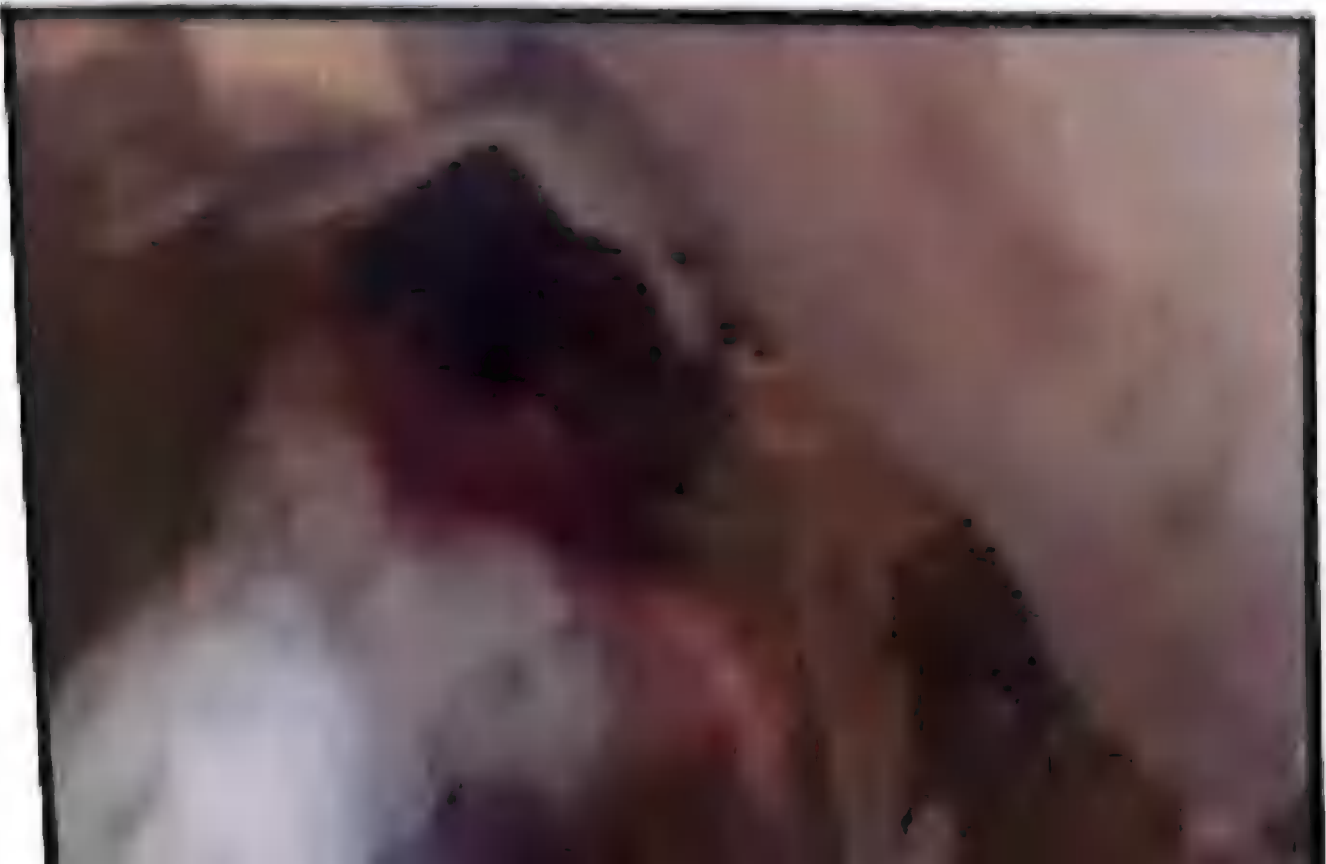
الصفحات التالية تحتوي على صور
قد لا تناسب الصغار وضعيفي القلوب..
لذا وجب التنويه!



بسم الله الرحمن الرحيم

لما جئت رأي امر

لما جئت رأي امر

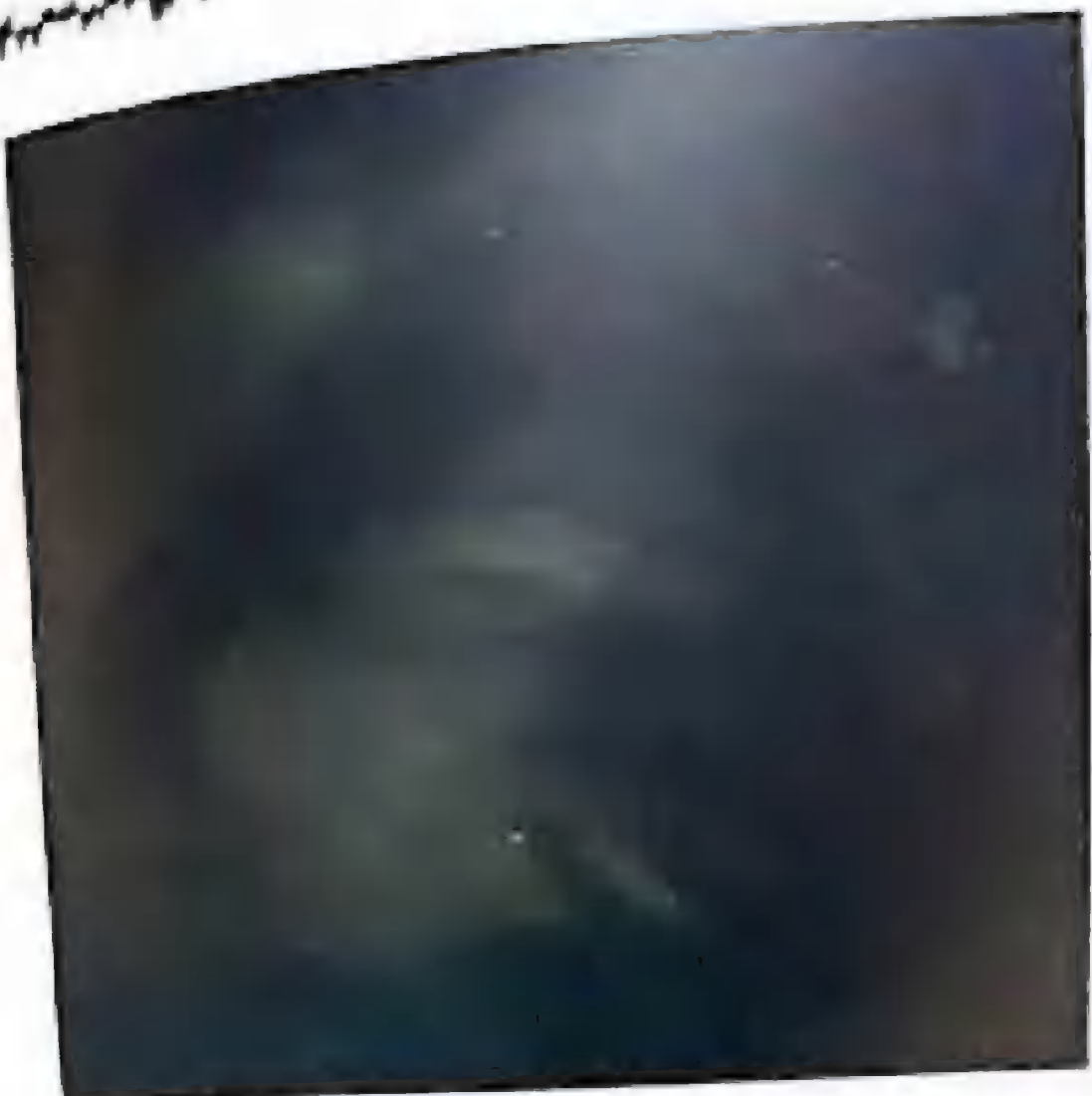




بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين



الجلد والعضلات

للجثة المبردة

الجلد والعضلات





درمیان مردم و طبیعت
از دلش برآید
و در میان مردم و طبیعت



الحمد لله رب العالمين

للجنة رأي آخر

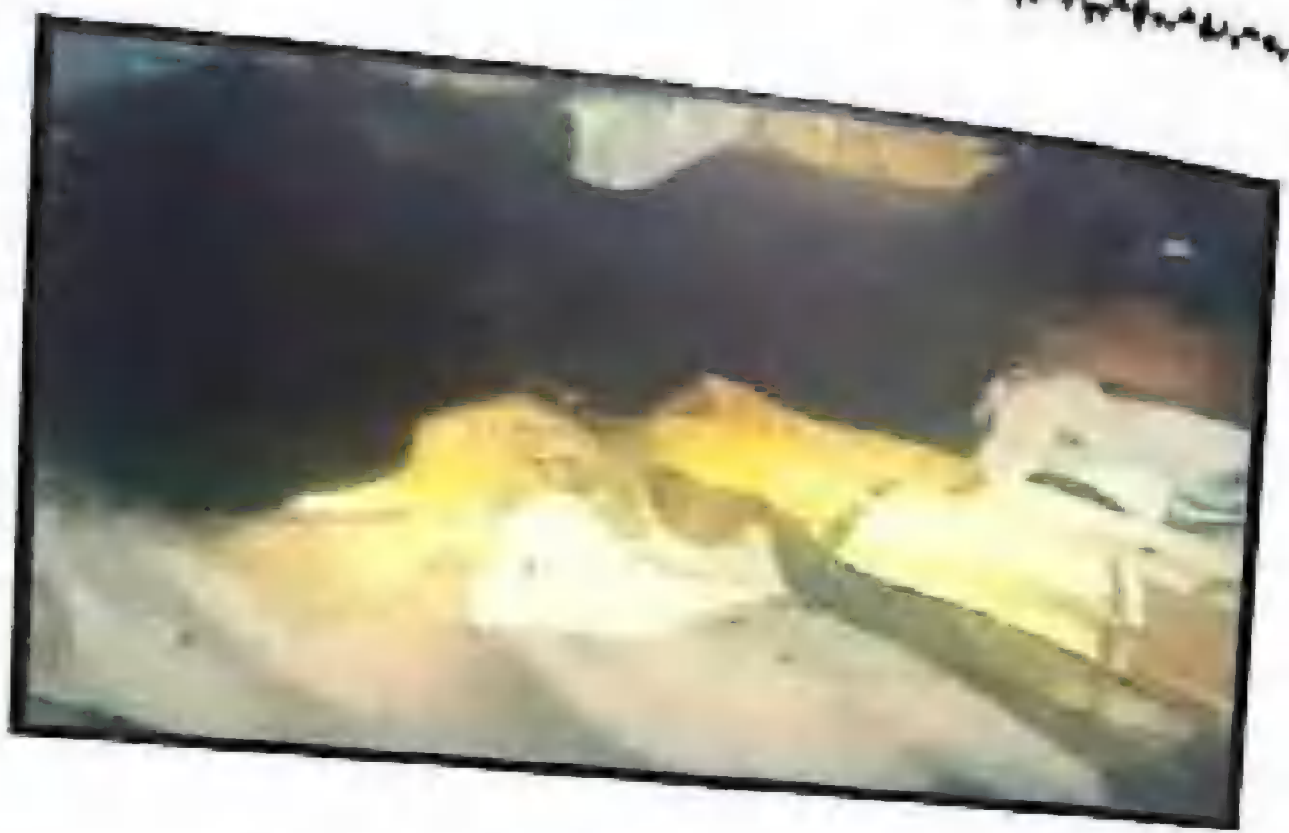
الحمد لله رب العالمين



الجنة راي لفر

الجنة راي لفر

الجنة راي لفر



للجنة رأي الامر

المجلس الاعلى

المجلس الاعلى



الماء واليابس

الماء واليابس

الماء واليابس

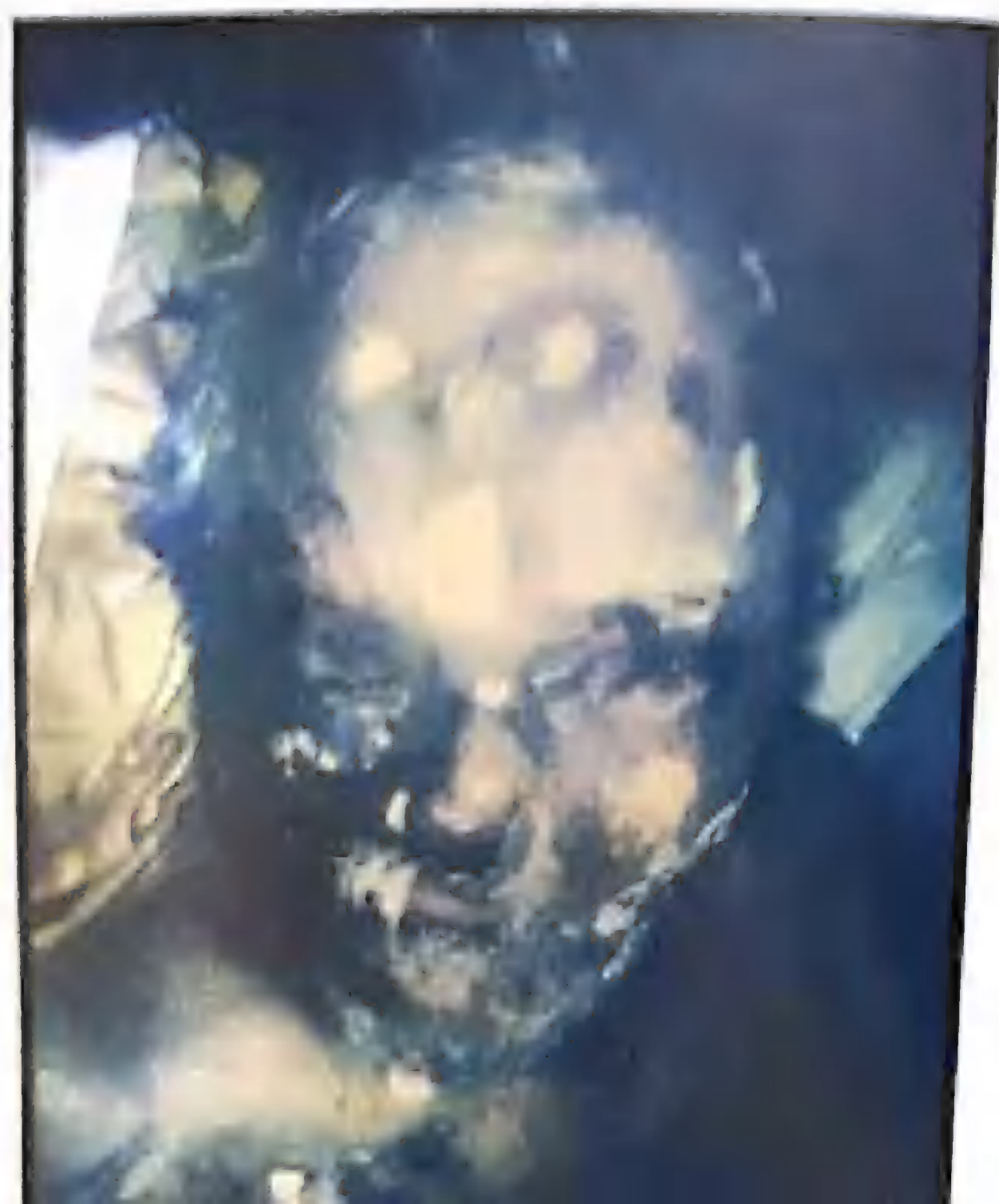




مکتبہ اسلامیہ

الاجتہاد

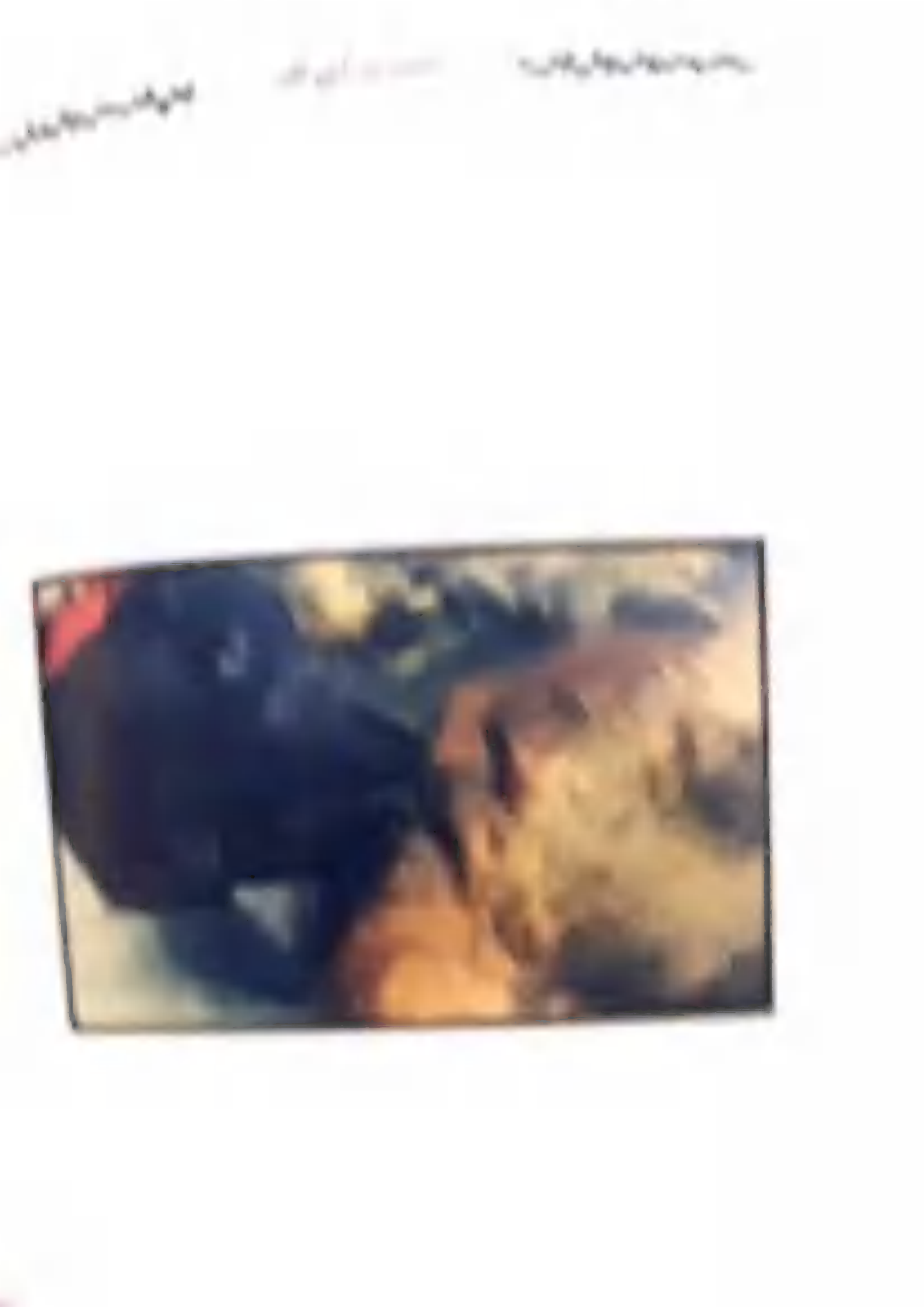
مکتبہ اسلامیہ



الحمد لله الذي

محمداً عبداً له





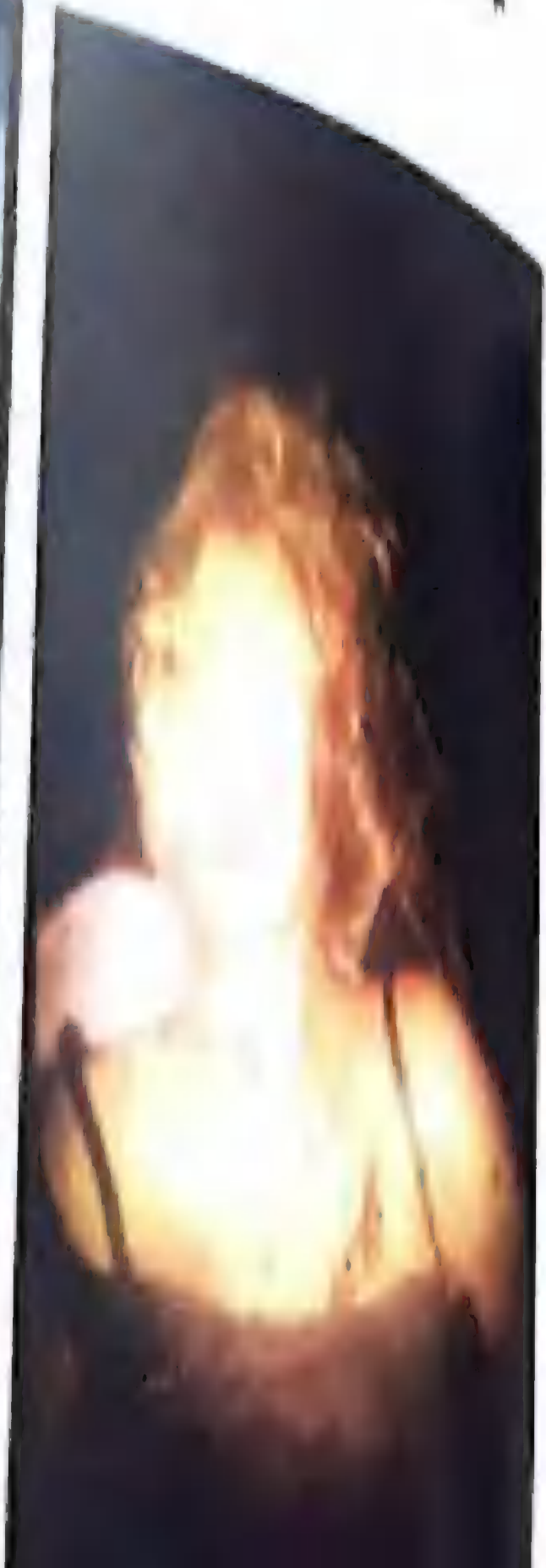


Handwritten text in Urdu script, likely a title or header, located at the top left of the page.



للجنة رأي الامر

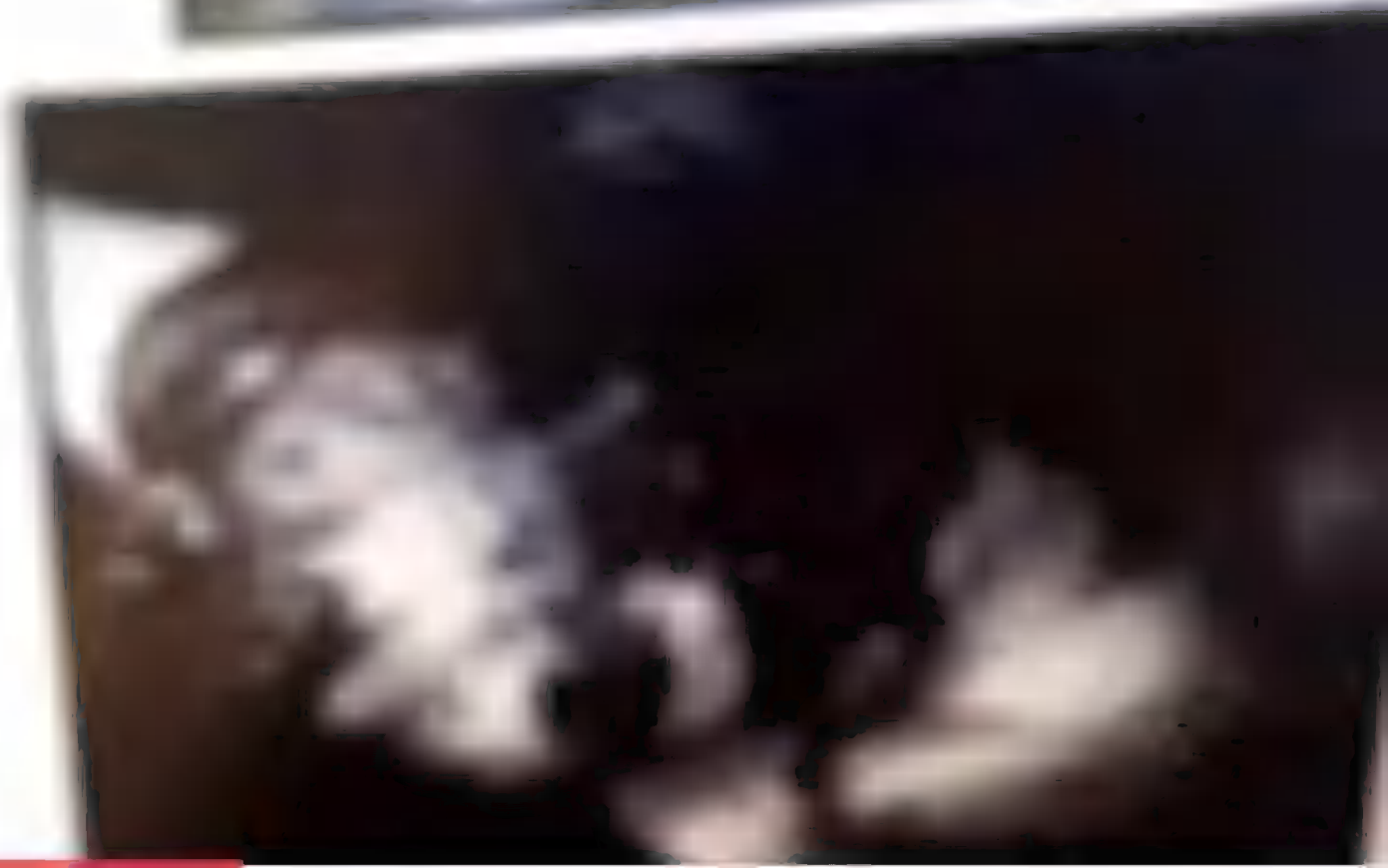
الجنة



Handwritten text at the top of the page, likely bleed-through from the reverse side. It appears to contain a title or header in Arabic script.











Handwritten text at the top left of the page.

Handwritten text at the top center of the page.

Handwritten text at the top right of the page.



4/27/17





YEA